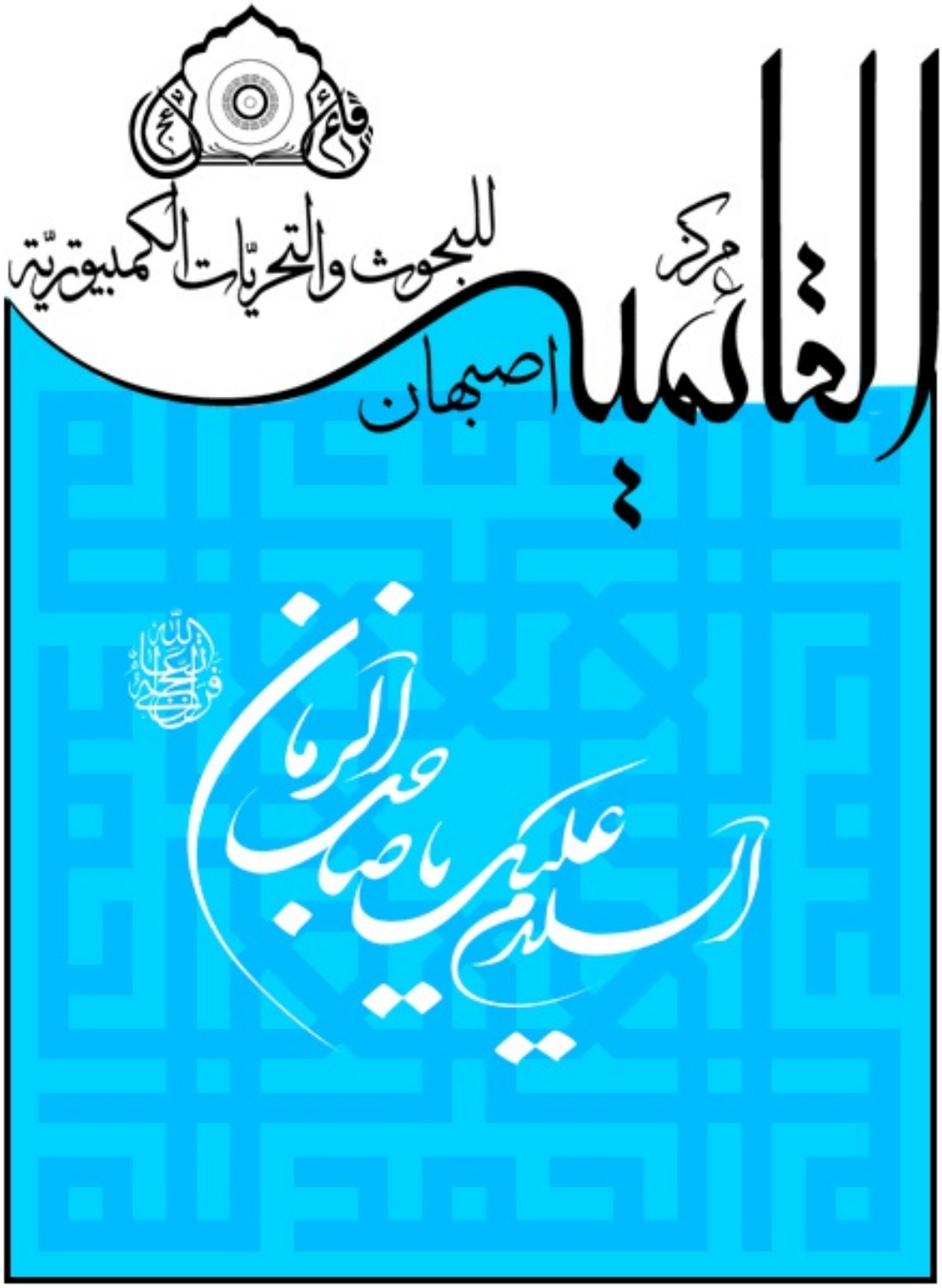

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ٧

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

کاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۷ ----- ۸
اشارة ----- ۸
[تتمة ما وقع من الحوادث سنة ۶۴۸] ----- ۸
اشارة ----- ۸
ذکر ولایة الملک المعزّ أیبک التّرکمانیّ علی مصر ----- ۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۴۹] ----- ۱۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۰] ----- ۱۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۱] ----- ۱۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۲] ----- ۱۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۳] ----- ۲۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۴] ----- ۲۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۵] ----- ۲۳
ذکر سلطنة الملک المنصور علیّ بن أیبک التّرکمانی علی مصر ----- ۲۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۶] ----- ۳۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۷] ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
ذکر سلطنة الملک المظفّر قطز علی مصر ----- ۳۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۸] ----- ۴۳
اشارة ----- ۴۳
ذکر سلطنة الملک الظاهر بیبرس البندقداریّ علی مصر ----- ۴۴
[ذکر قضاة الشافعیّة] ----- ۵۴
ذکر القضاة الحنفیّة ----- ۵۶

ذکر القضاة المالکیة ----- ۵۸
ذکر قضاة الحنابلة ----- ۵۸
فتوحاته رحمه اللّه ----- ۶۰
ذکر مرض الملک الظاهر و وفاته ----- ۷۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۹] ----- ۷۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۰] ----- ۸۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۱] ----- ۸۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۲] ----- ۸۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۳] ----- ۸۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۴] ----- ۸۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۵] ----- ۸۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۶] ----- ۹۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۷] ----- ۹۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۸] ----- ۹۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۹] ----- ۹۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۰] ----- ۹۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۱] ----- ۹۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۲] ----- ۹۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۳] ----- ۹۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۴] ----- ۱۰۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۵] ----- ۱۰۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۶] ----- ۱۰۴
ذکر ولایة السلطان الملک السعید محمد ابن الملک الظاهر بیبرس علی مصر ----- ۱۰۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۷] ----- ۱۱۰

اشارة ----- ۱۱۱
ذکر سلطنة الملک العادل سلامش علی مصر ----- ۱۱۳
ذکر سلطنة الملک المنصور سیف الدین قلاوون علی مصر ----- ۱۱۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۹] ----- ۱۳۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۰] ----- ۱۳۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۱] ----- ۱۳۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۲] ----- ۱۴۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۳] ----- ۱۴۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۴] ----- ۱۴۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۵] ----- ۱۴۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۶] ----- ۱۴۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۷] ----- ۱۴۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۸] ----- ۱۴۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۹] ----- ۱۵۰
استدراکات علی بعض تعلیقات وردت فی الجزءین الرابع و الخامس من هذا الکتاب، لحضرة الأستاذ محمد رمزی بک ----- ۱۵۱
قنطرة عبد العزیز بن مروان ----- ۱۵۱
بستان الخشاب ----- ۱۵۲
أرض الطبّالة ----- ۱۵۳
استدراکات علی الجزء السادس من النجوم الزاهرة ----- ۱۵۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۵۴

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۷

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

[تتمة ما وقع من الحوادث سنة ۶۴۸]

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و صلّى اللّه على سيّدنا محمد و آله و صحابته و المسلمين الجزء السابع من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة

ذكر ولاية الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ على مصر

هو السلطان الملك المعزّ عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الصالحىّ النّجمىّ المعروف بالتّركمانىّ، أوّل ملوك الترك بالديار المصرية. و قد ذكرهم بعض الناس فى أبيات مواليا إلى يومنا هذا، و هم الملوك الذين مسّهم الرّق، غير أولادهم، فقال:

أيبك قطز يعقبو بيبرس يا ذا الدين بعدو قلاوون بعدو كتبغا لاچين

بيبرس برقوق بعدو شيخ ذو التبيين ططربرسباى جقمق صاحب التمكين

قلت: هذا قبل أن يتسلطن الملك الأشرف إينال العلائى، فلمّا ملك إينال قلت أنا:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴

أيبك قطز يعقبو بيبرس ذو الإكمال بعدو قلاوون بعدو كتغا المفضال

لاچين بيبرس برقوق شيخ ذو الإفضال ططر برسباى جقمق ذو العلا إينال

و قد خرجنا عن المقصود، و لنعد إلى ذكر الملك المعزّ أيبك المذكور، فنقول:

أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب، اشتراه فى حياة والده الملك الكامل محمد، و تنقّلت به الأحوال عنده، و لازم أستاذه الملك الصالح فى الشرق حتّى جعله جاشنكيره، و لهذا لمّا أمّره كان عمل رنكه صورة خوانجا.

و استمرّ على ذلك إلى أن قتل المعظّم توران شاه و ملكت شجرة الدّرّ بعده، اتّفق الأمراء على سلطنة الملك المعزّ أيبك هذا و سلطنوه بعد أن بقيت الديار المصريّة بلا سلطان مدّة، و تشوّف إلى السلطنة عدّة أمراء، فحيف من شرّهم؛ و مال الناس إلى أيبك المذكور، و هو من أوسط الأمراء، [و] لم يكن من أعيانهم؛ غير أنّه كان معروفا بالسّداد و ملازمة الصلاة، و لا يشرب الخمر؛ و عنده كرم و سعة صدر و لين جانب. و قالوا أيضا: هذا متى أردنا صرفه أمكننا ذلك لعدم شوكته. و كونه من أوسط الأمراء. فبايعوه و سلطنوه و أجلسوه فى دست الملك فى أواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان و أربعين و ستّمائة. و حملت الغاشية بين يديه، و ركب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵

بشعائر السلطنة، و أوّل من حمل الغاشية بين يديه الأمير حسام الدّين بن أبى علىّ، ثمّ تداولها أكابر الأمراء واحدا بعد واحد. و تمّ أمره فى السلطنة و خطب له على المنابر، و نودى فى القاهرة و مصر بسلطنته، إلى أن كان الخامس من جمادى الأولى بعد سلطنته بخمسة أيّام ثارت المماليك البحريّة الصالحيّة و قالوا: لابدّ لنا من سلطان يكون من بنى أيّوب يجتمع الكلّ على طاعته؛ و كان الذى قام بهذا الأمر الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار، و الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارىّ، و الأمير سيف الدين بلبان الرشيدىّ، و الأمير شمس الدين سنقر الرّومىّ، و اتّفقوا على أن يكون الملك المعزّ أيبك هذا أتابكا عليهم، و اختاروا أن يقيموا صبيّا عليهم من بنى أيّوب يكون له اسم السلطنة، و هم يدبّرونه كيفما شاءوا و يأكلون الدنيا به!

كلّ ذلك و الملك المعزّ سامع مطيع. فوقع الاتّفاق على الملك الأشرف مظفّر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف ابن الملك المسعود أقسيس ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبى بكر ابن الأمير نجم الدين أيّوب؛ و كان هذا الصبىّ عند عمّاته القطبيّات، و تقدير عمره عشر سنين، فأحضروه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶

و سلطنوه و خطبوا له، و جعلوا الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ أتابكه، و تمّ ذلك. فكان التوقيع يخرج و صورته: «رسم بالأمر العالى

المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الأشرفىّ و الملكىّ المعزّىّ». و استمرّ الحال على ذلك مدّة، و المعزّ هو المستولى بالتدبير و يعلّم على التواقيع، و الأشرف المذكور صورة

و بينما هم فى ذلك ورد الخبر عليهم بخروج السلطان الملك الناصر صلاح الدّين يوسف صاحب الشام و حلب، خرج من دمشق إلى المزّة يريد الديار المصريّة ليملكها لمّا بلغه قتل ابن عمّه الملك المعظم توران شاه. فاجتمع الامراء عند الملك المعزّ أيبك و أجمعوا على قتاله و تأهّبوا لذلك، و جهّزوا العساكر و تهيّئوا للخروج من مصر.

و أمّا الملك الناصر فإنّه سار من دمشق نحو الديار المصرية بإشارة الأمير شمس الدين لؤلؤ [الأمينىّ]، فإنّه ألحّ عليه فى ذلك إلحاحا كان فيه سببا لحضور متيّته، و كان لؤلؤ المذكور يستهزئ بالعساكر المصريّة، و يستخفّ بالمماليك، و يقول: آخذها بمائتى قناع، و كانت تأتيه كتب من مصر من الأصاغر فيظنّها من الأعيان، و دخلوا الرّمل و دنوا من البلاد؛ و تقدّم عسكر الشام و معهم الأمير جمال الدين بن يغمور نائب الشام و سيف الدين المشدّ و جماعة؛ و انفرد شمس الدين لؤلؤ، و الأمير ضياء الدين القيمرىّ؛ و خرجت العساكر المصريّة إليهم، و التقوا معهم و تقاتلوا فانهزم المصريّون و نهبت أثقالهم، و وصلت طائفة منهم من البحريّة على وجوههم إلى الصعيد،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷

و كانوا قد أساءوا إلى المصريّين و نهبوهم و ارتكبوا معهم كلّ قبيح، فخافوا منهم فتوجّهوا إلى الصعيد. و خطب فى ذلك النهار بالقاهرة و مصر و القلعة للملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور و فى جميع البلاد. و أيقن كلّ أحد بزوال دولة الملك المعزّ أيبك. و بات فى تلك الليلة جمال الدين بن يغمور بالعبّاسة، و أحمى الحمّام للملك الناصر صلاح الدين يوسف، و هيّأ له الإقامة. كلّ ذلك و الملك الناصر ما عنده خبر بما وقع من القتال و الكسرة، و هو واقف بسناجقه و أصحابه ينتظر ما يرد عليه من أمر جيشه.

و أمّا أمر المصريّين فإنّه لمّا وقعت الهزيمة عليهم ساق الملك المعزّ أيبك و أقطاى الجمدار المعروف ب «أقطيا» فى ثلثمائة فارس طالبين الشام هاربين، فعثروا فى طريقهم بشمس الدين لؤلؤ المقدّم ذكره و الضّياء القيمرىّ، فساق شمس الدين لؤلؤ عليهم فحملوا عليه فكسروه و أسّروه و قتلوا ضياء الدين القيمرىّ، و جىء بشمس الدين لؤلؤ إلى بين يدى الملك المعزّ أيبك، فقال الأمير حسام الدين بن أبى علىّ: لا تقتلوه لنأخذ به الشام، فقال أقطاى الجمدار: هذا الذى يأخذ مصر منّا بمائتى قناع! و جعلنا مخانيث، كيف نتركه! و ضربوا عنقه، و ساقوا على حميّة إلى جهة، فاعترضوا طلب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فوقع المصافّ بينهم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸

فخامر على الملك الناصر جماعة من المماليك العزيزيّة من مماليك أبيه، و جاءوا إلى الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ، و قالوا له: إلى أين تتوجّه؟ هذا السلطان واقف فى طلبه ليس له علم بكسرتهم، فعطفوا على الطّلب، و تقدمتهم العزيزيّة فكسروا سناجق السلطان و صناديقه و نهبوا ماله، و رموه بالنّشّاب، فأخذه نوفل الزّبيدىّ و جماعة من مماليكه و أصحابه و عادوا به إلى الشام، و أسر المصريّون الملك المعظّم [توران شاه] ابن السلطان صلاح الدين بعد أن جرحوه و جرحوا ولده تاج الملوك، و أخذوا الملك الأشرف صاحب حمص، و الملك الزاهر عمّه، و الملك الصالح إسماعيل صاحب الوقائع مع الملك الصالح نجم الدين أيّوب، و جماعة كثيرة من أعيان الحلبيّين؛ و مات تاج الملوك من جراحته فحمل إلى بيت المقدس و دفن به؛ و ضرب الشريف المرتضى فى وجهه بالسيف ضربة هائلة عرضا و أرادوا قتله، فقال: أنا رجل شريف و ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فتركوه؛ و تمزّق عساكر دمشق كلّ ممزّق، و مشوا فى الرمل أيّاما.

و أمّا المصريّون فإنّهم لمّا وقعت لهم هذه النّصرة عادوا إلى القاهرة بالأسارى، و سناجق الناصر مقلوبة و طبوله مشقّقة، و معهم الخيول و الأموال و العدد و شقّوا القاهرة، فلمّا وصلت المماليك الصالحيّة النّجميّة إلى تربة أستاذهم الملك الصالح نجم الدين أيّوب بين القصرين أخذوا الملك الصالح إسماعيل الذى أسروه فى الوقعة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹

و كان عدوّ أستاذهم الملك الصالح المذكور، و وقفوا به عند التّربة، و قالوا: يا خوند، أين عينك ترى عدوّك أسيرا بأيدينا! ثمّ سحبوه و مضوا به إلى الحبس، فحبسوه هو و أولاده أيّاما ثم غيّبوه إلى يومنا هذا، و لم يسمع عنه خبر إلّا ما تحدّث به العوامّ بإتلافه.

و أمّا عساكر الناضر الذين كانوا بالعبّاسة (أعنى الذين كسروا الملك المعزّ أيبك أوّلا) فإنّ المعزّ لمّا تمّ له النصر و هزم الناصر ردّ إلى المذكورين فى عوده إلى القاهرة، و مال عليهم بمن معه قتلا و أسرا حتى بدّد شملهم، و رحل إلى القاهرة بمن معه من الأسارى و غيرهم. و لمّا دخل الملك المعزّ أيبك هذا إلى القاهرة و معه المماليك الصالحيّة مالوا على المصريّين قتلا و نهبا و نهبوا أموالهم و سبوا حريمهم و فعلوا بهم ما لم يفعله الفرنج بالمسلمين.

قلت: و سبب ذلك أنّه لمّا بلغهم كسرة المعزّ فرحوا و تباشروا بزوال المماليك من الديار المصريّة، و أسرعوا أيضا بالخطبة للملك صلاح الدّين يوسف صاحب الشام المقدّم ذكره. و كان وزير الملك الصالح إسماعيل المقدّم ذكره معتقلا بقلعة الجبل هو و ناصر الدين [إسماعيل] بن يغمور نائب الشام و سيف الدين القيمرىّ و الخوارزمىّ صهر الملك الناصر يوسف، فخرجوا من الجبّ و عصوا بقلعة الجبل، فلم يوافقهم سيف الدين القيمرىّ بل جاء و قعد على باب الدار التى فيها أعيان الملك المعزّ أيبك و حماها من النهب، و لم يدع أحدا يقربها؛ و أمّا الباقون فصاحوا:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰

«الملك الناصر يا منصور!». فلما جاء الترك فتحوا باب القلعة و دخلوها، و أخذوا من كان عصى فيها، و شنقوا وزير الصالح و ابن يغمور و الخوارزمىّ متقابلين، و شنقوا أيضا مجير الدين بن حمدان، و كان شابّا حسنا، و كان تعدّى على بعض المماليك و أخذ خيله.

و أمّا الملك الناصر يوسف فإنّه سار حتّى وصل إلى غزّة و أقام ينتظر اصحابه، فوصل إليه منهم من سلم من عسكر الشام و عسكر الموصل و مضوا إلى الشام.

و أمّا العساكر المصريّة فإنّ الملك المعزّ أيبك المذكور لمّا دخل إلى مصر بعد هذه الوقعة عظم أمره و ثبتت قواعد ملكه و رسخت قدمه. ثمّ وقع له فصول مع الملك الناصر يوسف المذكور يطول شرحها. محصول ذلك: أنّه لمّا كانت سنة إحدى و خمسين و ستمائة وقع الاتّفاق بينه و بين الملك الناصر المذكور على أن يكون للعزّ و خشداشيته المماليك الصالحيّة البحريّة الديار المصريّة و غزّة و القدس، و ما بقى بعد ذلك من البلاد الشاميّة تكون للملك الناصر صلاح الدين يوسف. و أفرج الملك المعزّ عن الملك المعظّم توران شاه ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور و عن أخيه نصرة الدين و عن الملك الأشرف صاحب حمص و غيرهم من الاعتقال، و توجّهوا إلى الشام.

و لمّا فرغ الملك المعزّ من ذلك أخذ ينظر فى أمره مع فارس الدّين أقطاى الجمدار فإنّه كان أمره قد زاد فى العظمة و التفّت عليه المماليك البحريّة، و صار أقطاى المذكور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱

يركب بالشاويش و غيره من شعار الملك، و حدّثته نفسه بالملك، و كان أصحابه يسمّونه «الملك الجواد» فيما بينهم. كلّ ذلك و المعزّ سامع مطيع، حتّى خطب أقطاى بنت الملك المظفّر تقىّ الدين محمود صاحب حماة و كان أخوها الملك المنصور هو يومئذ صاحب حماة بعد موت أبيه. و تحدّث أقطاى مع الملك المعزّ أيبك أنّه يريد يسكنها فى قلعة الجبل لكونها من بنات الملوك، و لا يليق سكناها بالبلد، فاستشعر الملك المعزّ منه بما عزم عليه، و أخذ يدبّر أمره و عمل على قتله فلم يقدر على ذلك.

فكاتب الملك المعزّ السلطان صلاح الدين يوسف و استشاره فى الفتك به، فلم يجبه فى ذلك بشىء، مع أنّه كان يؤثر ذلك، لكنّه علم أنّه مقتول على كلّ حال، فترك الجواب. ثم سيّر فارس الدّين أقطاى الجمدار المذكور جماعة لإحضار بنت صاحب حماة إليه،

فخرجت من حماة و وصلت إلى دمشق بتجمّل عظيم فى عدّة محفّات مغشّاة بالأطلس و غيره من فاخر الثياب و عليها الحلىّ و الجواهر، ثم خرجت بمن معها من دمشق متوجّهة إلى الديار المصريّة.

و أمّا الملك المعزّ فإنّه لمّا أبطأ عليه جواب الملك الناصر صلاح الدين فى أمر أقطاى و تحقّق أن بنت صاحب حماة فى الطريق بقى متحيّرا، إن منعه من سكنى القلعة حصلت المباينة الكليّة، و إن سكّنه قويت أسبابه بها و لا يعود يتمكّن من إخراجه، و يترتّب على ذلك استقلال الأمير فارس الدين أقطاى بالملك فعمل على معاجلته؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲

فدخل أقطاى عليه على عادته، و قد رتّب له الملك المعزّ جماعة للفتك به، منهم:

الأمير سيف الدين قطز المعزى (أعنى الذى تسلطن بعد ذلك)، فلمّا دخل أقطاى و ثبوا عليه و قتلوه فى دار السلطنة بقلعة الجبل فى سنة اثنتين و خمسين و ستمائة؛ فتحرّك لقتله جماعة من خشداشيته البحريّة، ثم سكن الحال و لم ينتطح فى ذلك شاتان!.

و لمّا وقع ذلك التفت الملك المعزّ إلى خلع الملك الأشرف مظفّر الدين موسى الأيّوبىّ فخلعه و أنزله من قلعة الجبل إلى حيث كان أوّلا عند عمّاته القطبيّات.

و ركب الملك المعزّ بالسناجق السلطانيّة و حملت الأمراء الغاشية بين يديه و استقلّ على الملك بمفرده استقلالا تامّا إلى أن قصدت المماليك العزيزيّة القبض عليه فى سنة ثلاث و خمسين، فشعر بذلك قبل وقوعه فقبض على بعضهم و هرب بعضهم. م وقعت الوحشة ثانيا بين الملك المعزّ هذا و بين الملك الناصر صلاح الدين يوسف، فمشى الشيخ نجم الدين البادرائىّ بينهما حتّى قرّر الصلح بين المعزّ و بين الناصر، على أن تكون الشام جملة للملك الناصر، و ديار مصر للملك المعزّ؛ و حدّ ما بينهما بئر القاضى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳

و هو فيما بين الورّادة و العريش؛ و استمرّ الحال على ذلك. ثم إنّ الملك المعزّ تزوّج بالملكة شجرة الدّرّ أمّ خليل فى هذه السنة و دخل بها، و كان زواجه بها سببا لقتله على ما تقدّم فى ترجمتها، و على ما يأتى فى هذه الترجمة أيضا.

و لمّا تزوّجها و أقام معها مدّة أراد أن يتزوّج ببنت الملك الرحيم صاحب الموصل، و كانت شجرة الدرّ شديدة الغيرة، فعملت عليه و قتلته فى الحمّام، و أعانها على ذلك جماعة من الخدّام. و قد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا فى ترجمة شجرة الدرّ فيما مضى. و كان قتل الملك المعزّ فى يوم الثلاثاء الثالث و العشرين من شهر ربيع الأوّل سنة خمس و خمسين و ستّمائة. و كان ملكا شجاعا كريما عاقلا سيوسا كثير البذل للاموال، أطلق فى مدّة سلطنته من الأموال و الخيول و غير ذلك ما لا يحصى كثرة حتّى رضى الناس بسلطان مسّه الرّقّ. و أمّا أهل مصر فلم يرضوا بذلك إلى أن مات، و هم يسمعونه ما يكره، حتّى فى وجهه إذا ركب و مرّ بالطرقات، و يقولون: لا نريد إلّا سلطانا رئيسا مولودا على الفطرة. على أنّ الملك المعزّ كان عفيفا طاهر الذّيل بعيدا عن الظلم و العسف كثير المداراة لخشداشيته و الاحتمال لتجنّيهم عليه و شرّ أخلاقهم، و كذلك مع الناس. و خلّف عدّة أولاد منهم الملك المنصور علىّ الذى تسلطن بعده، و ناصر الدين قان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴

قال الشيخ قطب الدين اليونينىّ فى الذيل على مرآة الزمان: «و رأيت له ولدا آخر بالديار المصريّة فى سنة تسع و ثمانين و ستمائة، و هو فى زىّ الفقراء الحريريّة».

انتهى. و كان للمعزّ برّ و معروف و عمائر، من ذلك: المدرسة المعزّيّة على النيل بمصر القديمة و وقف عليها أوقافا. و دهليز المدرسة متّسع طويل مفرط؛ قيل: إنّ بعض الأكابر دخل إلى هذه المدرسة المذكورة فرآها صغيرة بالنسبة إلى دهليزها، فقال:

هذه المدرسة مجاز بلا حقيقة! انتهى. و كان مدرّسها القاضى برهان الدين الخضر ابن الحسن السّنجارىّ إلى أن مات. و كانت مدّة سلطنة الملك المعزّ على مصر سبع سنين. و مات و قد ناهز الستّين سنة- رحمه اللّه تعالى-.

قلت: و قد تقدّم أنّ الملك المعزّ أيبك هذا هو أوّل من ملك الديار المصريّة من الأتراك الذين مسّهم الرّقّ. و قد ذكرنا مبدأ أمره و ما وقع له من الحروب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵

و غيرها على سبيل الاختصار. و لنذكر هنا أيضا من عاصره من ملوك الأقطار ليعلم الناظر فى هذه الترجمة بأصل جماعة كبيرة من الملوك الآتى ذكرهم فى الحوادث، و أيضا بحدّ مملكة الملك المعزّ يوم ذاك، و حد تحكّمه من البلاد؛ و مع هذا كان له من المماليك و الحشم و العساكر أضعاف ما لملوك زماننا هذا مع اتّساع ممالكهم. انتهى.

و نذكر أيضا من أمر النار التى كانت بأرض الحجاز فى أيّام سلطنته فى سنة أربع و خمسين و ستمائة، فنقول:

استهلّت سنة أربع و خمسين المذكورة و الخليفة المستعصم بالله أبو أحمد عبد اللّه العباسىّ ببغداد، و سلطان مصر الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ هذا، و سلطان الشام إلى الفرات الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبىّ ما خلا حماة و حمص و الكرك و بلادا أخر نذكر ملوكها فيما يأتى- إن شاء اللّه تعالى- و هم: صاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب. و صاحب الكرك و الشوبك الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب. و صاحب صهيون و برزيه و بلاطنس الأمير مظفّر الدين عثمان ابن الأمير ناصر الدين منكورس. و صاحب تلّ باشر و الرّحبة و تدمر الملك الأشرف مظفّر الدين موسى بن إبراهيم بن شير كوه بن محمد بن شير كوه بن شادى.

و صاحب الموصل و أعمالها الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكىّ. و صاحب ميّافارقين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶

و ديار بكر و تلك الأعمال الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك المظفّر شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب. و صاحب ماردين الملك السعيد إيلغازى الأرتقىّ. و صاحب إربل و أعمالها الصاحب تاج الدين بن صلايا العلوىّ من جهة الخليفة. و النائب فى حصون الإسماعيليّة الثمانية بالشام رضىّ الدين أبو المعالى. و صاحب المدينة الشريفة- صلوات اللّه و سلامه على ساكنها- الأمير عزّ الدين أبو ملك منيف بن شيحة بن قاسم الحسينىّ. و صاحب مكّة المشرّفة- شرّفها اللّه تعالى- الشريف قتادة الحسينىّ. و صاحب اليمن الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر.

و أمّا ملوك الشرق: فسلطان ما وراء النهر و خوارزم السلطان ركن الدين و أخوه عزّ الدين و البلاد بينهما مناصفة، و هما فى طاعة هولاكو ملك التّتار.

و أمّا أمر النار التى ظهرت بالحجاز قال قاضى المدينة سنان الحسينىّ: «لمّا كان ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و ستّمائة، ظهر بالمدينة الشريفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷

دوىّ عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت منها المدينة و الحيطان و السّقوف ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر المذكور ظهرت نار عظيمة، و قد سالت أودية منها بالنّار إلى وادى شظا حيث يسيل الماء، و قد سدّت مسيل شظا و ما عاد يسيل.

ثم قال: و اللّه لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانا، و قد سدّت الحرّة طريق الحاجّ العراقىّ، و سارت إلى أن وصلت إلى الحرّة فوقفت بعد ما أشفقنا أن تجىء إلينا؛ و رجعت تسير فى الشرق، يخرج من وسطها مهود و جبال نيران تأكل الحجارة، كما أخبر اللّه فى كتابه العزيز فقال عزّ من قائل: (إنّها ترمى بشرر كالقصر. كأنّه جمالت صفر). قال: و قد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع و خمسين و النار فى زيادة ما تغيّرت؛ و قد عادت إلى الحرّة و فى قريظة طريق الحاجّ العراقىّ.

و أمّا أمر النار الكبيرة فهى جبال نيران حمر، و الأمّ الكبيرة النار التى سالت النيران منها من عند قريظة و قد زادت، و ما عاد الناس

يدرون أىّ شىء يتمّ بعد ذلك، و اللّه يجعل العاقبة إلى خير؛ و ما أقدر أصف هذه النار». انتهى كلام القاضى فى كتابه.

و قال غيره بعد ما ساق من أمر النار المذكورة عجائب نحوا ممّا ذكرناه و أعظم إلى أن قال: «و قد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربعة فراسخ و عرضه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸

أربعة أميال و عمقه قامة و نصفا، و هى تجرى على وجه الأرض، و تخرج منها أمهاد و جبال صغار تسير على الأرض، و هو صخر يذوب حتّى يبقى مثل الآنك، فإذا جمد صار أسود، و قبل الجمود لونه أحمر؛ و قد حصل بسبب هذه النار إقلاع عن المعاصى و التقرّب إلى اللّه تعالى بالطاعات؛ و خرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة».

ثم قال قطب الدين فى الذّيل: «و من كتاب شمس الدين سنان بن نميلة الحسينىّ قاضى المدينة إلى بعض أصحابه يصف الزّلزلة إلى أن ذكر قصّة النار و حكى منها شيئا إلى أن قال: و أشفقنا منها و خفنا خوفا عظيما، و طلعت إلى الأمير و كلّمته و قلت:

قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى اللّه! فاعتق كلّ مماليكه، و ردّ على جماعة أموالهم، فلمّا فعل هذا قلت له: اهبط الساعة معنا إلى النّبىّ- صلّى اللّه عليه و سلّم- فهبط، و بتنا ليلة السبت و الناس جميعهم و النسوان و أولادهم، و ما بقى أحد لا فى النخيل و لا فى المدينة إلّا عند رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و سلّم- و أشفقنا منها و ظهر ضوءها إلى أن أبصرت من مكّة، و من الفلاة جميعها. ثم سال من ذلك نهر من نار و أخذ فى وادى أحيلين و سدّ الطريق ثم طلع إلى بحرة الحاجّ، و هو بحر نار يجرى و فوقه جمر يسير إلى أن قطعت الوادى: وادى الشّظا، و ما عاد يجرى سيل قطّ لأنّها حفرته نحو قامتين. و المدينة قد تاب جميع أهلها و لا بقى يسمع فيها رباب و لا دفّ. ثمّ ذكر أشياء مهولة من هذا الجنس إلى أن قال: و الشمس و القمر من يوم طلعت النار ما يطلعان إلّا كاسفين! قال: و أقامت هذه النار أكثر من شهرين». و فيها يقول بعضهم:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹

يا كاشف الضّرّ صفحا عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يا ربّ بأساء

نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها حملا و نحن بها حقّا أحقّاء

زلازلا تخشع الصمّ الصّلاب لها و كيف يقوى على الزّلزال شمّاء

أقام سبعا يرجّ الأرض فانصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء

و القصيدة طويلة جدّا كلّها على هذا المنوال. و لو لا خشية الإطالة لذكرنا أمر هذه النار و ما وقع منها، فرأينا أنّ الشرح يطول، و المقصود هنا بقيّة ترجمة السلطان الملك المعزّ أيبك.

و لمّا مات المعزّ رثاه سراج الدّين الورّاق بقصيدة أوّلها:

نقيم عليه مأتما بعد مأتم و نسفح دمعا دون سفح المقطّم

و لو أنّنا نبكى على قدر فقده لدمنا عليه نتبع الدّمع بالدم

و سل طرفى ينبيك عنّى أنّنى دعوت الكرى من بعده بالمحرّم

و منها فى ذكر ولده الملك المنصور علىّ- رحمه اللّه-:

بنى اللّه بالمنصور ما هدّم الرّدى و إنّ بناء اللّه غير مهدّم

مليك الورى بشرى لمضمر طاعة و بؤسى لطاغ فى زمانك مجرم

فما للذى قدّمت من متأخّر و لا للذى أخّرت من متقدّم

و أيبك صوابه كما هو مكتوب، و هو لفظ تركىّ مركّب من كلمتين. فأى هو القمر، و بك أمير، فمعنى الاسم باللغة العربية أمير قمر، و لا عبرة بالتقديم و التأخير فى اللفظ، و أيبك (بفتح الهمزة و سكون الياء المثناة من تحت و تفخيمهما معا) و بك معروف لا حاجة

إلى التعريف به. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٠

السنة التى حكم فى محرّمها الملك المعظّم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين، ثم فى صفر و الربيعين منها الملكة شجرة الدّرّ أمّ خليل الصالحيّة، ثمّ فى باقيها الملك المعزّ أيبك صاحب الترجمة، و معه الملك الأشرف مظفّر الدين موسى، و العمدة فى ذلك على المعزّ هذا، و هى سنة ثمان و أربعين و ستّمائة.

فيها كانت كسرة الفرنج على دمياط و قبض على الفرنسيس كما تقدّم.

و فيها قتل الملك المعظّم توران شاه، و قد مرّ أيضا.

و فيها كانت الوقعة بين الملك الناصر صلاح الدين يوسف و بين الملك المعزّ هذا.

و فيها حجّ طائفة من العراق، و لم يحجّ أحد من الشام و لا مصر فى هذه السنة.

و فيها ثارت الجند ببغداد لقطع أرزاقهم. و كلّ ذلك كان من عمل الوزير ابن العلقمىّ الرافضىّ، فإنّه كان حريصا على زوال دولة بنى العبّاس و نقلها إلى العلويّين، و كان يرسل إلى التّتار فى السرّ و الخليفة المستعصم لا يطّلع على باطن الأمور.

و فيها لمّا فرغوا من حرب دمياط و تفرّق أهلها نقلوا أخشاب بيوتهم و أبوابهم منها و تركوها خاوية على عروشها، ثم بنيت بعد ذلك بليدة بالقرب منها تسمّى المنشيّة.

و كان سور دمياط من أحسن الأسوار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢١

و فيها توفّيت أرغوان الحافظية عتيقة الملك العادل أبى بكر بن أيّوب، سمّيت الحافظيّة لأنّها ربّت الملك الحافظ صاحب [قلعة] جعبر، و كانت امرأة عاقلة صالحة، و كانت مدّة حبس الملك المغيث ابن الملك الصالح نجم الدين أيّوب بدمشق تهيّى له الأطعمة و الأشربة و تبعث له النياب، فحقد عليها الملك الصالح إسماعيل فصادرها و أخذ منها أموالا عظيمة، يقال: إنّه أخذ منها أربعمائة صندوق. و لها تربة و مسجد و وقفت عليهما أوقافا.

و فيها قتل الأمير شمس الدين لؤلؤ بن عبد اللّه مقدّم عسكر حلب، و هو الذى قتلته المماليك الصالحيّة فى الوقعة التى كانت بين الناصر و المعزّ صاحب الترجمة. و كان أميرا شجاعا مقداما زاهدا مدبّرا عظيم الشأن، و كان فيه قوّة و بأس غير أنّه كان مستخفّا بالمماليك، و يقول: كلّ عشرة من المماليك فى مقابلة كرىّ، و لا زال يمعن فى ذلك حتى كانت منيته بأيدى المماليك الصالحيّة كما تقدّم ذكره.

و فيها توفّى ابو الحسن المتطبّب وزير الملك الصالح إسماعيل، و هو الذى كان السبب زوال ملك مخدومه، فإنّه كان سيىء السّيرة كثير الظلم قليل الخير، و كان يتستّر بالإسلام، و كان يرمى فى دينه بعظائم؛ و قيل: إنّه كان أوّلا سامريّا فلم يحسن إسلامه؛ و ظهر له بعد موته من الأموال و الجواهر و التّحف و الذخائر ما لا يوجد فى خزائن الخلفاء، و أقاموا ينقلونه مدّة سنين. و قيمة ما ظهر له غير ما ذهب عند الناس ثلاثة آلاف ألف دينار؛ و وجد له عشرة آلاف مجلّد من الكتب النفيسة و الخطوط المنسوبة. قال الشيخ إسماعيل [بن علىّ] الكورانىّ يوما و قد زاره الوزير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٢

المذكور: لو بقيت على دينك كان أصلح لأنّك تتمسّك بدين فى الجملة؛ و أمّا الآن فأنت مذبذب لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء!.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الإمام أبو محمد إبراهيم بن محمود بن سالم بن الخيّر فى شهر ربيع الاخر، و له خمس و ثمانون سنة. و الحافظ شمس الدين يوسف بن خليل الدّمشقىّ الأدمىّ بحلب فى جمادى الاخرة، و له ثلاث و تسعون سنة. و القاضى أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحبّاب التّميمىّ السّعدىّ، و له سبع و ثمانون سنة فى شهر رمضان. و

المحدّث أبو محمد عبد الوهاب ابن رواح، و اسمه ظافر بن علىّ بن فتوح القرشىّ المالكىّ، و له أربع و تسعون سنة.

و أبو المنصور مظفّر بن عبد الملك بن الفوّىّ المالكىّ. و نائب الملك الناصر الأمير شمس الدين لؤلؤ قتل فى جماعة فى الوقعة الكائنة بين المصريّين و الشاميّين.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبعان.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۴۹]

السنة الثانية من ولاية السلطان الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر، و هى سنة تسع و أربعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳

فيها عاد الملك الناصر صلاح الدين يوسف من غزّة إلى دمشق، و أرسل المعزّ عسكر مصر فنزل إلى غزّة و الساحل، ثم عادوا إلى القاهرة.

و فيها أيضا أخذ الملك المغيث ابن الملك العادل بن الملك الكامل الكرك و الشّوبك، أعطاه إيّاهما الخادم. و لمّا سمع الملك المعزّ بذلك جهّز الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار فى ألف فارس إلى غزّة.

و فيها نقلوا تابوت الملك الصالح نجم الدين أيّوب إلى تربته بالقاهرة بين القصرين، و لبس الأمراء ثياب العزاء و ناحوا عليه بين القصرين، و تصدّقت جاريته شجرة الدّرّ فى ذلك اليوم بمال عظيم.

و فيها أخرب التركمان دمياط و حملوا آلاتها إلى مصر و أخربوا الجزيرة (أعنى الروضة) و أخلوها.

و فيها كثر الظلم بالديار المصريّة و عظم الجور و المصادرات لكلّ أحد حتى أخذوا مال الأوقاف و مال الأيتام على نيّة القرض، و من أرباب الصنائع كالأطباء و الشهود.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴

و فيها توفّى الفقيه بهاء الدين علىّ بن هبة اللّه بن سلامة بن الجميزىّ، كان إماما فاضلا عارفا بمذهب الشافعىّ ديّنا، و كان يخالط الملوك. و لمّا حجّ قبل هدية صاحب اليمن فأعرض عنه الملك الصالح نجم الدين أيّوب لذلك. و كانت وفاته فى ذى الحجة بمصر، و دفن بالقرافة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى الإمام عبد الظاهر ابن نشوان السّعدىّ المقرئ النحوىّ الضرير فى جمادى الأولى. و أبو نصر عبد العزيز ابن يحيى بن الزبيدىّ، و له تسع و ثمانون سنة. و الإمام أبو المظفّر محمد بن مقبل ابن فتيان النّهروانىّ بن المنّىّ فى جمادى الآخرة. و أبو نصر الأعزّ بن فضائل ببغداد فى رجب. و الأمير الصاحب جمال الدين يحيى بن عيسى المصرى ابن مطروح الأديب. و أبو القاسم عيسى بن أبى الحرم مكّىّ بن حسين العامرىّ المصرىّ المقرئ فى شوّال. و الإمام أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب بن المعمّر النّشترىّ بماردين فى ذى الحجة. و الإمام العلّامة بهاء الدين أبو الحسن علىّ بن هبة اللّه بن سلامة بن الجمّيزىّ فى ذى الحجّة، و له تسعون سنة و أسبوعان. و الفقيه عبيد اللّه بن عاصم خطيب رندة، و له سبع و ثمانون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۰]

السنة الثالثة من ولاية الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ على مصر، و هى سنة خمسين و ستّمائة.

فيها وصلت التّتار إلى الجزيرة و نهبوا ديار بكر و ميّافارقين، و جاءوا إلى رأس عين و سروج و غيرها، و قتلوا زيادة على عشرة آلاف إنسان، و صادفوا قافلة خرجت من حرّان تقصد بغداد، فأخذوا منها أموالا عظيمة: منها ستّمائة حمل سكّر مصرىّ و ستّمائة ألف دينار، قاله أبو المظفّر فى مرآة الزمان، قال: و قتلوا الشيوخ و العجائز و ساقوا من النساء و الصّبيان ما أرادوا، ثم رجعوا إلى خلاط. و قطع أهل الشرق الفرات و خاض الناس فى القتلى من دنيسر إلى الفرات. قال بعض التّجار:

عددت على جسر بين حرّان و رأس عين فى مكان واحد ثلثمائة و ثمانين قتيلا من المسلمين؛ ثم قتل ملك التّتار كشلوخان.

و فيها حجّ بالناس من بغداد بعد أن كان بطل الحجّ منذ عشر سنين من سنة مات الخليفة المستنصر.

و فيها قدم الشيخ نجم الدين البادرانىّ رسولا من الخليفة و أصلح بين المعزّ أيبك صاحب الترجمة و بين الناصر يوسف، و قد تقدّم ذلك، و كان كلّ واحد من الطائفتين قد سئم و ضرس من الحرب، و سكنت الفتنة بين الملوك و استراح الناس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶

و فيها توفّى العلّامة رضىّ الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علىّ القرشىّ العدوىّ العمرىّ الصاغانىّ الأصل الهندىّ اللاهورىّ المولد البغدادىّ الوفاة المحدّث الفقيه الحنفىّ اللغوىّ الإمام صاحب التصانيف، ولد بمنية لاهور فى عاشر صفر سنة سبع و سبعين و خمسمائة و نشأ بغزنة، و دخل بغداد فسمع الكثير فى عدّة بلاد و رحل. و كان إليه المنتهى فى علم العربية و اللغة، و صنّف كتاب «مجمع البحرين» فى اللغة، اثنا عشر مجلّدا، و كتاب «العباب الزاخر» فى اللّغة أيضا عشرون مجلدا، و أشياء غير ذلك. قال الحافظ الدّمياطى: و كان شيخا صدوقا صالحا صموتا عن فضول الكلام إماما فى اللّغة و الفقه و الحديث؛ قرأت عليه يوم الأربعاء و توفّى ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان، و حضرت دفنه بداره بالحريم الطاهرىّ ببغداد. ثم ترجمه الدمياطى ترجمة طويلة و أثنى على علمه و فضله و دينه.

و فيها توفّى الشيخ شمس الدين محمد بن سعد [بن عبد اللّه بن سعد بن مفلح بن هبة اللّه] الكاتب المقدسىّ نشأ بقاسيون على الخير و الصلاح و قرأ النحو و العربيّة و سمع الحديث الكثير، و برع فى الأدب. و كان ديّنا حسن الخط و كتب للملك الصالح إسماعيل و للملك الناصر داود. و من شعره:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷

لنا بقدوم طلعتك الهناء و للأعداء و يحهم الفناء

قدمت فكنت شبه الغيث وافى بلادا قد أحلّ بها الظّماء

قلت: و يعجبنى فى هذا المعنى قول القائل و لم أدر لمن هو:

قدومك أشهى من زلال على ظما و أحسن من نيل المنى فى المآرب

حكى الغيث وافى الأرض من بعد جدبها و أطلع فيها النبت من كلّ جانب

و فيها توفّى الأمير الصاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم ابن الحسين بن علىّ بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح. كان أصله من صعيد مصر، و ولد به و نشأ هناك، ثم قدم القاهرة و اشتغل و برع فى الأدب و الكتابة و اتّصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيّوب. قال أبو المظفّر: كان فاضلا كيسا شاعرا. و من شعره لمّا فتح الناصر داود برج داود بالقدس، قال:

المسجد الأقصى له عادة سارت فصارت مثلا سائرا

إذا غدا للكفر مستوطنا أن يبعث اللّه له ناصرا

فناصر طهّره أوّلا و ناصر طهّره آخرا

قال: و توفى فى شعبان و دفن بساريه بالقرافة و كانت له أخبار عظيمة، و كان قد دخل بين الخوارزميّة و الصالح أيّوب، و استنابه أيّوب بالشام و لبس ثياب الجند و ما كانت تليق به. ثمّ غضب عليه الصالح و أعرض عنه إلى أن مات، فأقام خاملا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸

إلى أن مات. و قد كان جوادا ذا مروءة متعصّبا سمحا حليما حسن الظنّ بالفقراء عارفا فاضلا. انتهى كلام أبى المظفّر. قلت: و ديوان شعره مشهور. و من شعره القصيدة المشهورة:

هى رامة فخذوا يمين الوادى و ذروا السيوف تقرّ فى الأغماد

و حذار من لحظات أعين عينها فلكم صرعن بها من الاساد

من كان منكم واثقا بفؤاده فهناك ما أنا واثق بفؤادى

يا صاحبىّ ولى بجرعاء الحمى قلب أسير ماله من فادى

سلبته منّى يوم بانوا مقلّة مكحولة أجفانها بسواد

و بحىّ من أنا فى هواه ميّت عين على العشّاق بالمرصاد

و أغنّ مسكىّ اللّمى معسوله لو لا الرقيب بلغت منه مرادى

كيف السبيل إلى وصال محجّب ما بين بيض ظبا و سمر صعاد

فى بيت شعر نازل من شعره فالحسن منه عاكف فى بادى

حرسوا مهفهف قدّه بمثقّف فتشابه الميّاس بالميّاد

قالت لنا ألف العذار بخدّه فى ميم مبسمه شفاء الصادى

و هى أطول من ذلك اختصرتها خوف الإطالة. و يعجبنى قصيدة الجزّار فى مدح ابن مطروح هذا. أذكر غزلها:

هو ذا الرّبع ولى نفس مشوقه فاحبس الركب عسى أقضى حقوقه

فقبيح بى فى شرع الهوى بعد ذاك البرّ أن أرضى عقوقه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹

لست أنسى فيه ليلات مضت مع من أهوى و ساعات أنيقة

و لئن أضحى مجازا بعدهم فغرامى فيه ما زال حقيقة

يا صديقى و الكريم الحرّ فى مثل هذا الوقت لا ينسى صديقه

ضع يدا منك على قلبى عسى أن تهدّى بين جنبىّ خفوقه

فاض دمعى مذ رأى ربع الهوى و لكم فاض و قد شام بروقه

نفد اللؤلؤ من أدمعه فغدا ينثر فى التّرب عقيقه

قف [معى] و استوقف الركب فإن لم يقف فاتركه يمضى و طريقه

فهى أرض قلّما يلحقها آمل و الرّكب لم أعدم لحوقه

طالما استجليت فى أرجائها من يتيه البدر إذ يدعى شقيقه

يفضح الورد احمرارا خدّه و تودّ الخمر لو تشبه ريقه

فبه الحسن خليق لم يزل و المعالى بابن مطروح خليقه

و له بيتان ضمّنهما بيت المتنبّى الذى هو أوّل قصيدته، و هو:

تذكّرت ما بين العذيب و بارق مجرّ عوالينا و مجرى السوابق

فقال ابن مطروح مضمّنا:

إذا ما سقانى ريقه و هو باسم تذكّرت ما بين العذيب و بارق

و يذكرنى من قدّه و مدامعى مجرّ عوالينا و مجرى السوابق

الـذين ذكر الـذهبىّ وفـاتهم فى هـذه السـنة، قـال: و فيهـا توفّى أبو البركات هبـة اللّه ابن محمـد بن الحسـين [المعروف بآ] بن الواعظ المقدسىّ ثم الإسكندرانىّ عن إحدى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰

و ثمانين سـنة. و أبو القاسم يحيى بن أبى السـعود [نصـر] بن قميرة التاجر فى جمادى الأولى، و له خمس و ثمانون سـنة. و العلّامـة أبو الفضائل الحسن بن محمـد بن الحسن العـدوى العمرىّ الصّغانىّ النحوىّ اللغوىّ. و الأديب شـمس الـدين محمد بن سـعد بن عبد اللّه المقدسىّ الكاتب فى شوّال. و المسند رشيد الدين أحمد بن المفرّج بن علىّ [بن عبد العزيز] بن مسلمة العدل فى ذى القعدة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۱]

السنة الرابعة من ولاية الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر، و هى سنة إحدى و خمسين و ستمائة.

فيها كانت الوقفة الجمعة.

و فيها عظم بمصـر أمر الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار و رشّح للسـلطنة، و كان من حزبه من خشداشـيته بيبرس البندقدارىّ، و بلبان الرّشيدىّ، و سنقر الرّومىّ، و سنقر الأشقر. و صار الملك المعزّ فى خوف. و قد تقدّم ذكر هذه الحكاية فى ترجمة المعزّ.

و فيها كان الغلاء بمكّة المشرّفة، و أبيع فيها الشّربة الماء بدرهم، و الشاة بأربعين درهما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱

و فيهـا توفّى الشـيخ الإمام سـعد الـدين محمـد بن المؤيّـد [بن عبـد اللّه بن علىّ] بن حمّويه ابن عمّ شـيخ الشـيوخ صـدر الـدين. مات بخراسان، و كان زاهـدا عابـدا ديّنا متكلّما فى الحقيقـة، و له مجاهـدات و رياضات، و قـدم الشام و حـجّ و سـكن بدمشق، ثمّ عاد إلى الشـرق بعـد أن افتقر بالشـام، و اجتمع بملـك التّتـار فـأحسن به الظنّ و أعطـاه مالا كثيرا، و أسـلم على يـده خلق كثير من التّتار، و بنى هناك خانقاه و تربة إلى جانبها، و أقام يتعبّد، و كان له قبول عظيم هناك- رحمه اللّه تعالى-.

الـذين ذكر الـذهبىّ وفاتهم فى هـذه السـنة، قال: و فيها توفّى أبو البقاء صالـح بن شـجاع بن محمـد بن سيّدهم المـدلجىّ الخيّاط فى المحرّم. و سـبط السّـلفىّ أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى الحرم مكّىّ بن عبد الرحمن الطّرابلسـىّ الإسـكندرانىّ فى شوّال عن إحدى و ثمانين سنة. و أبو محمد عبد القادر بن حسين [بن محمد بن جميل] البندنيجىّ البوّاب آخر من روى عن عبد الحق اليوسفىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و تمانى أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۲]

السنة الخامسة من ولاية الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر؛ و هى سنة اثنتين و خمسين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲

فيهـا وصـلت الأخبار من مكّـة بأنّ نارا ظهرت فى أرض عـدن فى بعض جبالها، بحيث يطير شـررها إلى البحر فى الليل، و يصـعد منها دخـان عظيم فى النهـار، فما شـكّوا أنّها النار التى ذكر النّبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم أنّها تظهر فى آخر الزمان. فتاب الناس و أقلعوا عمّا كانوا عليه من المظالم و الفساد، و شرعوا فى أفعال الخير و الصدقات.

قلت: و قد تقدّم ذكر هذه النار بأوسع من هذا فى ترجمة الملك المعزّ هذا.

و فيها وصـلت الأخبار من الغرب باستيلاء إنسان على إفريقيّـة و ادّعى أنّه خليفة، و تلقّب بالمستنصر، و خطب له فى تلك النواحى، و

أظهر العدل و بنى برجا و أجلس الوزير و القاضى و المحتسب بين يديه يحكمون بين الناس، و أحبّته الرعيّة و تمّ أمره.

و فيها توفّى الإمام عبد الحميد بن عيسى الخسرو شاهىّ. كان إماما فاضلا فى فنون، و صحب الفخر الرازىّ ابن خطيب الرّىّ، و أقام عند الملك الناصر داود سنين كثيرة بدمشق و الكرك، و كان متواضعا كبير القدر كثير الإحسان. مات بدمشق و دفن بقاسيون فى تربة المعظّم عيسى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد اللّه [ابن أبى القاسم الخضر بن محمد بن علىّ] بن تيميّة الحرّانىّ الحنبلىّ جدّ الشيخ تقىّ الدين ابن تيميّة. ولد فى حدود سنة تسعين و خمسمائة و تفقّه فى صغره على عمّه الخطيب فخر الدين؛ و سمع الكثير و رحل البلاد و برع فى الحديث و الفقه و غيره، و درّس و أفتى و انتفع به الطلبة، و مات يوم الفطر بحرّان.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى سديد [الدين] أبو محمد مكّى [بن أبى الغنائم] ابن المسلم [بن مكّى] بن علّان القيسى فى صفر، و له تسع و ثمانون سنة. و الرشيد إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقىّ الحنبلىّ عن نيّف و ثمانين سنة فى جمادى الأولى. و المفتى كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة النّصيبىّ بحلب عن سبعين سنة. و أبو البقاء محمد بن على بن بقاء [بن] السبّاك. و العلّامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد اللّه بن أبى القاسم ابن تيميّة بحرّان يوم الفطر عن اثنتين و ستين سنة. و أبو الغيث فرج [بن عبد اللّه] الحبشىّ فتى أبى جعفر القرطبى فى شوّال. و الإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسرو شاهىّ بدمشق. و أبو العزائم عيسى بن سلامة بن سالم الخيّاط بحرّان فى أواخر السنة، و له مائة و سنة. و الفارس أقطاى مقدّم البحريّة، قتله المعزّ بمصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۳]

السنة السادسة من ولاية الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر، و هى سنة ثلاث و خمسين و ستمائة.

فيها عزمت المماليك العزيزيّة على القبض على الملك المعزّ و كاتبوا الملك الناصر فلم يوافقهم أيدغدىّ العزيزىّ، و استشعر الملك المعزّ منهم بذلك و علم الخبر، و علموا هم أيضا فهربوا على حميّة، و كبيرهم آقوش البرنلى، و لم يهرب أيدغدى و أقام بمخيّمه، فجاء الملك المعزّ راكبا إلى قرب خيمته فخرج إليه أيدغدى فأمر المعزّ بحمله، و قبض أيضا على الأمير الأتابكى و نهبت خيام العزيزيّة و كانوا بالعبّاسة، و الأعيان الذين هربوا: هم بلبان الرّشيدىّ، و عزّ الدين أزدمر، و بيبرس البندقدارىّ، و سنقر الأشقر، و سيف الدين قلاوون الألفى، و بدر الدين بيسرى، و سنقر الرّومى، و بلبان المستنصرىّ.

و فيها عاد الملك الناصر داود من الأنبار إلى دمشق بعد أن حبسه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بقلعة حمص ثلاث سنين و بعث به إلى بغداد، ثم عاد إلى دمشق و أقام بها، ثم عاد فى سنة ثلاث و خمسين إلى العراق، و حجّ و أقام بالحلّة، و كان قد جرى بين الحجّ العراقىّ و أصحاب أمير مكّة فتنة، فأصلح بينهم.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المفتى ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم الحلبىّ فى صفر عن نيّف و تسعين سنة. و المحدّث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵

شهاب الدين أبو العرب إسماعيل بن حامد الأنصارى القوصىّ فى شهر ربيع الأوّل عن ثمانين سنة. و النور محمد بن أبى بكر بن أحمد بن خلف البلخىّ ثم الدّمشقىّ، فى شهر ربيع الآخر، و قد رأى السّلفىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۴]

السنة السابعة من ولاية الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر، و هى سنة أربع و خمسين و ستمائة.

فيها فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف مدرسته التى أنشأها بدمشق بباب الفراديس.

و فيها غرقت بغداد الغرق العظيم الذى لم يعهد مثله بحيث انتقل الخليفة، و دخل الماء إلى دار الوزير و غرقت خزائن الخليفة، و جرى شىء لم يجر مثله، و كان ذلك فى شهر ربيع الآخر و جمادى الأولى.

و فيها توفّى الشيخ الزاهد العابد الورع المجاهد عماد الدين عبد اللّه [بن أبى المجد الحسن بن الحسين بن علىّ الأنصارىّ] ابن النحّاس، خدم فى مبادئ أمره الملوك، و ولى الوزارة لبعضهم، ثم انقطع فى آخر عمره بقاسيون بزاويته، فأقام بها ثلاثين سنة صائما قائما مشغولا بالله تعالى و يقضى حوائج الناس بنفسه و ماله، و دفن بقاسيون، و كان له مشهد هائل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶

و فيها كان ظهور النار العظيمة بالمدينة الشريفة و هى غير التى ذكرناها فى السنة الماضية، و هذه النار التى تقدّم ذكرها فى ترجمة الملك المعزّ هذا.

و فيها احترق مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى شهر رمضان، و هذا غير النار التى ظهرت بنواحى المدينة، فإن هذا الحريق له سبب، ابتدأ من زاوية الحرم النبوىّ [الغربية من الشمال]، فعلقت فى آلات الحرم ثم دبّت فى السّقوف، فما كان إلّا ساعة حتّى احترقت سقوف المسجد أجمع، و وقع بعض أساطينه، و كان ذلك قبل أن ينام الناس، و احترق أيضا سقف الحجرة، و أصبح الناس فى يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة. و نظم فى حريق المسجد غير واحد من الشعراء، فقال معين الدين بن تولو المغربىّ:

قل للرّوافض بالمدينة مالكم يقتادكم للذّمّ كلّ سفيه

ما أصبح الحرم الشريف محرّقا إلّا لسبّكم الصحابة فيه

و قال غيره:

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه و لا دهاه العار

لكنها أيدى الرّوافض لامست ذاك الجناب فطهّرته النار

قال: و عدّ ما وقع من تلك النار الخارجة و حريق المسجد من جملة الآيات.

و قال أبو شامة: فى ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أوّل الليل، و كان شديد الحمرة ثم انجلى، و كسفت الشمس فى غده، احمرّت وقت طلوعها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷

و [قريب] غروبها، و اتّضح بذلك ما صوّره الإمام الشافعىّ من اجتماع الخسوف و الكسوف، و استبعده أهل النّجامة.

و فيها تواترت الأخبار بوصول هولاكو إلى أذربيجان قاصدا بلاد الشام، فتصالح العسكر المصرىّ و الشامىّ على قتاله و تهيّأ كلّ منهم للقاء التّتار.

و فيها توفّى الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أونبا [بن عبد اللّه] الصّوابى نائب دمشق، وليها بعد حسام الدّين بن أبى علىّ، و كان فى أوّل أمره أمير جاندار الملك الصالح نجم الدين أيّوب، و كان أميرا كبيرا عاقلا فاضلا شاعرا. و من شعره- رحمه اللّه تعالى-:

أشبهك الغصن فى خصال القدّ و اللّين و التثنّى

لكن [تجنّيك] ما حكاه الغصن يجنى و أنت تجنى

و فيها توفّى الإمام العلّامة عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن الحسن زكىّ الدين أبو محمد البغدادىّ ثم المصرىّ المعروف بابن أبى الإصبع. كان أحد الشعراء المجيدين، و هو صاحب التصانيف المفيدة فى الأدب و غيره. و مولده فى سنة خمس و قيل سنة تسع و ثمانين و خمسمائة بمصر و توفّى بها.

و من شعره فى نوع «التصدير» و سمّاه الأوائل «ردّ العجز على الصدر» على خلاف وقع فى ذلك:

اصبر على خلق من تصاحبه و اصحب صبورا على أذى خلقك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸

و ذكر أيضا فى نوع «المدح فى معرض الذم» أبياتا يعارض بها القاضى السعيد ابن سناء الملك فى قوّاد. فقال هو فيمن ادّعى الفقه و الكرم:

إنّ فلانا أكرم الناس لا يمنع ذا الحاجة من فلسه

و هو فقيه ذو اجتهاد و قد نصّ على التقليد فى درسه

فيحسن البحث على وجهه و يوجب الدّخل على نفسه

و أمّا قول ابن سناء الملك فى قوّاد:

لى صاحب أفديه من صاحب حلو التأتّى حسن الاحتيال

لو شاء من رقّة ألفاظه ألّف [ما] بين الهدى و الضلال

يكفيك منه أنّه ربّما قاد إلى المهجور طيف الخيال

قلت: و يعجبنى قول من قال فى هذا المعنى- أعنى فى قوّاد-:

إذا كان الذى تهواه غصنا و أقسم لا يرقّ لمن يهيم

فدونك و النّسيم له رسولا فإنّ الغصن يعطفه النسيم

و أحسن من هذا قول من قال:

لى صاحب ما زلت أشكر فعله قد عمّنى بلطائف الإحسان

لو لم يكن مثل النسيم لطافة ما كان يعطف لى غصون البان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۹

و فيها توفّى الشيخ الإمام الفقيه الواعظ المؤرّخ العلّامة شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قزأوغلى بن عبد اللّه البغدادىّ ثم الدّمشقىّ الحنفىّ سبط الحافظ أبى الفرج ابن الجوزىّ. كان والده حسام الدين قزأوغلى من مماليك الوزير عون الدين يحيى ابن هبيرة، و كان عنده بمنزلة الولد، ربّاه و أعتقه و أدّبه. و مولد الشيخ شمس الدين هذا فى سنة اثنتين و ثمانين و خمسمائة ببغداد، و بها نشأ تحت كنف جدّه لأمّه الحافظ أبى الفرج ابن الجوزىّ إلى أن مات فى سنة سبع و تسعين و خمسمائة، و اشتغل و برع فى عدّة علوم، و وعظ ببغداد و غيرها، و قدم دمشق و استوطنها، و نالته السعادة و الوجاهة عند الملوك، لا سيّما الملك المعظّم عيسى، فإنّه كان عنده بالمنزلة العظمى؛ و رحل البلاد و سمع الحديث و جلس للوعظ فى الأقطار، و كان له لسان حلو فى الوعظ و التّذكار، و لكلامه موقع فى القلوب، و عليه قابليّة من الخاص و العام؛ و له مصنّفات مفيدة: تاريخه المسمّى «مرآة الزمان» و هو من أجلّ الكتب فى معناها. و نقلت منه فى هذا الكتاب معظم حوادثه. و كانت وفاته فى ذى الحجّة. رحمه اللّه تعالى.

و قد استوعبنا ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى» بأوسع من هذا إذ هو كتاب تراجم و ليس للإطناب فى ذكره هنا محلّ، كون أننا شرطنا فى هذا الكتاب ألّا نطنب إلّا فى تراجم ملوك مصر الذين تأليف هذا الكتاب بصددهم، و ما عداهم

يكون على سبيل الاختصار فى ضمن الحوادث المتعلقة بالمترجم من ملوك مصر. انتهى.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبى الفوارس بن موسك القيمرىّ واقف المارستان بجبل الصالحيّة، كان أكبر الأمراء فى آخر عمره و أعظمهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۰

مكانة، و جميع أمراء الأكراد القيمريّة و غيرهم كانوا يتأدّبون و يقفون فى خدمته إلى أن مات فى شعبان، و هو أجلّ الأمراء مرتبة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العماد أبو بكر عبد اللّه بن أبى المجد الحسن بن الحسين الأنصارىّ ابن النحّاس الأصمّ فى المحرّم، و له اثنتان و ثمانون سنة. و الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد [بن عبد الرحمن] بن وثيق الإشبيلىّ المقرئ بالإسكندريّة، و له سبع و ثمانون سنة، توفّى فى شهر ربيع الآخر.

و القاضى أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام بن المقدسيّة السّفاقسىّ، آخر من حضر على السّلفىّ فى جمادى الأولى. و المفتى شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسىّ. و الواعظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى سبط ابن الجوزىّ فى ذى الحجّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۱

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۵]

ذكر سلطنة الملك المنصور علىّ بن أيبك التّركمانى على مصر

السلطان الملك المنصور نور الدين علىّ ابن السلطان الملك المعزّ عزّ الدين أيبك التّركمانىّ الصالحىّ النجمىّ، ملك الديار المصريّة بعد قتل أبيه المعزّ أيبك فى يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأوّل سنة خمس و خمسين و ستمائة، و تمّ أمره و خطب له من الغد فى يوم الجمعة سادس عشرينه على منابر مصر و أعمالها. و المنصور هذا هو الثانى من ملوك مصر من الترك بالديار المصريّة.

و تسلطن المنصور هذا و عمره خمس عشرة سنة، و ركب فى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الآخر بشعار السلطنة من القلعة إلى قبة النصر فى موكب هائل، ثم عاد و دخل القاهرة من باب النصر، و ترجّل الأمراء و مشوا بين يديه ما خلا الأتابك علم الدين سنجر الحلبىّ، ثم صعد المنصور إلى القلعة و جلس بدار السلطنة و مدّ السّماط للأمراء فأكلوا، و وزر له وزير أبيه شرف الدين الفائزىّ و انفضّ الموكب.

و فى يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر خطب للملك المنصور و بعده لأتابكه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۲

علم الدين سنجر الحلبىّ المذكور. و فوّض القضاء بالقاهرة و أعمالها إلى القاضى بدر الدين السّنجارىّ، و عزل تاج الدين ابن بنت الأعزّ و أبقى عليه قضاء مصر القديمة و أعمالها.

و فى عاشر شهر ربيع الآخر قبض الأمير قطز و سنجر [الغتمى] و بهادر و غيرهم من الأمراء المعزّيّة على الأتابك سنجر الحلبىّ، و أنزلوه إلى الجبّ بالقلعة، و كان القبض عليه لأمور: أحدها أنّه كان طمع فى السلطنة بعد قتل الملك المعزّ أيبك لمّا طلبته شجرة الدّرّ و عرضت عليه الملك، و الثانى أنه بلغهم أنه ندم على ترك الملك و هو فى عزم الوثوب؛ فعاجلوه و قبضوا عليه. و لمّا قبض عليه اضطربت خشداشيته من المماليك الصالحيّة النّجميّة و خاف كلّ أحد على نفسه، فهرب أكثرهم إلى جهة الشام، فخرج فى إثرهم

جماعـة من الأمراء المعزّيّـة و غيرهم، و تقنطر بالأمير عزّ الدين أيبك الحلبىّ الكبير فرسه، و كذلك الأمير خاصّ تركـ الصـغير فهلكا خـارج القاهرة و أدخلا ميتين، و كانوا ركبوا فى جماعـة من المماليك الصالحيّـة فى قصـد الشام أيضا. و اتّبع العسـكر المهزومين إلى الشـام، فقبض على أكثرهم و حملوا إلى القلعـة و اعتقلوا بها. و قبض أيضا على الوزير شـرف الـدين الفائزى. و فوّض أمر الوزارة إلى القاضى بدر الدين يوسف السّنجارىّ مضافا إلى القضاء، و أخذ موجود الفائزى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۳

و كان له مال كثير. ثم قبض على بهاء الـدين علىّ [بن محمـد بن سـليم] بن حنّا وزير شـجرة الـدّرّ، و أخـذ خطّه بستّين ألف دينار. ثم خلع الملك المنصور على الأمير أقطاى المسـتعرب باستقراره أتابكا عوضا عن سنجر الحلبىّ. ثم فى شهر رجب رفعت يد القاضى بدر الدين السّـنجارىّ من الوزارة و أضيف إليه قضاء مصر القديمة، فكمل له قضاء الإقليم بكماله، و ولى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعزّ الوزارة.

ثم فى شـعبان كثرت الأراجيف بين الناس بأنّ الأمراء و الأجناد اتّفقوا على إزالـة حكم مماليك الملك المعزّ من الدولة، و أنّ الملك المنصور تغيّر على الأمير سـيف الـدين قطز المعزّى، و اجتمع الأمراء فى بيت الأمير بهاء الـدين بغـدى مقـدّم الحلقـة، و تكلّموا إلى أن صلـح الأمر بين الملك المنصور و بين مملوك أبيه الأمير قطز. و خلع عليه و طيّب قلبه؛ ثم وقع الكلام أيضا من المعزّيّة و غيرهم. فلمّا كان رابع شـهر رمضان ركب الأمير بغدى و بدر الدين بلغان و انضاف إليهما جماعة و وقفوا بآله الحرب، فخرج إليهم حاشية السلطان فقـاتلوهم و هزموهم و قبضوا على بغـدى بعـد أن جرح و على بلغـان و حملا إلى القلعـة؛ و دخلت المعزّيـة إلى القاهرة، فقبضوا على الأمير عزّ الدين أيبك الأسمر و أرزن الرّومىّ و سابق الدين بوزنا الصّيرفىّ و غيرهم من المماليك الأشرفيّة و نهبت دورهم، فاضطربت القاهرة حتّى نودى بالأمان لمن دخل فى الطاعة و سكن الناس، و ركب السلطان الملك المنصور فى خامس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۴

شهر رمضان و شقّ القاهرة و فى خـدمته الأمير قطز و باقى مماليك أبيه، ثم نزل أيضا فى عيـد الفطر و صلّى بالمصلّى. و ركب و عاد إلى القلعة و مدّ السّماط.

ثم ورد كتاب الملك الناصـر صـلاح الـدين يوسف صاحب الشام و حلب على الملك المنصور بمفارقـة البحريّة و الصالحيّة له (أعنى الأمراء و المماليـك الـذين خرجوا من القاهرة بعـد القبض على علم الـدين سـنجر الحلبىّ المقـدّم ذكره). فلمّا وقف المصـريّون على الكتاب ظنّوا أن ذلك خديعة من الملك الناصر فآحترزوا لأنفسهم.

ثم جهّز الملك المنصور عسكرا من المماليك و الأمراء و مقدّمهم الدّمياطىّ إلى الشام، فتوجّهوا و نزلوا بالعبّاسة؛ فوردت الأخبار على السـلطان الملك المنصور بأنّ عساكر الملك الناصـر وصـلت إلى نابلس لقتال البحريّة الـذين قـدموا عليه من مصـر ثم فارقوه، و كان البحرية نازلين بغزّة، ثم وردت الأخبار بأنّ البحريّة، و كان مقدّم البحريّة بلبان الرّشـيدىّ و بيبرس البندقدارىّ، خرجوا من غزّة و كبسوا عسـكر الملك الناصـر و قتلوا منهم جماعة كثيرة ليلا. ثم ورد الخبر ثانيا بأنّ عسكر الملك الناصر كسروا البحريّة و أنّ البحريّة انحازوا إلى ناحية زغر من الغور. ثم ورد الخبر أيضا بمجيء البحريّة إلى جهة القاهرة طائعين للسلطنة، فقدم منهم الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم و معه جماعـة، فتلقّوا بالإـكرام، و أفرج عن أملاك الأفرم و أرزاقه و نزل بـداره بمصـر. ثم بلغ السـلطان أنّ البحريـة (أعنى الـذى بقى منهم) رحلوا من زغر طالبين بعض الجهات، فاتّضـح من أمرهم أنّهم خرجوا من دمشق على حميّـة و أنّهم قصـدوا القدس الشـريف، و مقطع القدس يوم ذاك سيف الدين كبك من جهة الملك الناصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۵

يوسـف صـاحب الشـام و حلب، فطلبوا منه البحريّـة أن يكون معهم فـامتنع فـاعتقلوه، و خطبوا بالقـدس للملـك المغيث بن العـادل بن الكامل بن العادل بن أيّوب.

ثم جاءوا إلى غزّة و قبضوا على واليها (أعنى نائبها) و أخذوا حواصل الملك الناصر من غزّة و القدس و غيرهما. ثم إنّهم أطمعوا الملك المغيث صاحب الكرك فى ملك مصر، و قالوا له: هذا ملك أبيك و جدّك و عمّك، ثم عزموا على قصد الديار المصريّة، فجاء الخبر إلى مصر بذلك فخرج إليهم العسكر المصرىّ، و اجتمعوا بالصالحيّة و أقاموا بها، فلمّا كان سحر ليلة السبت منتصف ذى القعدة وصلت البحريّة بمن معهم من عسكر الملك المغيث، و وقعت الحرب بين الفريقين و اشتدّ القتال بينهم و جرح جماعة، و المصريّون مع ذلك يزدادون كثرة و طلعت الشمس، فرأت البحريّة كثرة المصريّين فانهزموا و أسر منهم بلبان الرّشيدىّ و به جراحات و هو من كبار القوم، و هرب بيبرس البندقدارىّ و بدر الصّوابى إلى الكرك، و بعض البحريّة دخل فى العسكر المصرىّ، و دخل العسكر المصرىّ القاهرة، و زيّن البلد لهذا النصر و فرح الملك المنصور و الأمير قطز بذلك.

و أمّا البحريّة فإنّهم توجّهوا إلى الملك المغيث صاحب الكرك و حسنّوا له أن يركب و يجىء معهم لأخذ مصر فأصغى لهم و تجهّز و خرج بعساكره من الكرك فى أوّل سنة ستّ و خمسين و ستّمائة، و سار حتّى قدم غزّة، و أمر البحريّة راجع إلى بيبرس البندقدارىّ. فلمّا بلغ ذلك المصريّين خرج الأمير سيف الدين قطز بعساكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۶

مصر و نزل بالعبّاسة، فلمّا تكامل عسكره سار منه قاصدا الشاميّين، و خرج الملك المغيث من غزّة إلى الرمل فالتقى بالعسكر المصرىّ و تقاتلا قتالا شديدا فى يوم الثلاثاء الحادى و العشرين من شهر ربيع الآخر، فانكسر الملك المغيث بمن معه من البحريّة، و قبض على جماعة كثيرة من المماليك البحرية الصالحيّة، و هم: الأمير عزّ الدين أيبك الرّومى و عزّ الدين أيبك الحموىّ و ركن الدين الصّيرفىّ و ابن أطلس خان الخوارزمىّ و جماعة كثيرة، فأحضروا بين يدى الأمير سيف الدين قطز و الأمير الغتمىّ و الأمير بهادر المعزّيّة فأمروا بضرب أعناقهم فضربت، و حملت رءوسهم إلى القاهرة و علّقت بباب زويلة، ثم أنزلت من يومها لمّا أنكر قتلهم على المعزّيّة بعض أمراء مصر و استشنع ذلك.

و أمّا الملك المغيث فإنّه هرب هو و الطواشى بدر الصّوابىّ و بيبرس البندقدارىّ و من معهم، و وصلوا إلى الكرك فى أسوأ حال بعد أن نهب ما كان معهم من الثّقل و الخيام و السلاح و غير ذلك و أقاموا بالكرك؛ و بينما هم فى ذلك أرسل الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام جيشا مقدّمه الأمير مجير الدين إبراهيم [بن أبى بكر] بن أبى زكرى و الأمير نور الدين علىّ بن الشجاع الأكتع فى طلب البحريّة، و خرجت البحريّة لمّا بلغهم ذلك إلى غزّة، و التقوا مع العسكر الشامىّ و تقاتلوا فآنكسر العسكر الشامىّ، و قبض على مجير الدين و نور الدين و حملوها البحريّة إلى الكرك، و قوى أمر البحريّة بهذه الكسرة و اشتدّوا.

و أمّا الملك الناصر لمّا بلغه كسر عسكره تجهّز و خرج بنفسه لقتال البحريّة، و ضرب دهليزه قبلى دمشق، فلمّا بلغ البحريّة ذلك توجّهوا نحو دمشق و ضربوا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۷

أطراف عساكر الملك الناصر، و خفّ بيبرس البندقدارىّ حتّى إنّه أتى فى بعض الأيام و قطع أطناب خيمة الملك الناصر المضروبة، و ذلك قبل خروج الناصر من دمشق. و بينما الناس فى ذلك ورد الخبر بأخذ التّتار لبغداد و قتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله و إخراب بغداد.

قلت: نذكر سبب أخذ هولاكو لبغداد ثم نعود إلى أمر المصريّين و الشاميّين و البحريّة.

فأمّا أمر هولاكو فإنّه هولاكو: و قيل: هولاو [و قيل هلاوون] بن تولى خان ابن چنكز خان المغلىّ، ولى الملك بعد موت أبيه تولى قان، و اتّسعت ممالكه و عظم أمره و كثرت جيوشه من المغل و التّتار، و لا زال أمره فى زيادة حتى ملك مدينة ألموت و قتل متولّيها شمس الشموس و أخذ بلاده، ثم أخذ الروم و أبقى بها ركن الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو صورة بلا معنى و الحكم و التصرّف لغيره؛ و كان وزير الخليفة المستعصم بالله مؤيّد الدّين بن العلقمىّ ببغداد، و كان رافضيّا خبيثا حريصا على زوال الدولة

العباسيّة و نقل الخلافة إلى العلويّين، يدبّر ذلك فى الباطن و يظهر للخليفة المستعصم خلاف ذلك، و لا زال يثير الفتن بين أهل السّنّة و الرافضة حتّى تجالدوا بالسيوف، و قتل جماعة من الرافضة و نهبوا، فاشتكى أهل باب البصرة إلى الأمير مجاهد الدين الدّوادار و للأمير أبى بكر ابن الخليفة فتقدّما إلى الجند بنهب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۸

الكرخ فركبوا من وقتهم و هجموا على الرافضة بالكرخ و قتلوا منهم جماعة و ارتكبوا معهم العظائم فحنق الوزير ابن العلقمى و نوى الشرّ فى الباطن و أمر أهل الكرخ الرافضة بالصّبر و الكفّ عن القتال، و قال لهم: أنا أكفيكم فيهم و كان الخليفة المستنصر بالله قد استكثر من الجند قبل موته حتّى بلغ عدد عسكره مائة ألف، و كان الوزير ابن العلقمىّ مع ذلك يصانع التّتار فى الباطن و يكاتبهم و يهاديهم، فلمّا استخلف المستعصم بعد موت أبيه المستنصر، و كان المستعصم خليّا من الرأى و التدبير، فأشار عليه ابن العلقمىّ المذكور بقطع أرزاق أكثر الجند، و أنّه بمصانعة التتار و إكرامهم يحصل بذلك المقصود، و لا حاجة لكثرة الجند ففعل الخليفة ذلك! قلت: و كلمة الشيخ مطاعة!

ثم إنّ الوزير بعد ذلك كاتب التّتار و أطمعهم فى البلاد سرّا، و أرسل إليهم غلامه و أخاه و سهّل عليهم فتح العراق و أخذ بغداد، و طلب منهم أن يكون نائبهم بالبلاد فوعدوه بذلك، و تأهّبوا لقصد بغداد و كاتبوا لؤلؤا صاحب الموصل فى تهيئة الإقامات و السلاح، فكاتب لؤلؤ الخليفة سرّا و حذّره، ثم هيّأ لهم الآلات و الإقامات.

و كان الوزير ابن العلقمىّ المذكور ليس لأحد معه كلام فى تدبير أمر الخليفة، فصار لا يوصّل مكاتبات لؤلؤ و لا غيره للخليفة، و عمّى عنه الأخبار و النصائح، فكان يقرؤها هو و يجيب عنها بما يختار، فنتج أمر التّتار بذلك غاية النّتاج و أخذ أمر الخليفة و المسلمين فى إدبار! و كان تاج الدين بن صلايا نائب الخليفة بإربل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۹

حذّر الخليفة و حرّك عزمه، و الخليفة لا يتحرّك و لا يستيقظ! فلمّا تحقّق الخليفة حركة التّتار نحوه سيّر إليهم شرف الدين بن محيى الدين ابن الجوزى رسولا يعدهم بأموال عظيمة، ثم سيّر مائة رجل إلى الدّربند يكونون فيه يطالعون الخليفة بالأخبار، فمضوا فلم يطلع لهم خبر، لأنّ الأكراد الذين كانوا هناك دلّوا التّتار عليهم، فهجموا عليهم و قتلوهم أجمعين.

ثم ركب هولاكو بن تولى خان بن چنكز خان فى جيوشه من المغل و التّتار و قصدوا العراق، و كان على مقدّمته الأمير بايجونوين، و فى جيشه خلق من أهل الكرخ الرافضة و من عسكر بركة خان ابن عمّ هولاكو، و مدد من صاحب الموصل مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل، فوصلوا قرب بغداد و اقتتلوا من جهة البرّ الغربىّ عن دجلة، فخرج عسكر بغداد و عليهم ركن الدين الدّوادار، فالتقوا على نحو مرحلتين من بغداد، فانكسر البغداديّون و أخذتهم السيوف، و غرق بعضهم فى الماء و هرب الباقون. ثم ساق بايجونوين مقدّمة هولاكو فنزل القرية مقابل دار الخلافة و بينه و بينها دجلة لا غير. و قصد هولاكو بغداد من البرّ الشرقىّ، و ضرب سورا و خندقا على عسكره و أحاط ببغداد، فأشار الوزير ابن العلقمىّ على الخليفة المستعصم بالله بمصانعتهم. و قال له: أخرج إليهم أنا فى تقرير الصلح فخرج إليهم، و اجتمع بهولاكو و توثّق لنفسه و ردّ إلى الخليفة، و قال: إنّ الملك قد رغب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۰

فى أن يزوّج بنته بآبنك الأمير أبى بكر، و يبقيك على منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم فى سلطنته، و لا يطلب إلّا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السّلجوقيّة، و ينصرف هو عنك بجيوشه! فتجيبه يا مولانا أمير المؤمنين لهذا، فإنّ فيه حقن دماء المسلمين، و يمكن أن تفعل بعد ذلك ما تريد! و الرأى أن تخرج إليه؛ فسمع له الخليفة و خرج إليه فى جمع من الأعيان من أقاربه و حواشيه و غيرهم.

فلمّا توجّه إلى هولاكو لم يجتمع به هولاكو و أنزل فى خيمة؛ ثم ركب الوزير و عاد إلى بغداد بإذن هولاكو، و استدعى الفقهاء و

الأعيان و الأماثل ليحضروا عقد بنت هولاكو على ابن الخليفة، فخرجوا من بغداد إلى هولاكو، فأمر هولاكو بضرب أعناقهم! ثم مدّ الجسر و دخل بايجونوين بمن معه إلى بغداد و بذلوا السيف فيها و استمرّ القتل و النهب و السّبى فى بغداد بضعة و ثلاثين يوما، فلم ينج منهم إلّا من اختفى. ثمّ أمر هولاكو بعدّ القتلى فبلغوا ألف ألف و ثمانمائة ألف و كسرا.

و قال الذهبىّ- رحمه اللّه- فى تاريخ الإسلام: و الأصحّ أنّهم بلغوا ثمانمائة ألف.

ثم نودى بعد ذلك بالأمان، فظهر من كان اختفى و هم قليل من كثير.

و أمّا الوزير ابن العلقمىّ فلم يتمّ له ما أراد، و ما اعتقد أنّ التّتار يبذلون السيف مطلقا فى أهل السّنّة و الرافضة معا، و راح مع الطائفتين أيضا أمم لا يحصون كثرة، و ذاق ابن العلقمىّ الهوان و الذّلّ من التّتار! و لم تطل أيامه بعد ذلك كما سيأتى ذكره. ثم ضرب هولاكو عنق مقدّم جيشه بايجونوين لأنّه بلغه عنه من الوزير ابن العلقمىّ أنّه كاتب الخليفة المستعصم لمّا كان بالجانب الغربىّ.

و أمّا الخليفة فيأتى ذكره فى الحوادث على عادة هذا الكتاب فى محلّه غير أنّنا نذكره هنا على سبيل الاستطراد. و لمّا تمّ أمر هولاكو طلب الخليفة و قتله خنقا. و قيل

غمّ فى بساط، و قيل جعله هو و ولده فى عدلين و أمر برفسهما حتّى ماتا. ثم قتل الأمير مجاهد الدين الدّوادار، و الخادم إقبال الشّرابى صاحب الرّباط بحرم مكّة، و الأستادار محيى الدين ابن الجوزىّ و ولداه و سائر الأمراء الأكابر و الحجّاب و الأعيان، و انقضت الخلافة من بغداد و زالت أيامهم من تلك البلاد، و خربت بغداد الخراب العظيم، و أحرقت كتب العلم التى كانت بها من سائر العلوم و الفنون التى ما كانت فى الدنيا؛ قيل: إنّهم بنوا بها جسرا من الطين و الماء عوضا عن الآجرّ، و قيل غير ذلك. و كانت كسرة الخليفة يوم عاشوراء من سنة ستّ و خمسين و ستّمائة المذكورة، و نزل هولاكو بظاهر بغداد فى عاشر المحرّم، و بقى السيف يعمل فيها أربعة و ثلاثين يوما و آخر جمعة خطب الخطيب ببغداد، كانت الخطبة: الحمد للّه الذى هدم بالموت مشيّد الأعمار، و حكم بالفناء على أهل هذه الدار، إلى أن قال:

اللهمّ أجرنا فى مصيبتنا التى لم يصب الإسلام و أهله بمثلها، و إنّا للّه و إنّا إليه راجعون! ثم عمل الشعراء و العلماء قصائد فى مراثى بغداد و أهلها، و عمل الشيخ تقى الدين إسماعيل [بن إبراهيم] بن أبى اليسر [شاكر بن عبد اللّه التّنوخىّ] قصيدته المشهورة، و هى:

لسائل الدّمع عن بغداد أخبار فما وقوفك و الأحباب قد ساروا

يا زائرين إلى الزّوراء لا تفدوا فما بذاك الحمى و الدار ديّار

تاج الخلافة و الرّبع الذى شرفت به المعالم قد عفّاه إقفار

أضحى لعطف البلى فى ربعه أثر و للدّموع على الآثار آثار

يا نار قلبى من نار لحرب وغى شبّت عليه و وافى الرّبع إعصار

علا الصليب على أعلى منابرها و قام بالأمر من يحويه زنّار

و منها:

و كم بدور على البدريّة انخسفت و لم يعد لبدور منه إبدار

و كم ذخائر أضحت و هى شائعة من النّهاب و قد حازته كفّار

و كم حدود أقيمت من سيوفهم على الرّقاب و حطّت فيه أوزار

ناديت و السّبى مهتوك يجرّهم إلى السّفاح من الأعداء دعّار

و منها:

و هم يساقون للموت الذى شهدوا النار يا ربّ ... و لا العار

يا للرّجال لأحداث تحدّثنا بما غدا فيه إعذار و إنذار

من بعد أسر بنى العبّاس كلّهم فلا أنار لوجه الصّبح إسفار

ما راق لى قطّ شىء بعده بينهم إلّا أحاديث أرويها و آثار

لم يبق للدّين و الدنيا و قد ذهبوا شوق لمجد و قد بانوا و قد باروا

إنّ القيامة فى بغداد قد وجدت و حدّها حين للإقبال إدبار

آل النّبىّ و أهل العلم قد سبيوا فمن ترى بعدهم تحويه أمصار.

ما كنت آمل أن أبقى و قد ذهبوا لكن أبى دون ما أختار أقدار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۵۲

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۳

و هى أطول من ذلك. و جملة القصيدة ستة و ستون بيتا. و قال غيره فى فقد الخلافة من بغداد بيتا مفردا و أجاد:

خلت المنابر و الأسرّة منهم فعليهم حتّى الممات سلام

انتهى ذكر بغداد هنا، و لا بدّ من ذكر شىء منها أيضا فى الحوادث.

و أمّا أمر البحريّة فإنّه لمّا دخلت سنة سبع و خمسين و ستمائة رحل الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعساكر فى أثر البحريّة، فاندفعوا البحريّة أمامه إلى الكرك، فسار الناصر حتى نزل بركة زيزاء ليحاصر الكرك، و صحبته الملك المنصور صاحب حماة؛ فأرسل الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل صاحب الكرك رسله إلى الملك الناصر يطلب الصلح، و كان مع رسله الدار القطبيّة ابنة الملك المفضّل قطب الدّين بن العادل، و هى من عمّات الناصر و المغيث يتضرّعون إلى الناصر و يطلبون الصلح و رضاه على ابن عمه المغيث، فشرط عليه الناصر أن يقبض على من عنده من البحريّة، فأجاب إلى ذلك و قبض عليهم و جهّزهم إلى الملك الناصر على الجمال، و هو نازل ببركة زيزاء. فحملهم الملك الناصر إلى حلب و اعتقلهم بقلعتها ما خلا الأمير بيبرس البندقدارىّ، فإنّه لمّا أحسّ بما وقع عليه الصلح هرب من الكرك فى جماعة من البحريّة و أتى إلى الملك الناصر صلاح الدين المذكور داخلا تحت طاعته، فأكرمه الملك الناصر و أكرم رفقته إكراما زائدا؛ و عاد الناصر إلى دمشق و فى خدمته الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارىّ و غيره من البحريّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۴

و أمّا المصريّون فإنّه لمّا بلغ الملك المنصور عليّا و الأمير قطز المعزّىّ ما وقع للبحريّة فرحا فرحا زائدا، و زيّنت مصر أيّاما لذلك؛ وصفا الوقت للأمير قطز.

و بينما هو فى ذلك ورد الخبر عليه بنزول هولاكو على مدينة آمد من ديار بكر، و أنّه فى قصد البلاد الشاميّة، و أنّ هولاكو بعث رسله إلى الملك السعيد نجم الدين إيلغازى صاحب ماردين يستدعيه إلى طاعته و حضرته، فسيّر إليه الملك السعيد ولده الملك المظفّر قرا أرسلان و قاضى القضاة مهذّب الدين محمد [بن مجلّى] و الأمير سابق الدين بلبان و على أيديهم هديّة، و حمّلهم رسالة تتضمّن الاعتذار عن الحضور بمرض منعه الحركة، و وافق وصولهم إلى هولاكو أخذه لقلعة اليمانيّة و إنزاله من بها من حريم صاحب ميّافارقين و أولاده و أقاربه، و هم: ولده الملك الناصر صلاح الدين يوسف جفتاى، و الملك السعيد عمر و ابن أخيه الملك الأشرف أحمد و تاج الدين على ابن الملك العادل، فأدّوا الرسالة؛ فقال هولاكو: ليس مرضه بصحيح، و إنّما هو يتمارض مخافة الملك الناصر صاحب الشام، فإن انتصرت عليه اعتذر لى بزيادة المرض، و إن انتصر علىّ كانت له اليد البيضاء عنده، ثم قال: و لو كان للملك الناصر قوّة يدفعنى لم يمكّنى من دخول هذه البلاد؛ و قد بلغنى أنّه بعث حريمه إلى مصر؛ ثم أمر بردّ القاضى وحده فردّ القاضى و

أخبر الملك السعيد بالجواب.

و أمّا هولاكو فإنّه لا زال يأخذ بلدا بعد أخرى إلى أن استولى على حلب و الشام، و اضمحلّ أمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعد أمور و وقائع وقعت له، و انفلّ عنه أصحابه. فلمّا وقع ذلك فارقه الأمير بيبرس البندقداريّ و قدم إلى مصر و معه جماعة من البحريّة طائعا للملك المنصور هذا فأكرمه قطز

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۵

و أكرم رفقته و صاروا الجميع من عساكر مصر على العادة أوّلا. يأتى تفصيل ذلك فى ترجمة الملك المظفّر قطز. إن شاء اللّه تعالى.

و لمّا استفحل أمر قطز بديار مصر و صار هو المشار إليه فيها لصغر السلطان الملك المنصور عليّ، و لكثرة حواشى قطز المذكور، ثم تحقّق قطز مجيء التّتار إلى البلاد الشاميّة، و علم أنّه لا بدّ من خروجه من الديار المصريّة بالعساكر للذّبّ عن المسلمين، فرأى أنّه لا يقع له ذلك، فإنّ الآراء مغلولة لصغر السلطان و لاختلاف الكلمة، فجمع قطز كمال الدّين بن العديم الحنفيّ و غيره من الأعيان و الأمراء بالديار المصريّة، و عرّفهم أنّ الملك المنصور هذا صبّى لا يحسن التدبير فى مثل هذا الوقت الصّعب، و لا بدّ أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه كلّ أحد، و ينتصب للجهاد فى التّتار، فأجابه الجميع: ليس لها غيرك! و كان قطز قبل ذلك قد قبض على الملك المنصور عليّ هذا و عوّقه بالدور السلطانيّة، فخلع الملك المنصور فى الحال من الملك و بويع الأمير قطز و لقّب بالملك المظفّر سيف الدين قطز، و اعتقل الملك المنصور و والدته بالدور السلطانيّة من قلعة الجبل، و حلّف قطز الناس لنفسه و تمّ أمره، و ذلك فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع و خمسين و ستمائة. و كانت مدّة الملك المنصور فى السلطنة بالديار المصريّة سنتين و سبعة أشهر و اثنين و عشرين يوما، و بقى معتقلا سنين كثيرة إلى أن تولّى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداريّ، فنفاه هو و والدته و أخاه ناصر الدين قاقان إلى بلاد الأشكرى فى ذى القعدة سنة ثمان و خمسين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۶

قلت: و الملك المظفر قطز هذا هو أوّل مملوك خلع ابن أستاذه من الملك و تسلطن عوضه، و لم يقع ذلك قبله من أحد من الملوك. و تمّت هذه السّنّة السيّئة فى حاصد إلى يوم القيامة. و بهذه الواقعة فسدت أحوال مصر.

السنة الأولى من ولاية الملك المنصور عليّ ابن الملك المعزّ أيبك التّركمانيّ على مصر، و هى سنة خمس و خمسين و ستمائة، على أنّ والده الملك المعزّ حكم فيها نحوا من ثلاثة أشهر.

فيها أرسل الملك الناصر يوسف صاحب الشام ولده الملك العزيز بهديّة إلى هولاكو ملك التّتار و طاغيتهم.

و فيها قتلت الملكة شجرة الدرّ الملك المعزّ أيبك، ثم قتلت هى أيضا. و قد تقدّم ذكر ذلك كلّ واحد على حدته فى ترجمته من هذا الكتاب، فلا حاجة إلى الإعادة.

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الحلبيّ الكبير، كان من أعيان المماليك الصالحيّة النجميّة، و ممّن يضاهى الملك المعزّ أيبك التّركمانيّ فى موكبه، و كانت له المكانة العظمى فى الدولة، كان الأمراء يعترفون له بالتقدّم عليهم، و كان له عدّة مماليك نجباء صاروا من بعده أمراء، منهم: ركن الدين إياجى الحاجب، و بدر الدين بيليك الجاشنكير، و صارم الدين أزبك الحلبيّ و غيرهم. و لما قتل الملك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۷

المعزّ أيبك التركمانيّ حدّثته نفسه بالسلطنة، فلمّا قبض قطز على الأمير سنجر الحلبى، ركب أيبك هذا و معه الأمراء الصالحيّة فتقنطر به فرسه فهلك خارج القاهرة و أدخل إليها ميتا؛ و كذلك وقع للامير خاصّ ترك. و قد تقدّم ذكر ذلك فى ترجمة الملك المنصور.

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة نجم الدين أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن الحسن ابن عبد اللّه البغدادىّ البادرائيّ، ولد فى سنة أربع و تسعين و خمسمائة، و سمع الكثير و تفقّه و برع و أفتى و درّس، و ترسّل عن الخليفة إلى ملوك الشام و مصر غير مرّة إلى هذه

السنة، ولى قضاء القضاة ببغداد. و مات فى سلخ ذى القعدة.

و فيها توفّى الشيخ الأديب أبو الحسن علىّ بن محمد بن الرضا الموسوىّ الحسينىّ الشريف المعروف بابن دفتر خوان. ولد سنة تسع و ثمانين بحماة، و كان فاضلا و له تصانيف و شعر جيّد، من ذلك قوله:

إذا لمت قلبى قال عيناك أبصرت و إن لمت عينى قالت الذنب للقلب

فعينى و قلبى قد تشاركن فى دمى فيا ربّ كن عونى على العين و القلب

و فيها توفّيت الصاحبيّة غازيّة خاتون بنت الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر ابن أيّوب، والدة الملك المنصور صاحب حماة. كانت صالحة ديّنة دبّرت ملك ولدها المنصور بعد وفاة زوجها الملك المظفّر أحسن تدبير، و هى والدة الملك الأفضل نور الدين أبى الحسن علىّ أيضا. و كانت وفاتها فى أواخر ذى القعدة أو فى ذى الحجّة من السنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۸

و فيها توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة المقرئ أبو عبد اللّه محمد بن أبى القاسم [قاسم] بن فيّره بن خلف الرّعينىّ الشاطبىّ الأصل المصرىّ المولد و الدار الضّرير راوى القصيدة المشهورة فى القراءات التى لم يسبق إلى مثلها التى سمّاها «حرز الأمانى و وجه التهانى». و مولده فى حادى عشر ذى الحجّة سنة ست أو سبع و سبعين و خمسمائة بمصر، و توفّى بها فى حادى عشر شوّال و دفن من يومه بسفح المقطّم، و لم يخلف بعده مثله. و كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا اللّغز و هو «نعش الموتى» و اللّغز المذكور للخطيب أبى زكريّا يحيى بن سلامة الحصكفىّ، و هو:

أتعرف شيئا فى السماء نظيره إذا سار صاح الناس حين يسير

فتلقاه مركوبا و تلقاه راكبا و كلّ أمير يعتليه أسير

يحضّ على التّقوى و تكره قربه و تنفر منه النفس و هو نذير

و فيها توفّى الوزير الصاحب شرف الدين هبة اللّه بن صاعد الفائزىّ، كان أوّلا نصرانيّا يلقّب بالأسعد، و هو منسوب بالفائزىّ إلى الملك الفائز إبراهيم ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب، ثم أسلم و تنقّل فى الخدم حتّى ولى الوزارة. و كان عنده رياسة و مكارم و عقل و حسن تدبير، و خدم عدّة ملوك و كان محفوظا عندهم، و هو الذى هجاه الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح، و قيل بهاء الدين زهير بقوله:

لعن اللّه صاعدا و أباه فصاعدا

و بنيه فنازلا واحدا ثم واحدا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۹

و فيها توفّى أبو الحسن المغربىّ المورقىّ الشيخ نور الدين، كان من أقارب المورقى الملك المشهور ببلاد الغرب، مات بدمشق و دفن بقاسيون، و كان فاضلا أديبا شاعرا. و من شعره من أبيات:

القضب راقصة و الطير صادحة و الستر مرتفع و الماء منحدر

و قد تجلّت من اللذات أوجهها لكنّها بظلال الدّوح تستتر

فكلّ واد به موسى يفجّره و كلّ روض على حافاته الخضر

قلت: و هذا يشبه قول من قال فى مليح حليق:

مرّت الموسى على عارضه فكأنّ الماء بالآس غمر

مجمع البحرين أضحى خدّه إذ تلاقى فيه موسى و الخضر

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المحدّث أبو محمد عبد الرحمن بن أبى الفهم اليلدانىّ فى شهر ربيع

الأوّل، و له سبع و ثمانون سنة.

و الإمام شرف الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن محمد بن أبى الفضل السّلمىّ المرسىّ فى نصف شهر ربيع الأوّل، و له ست و ثمانون سنة. و الإمام نجم الدين أبو محمد عبد اللّه بن أبى الوفاء البادرانىّ الشافعىّ فى ذى القعدة ببغداد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۶]

السنة الثانية من ولاية الملك المنصور علىّ ابن الملك المعزّ أيبك على مصر، و هى سنة ست و خمسين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۰

فيها استولى الطاغية هولاكو على بغداد، و قتل الخليفة المستعصم باللّه و معظم أهل بغداد؛ و قد تقدّم ذلك.

و فيها كان الوباء العظيم بدمشق و غيرها.

و فيها توفّى الأديب البارع شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبى الوفا الربعىّ الموصلىّ المعروف بابن الحلاوى الشاعر المشهور، كان من أحسن الناس صورة و ألطفهم أخلاقا مع الفضيلة التامة، و رحل البلاد و مدح الخلفاء و الملوك و خدم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤا صاحب الموصل و لبس زىّ الجند. و شعره فى نهاية الرّقّة و الجزالة، و هو صاحب القصيدة التى أوّلها:

حكاه من الغصن الرّطيب و ريقه و ما الخمر إلّا و جنتاه و ريقه

هلال و لكن أفق قلبى محلّه غزال و لكن سفح عينى عقيقه

و أسمر يحكى الأسمر اللّدن قدّه غدا راشقا قلب المحبّ رشيقه

على خدّه جمر من الحسن مضرم يشبّ و لكن فى فؤادى حريقه

أقرّ له من كلّ حسن جليله و وافقه من كلّ معنى دقيقه

بديع التّثنّى راح قلبى أسيره على أنّ دمعى فى العرام طليقه

على سالفيه للعذار جريرة و فى شفتيه للسّلاف عتيقه

يهدّد منه الطّرف من ليس خصمه و يسكر منه الرّيق من لا يذوقه

على مثله يستحسن الصّبّ هتكه و فى حبّه يجفو الصديق صديقه

من التّرك لا يصبيه وجد إلى الحمى و لا ذكر بانات الغوير تشوقه

و لا حلّ فى حىّ تلوح قبابه و لا سار فى ركب يساق و سوقه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۱

و لا بات صبّا بالفريق و أهله و لكن إلى خاقان يعزى فريقه

له مبسم ينسى المدام بريقه و يخجل نوّار الأقاحى بريقه

تداويت من حرّ الغرام ببرده فأضرم من ذاك الحريق رحيقه

إذا خفق البرق اليمانىّ موهنا تذكّرته فاعتاد قلبى خفوقه

حكى وجهه بدر السماء فلو بدا مع البدر قال الناس هذا شقيقه

رآنى خيالا حين وافى خياله فأطرق من فرط الحياء طروقه

فأشبهت منه الخصر سقما فقد غدا يحمّلنى كالخصر ما لا أطيقه

فما بال قلبى كلّ حبّ يهيجه و حتّام طرفى كلّ حسن يروقه

فهذا ليوم البين لم تطف ناره و هذا لبعد الدار ما جفّ موقد

و للّه قلبى ما أشدّ عفافه و إن كان طرفى مستمرّا فسوقه

فما فاز إلّا من يبيت صبوحه شراب ثناياه و منها غبوقه

و فيها توفّى الأمير بكتوت بن عبد اللّه سيف الدين العزيزىّ أستادار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، كان من أكابر الأمراء فى الدولة الناصريّة، و كان حسن السّيرة مليح الشكل متجمّلا، كان موكبه يضاهى مواكب الملوك.

و فيها توفّى الملك الناصر أبو المظفّر و قيل أبو المفاخر داود صاحب الكرك ابن الملك المعظّم عيسى صاحب الشام ابن الملك العادل أبى بكر صاحب مصر ابن الأمير نجم الدين أيّوب. مولده فى جمادى الآخرة سنة ثلاث و ستمائة؛ و وقع له أمور و حوادث و محن تكرّر ذكرها فى عدّة تراجم من هذا الكتاب. و كان تغلّب على الشام بعد موت عمّه الملك الكامل محمد، و قدم مصر بعد ذلك غير مرّة و توجّه إلى الشّرق، و وقع له أمور يطول شرحها إلى أن مات فى جمادى الأولى. و كان ملكا شجاعا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۲

مقداما فاضلا أديبا شاعرا، و قد تقدّم من شعره عدّة أبيات يستعطف بها الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى ترجمة الملك الصالح المذكور. و من شعره أيضا:

لئن عاينت عيناى أعلام جلّق و بان من القصر المشيد قبابه

تيقّنت أنّ البين قد بان و النّوى نأى شحطها و العيش عاد شبابه

و فيها توفّى العلّامة المفتن أبو الفضل و قيل أبو العلاء بهاء الدين زهير بن محمد ابن على بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن المنصور بن عاصم الأزدى المكّىّ القوصىّ المنشأ المصرىّ الدار، الكاتب الشاعر المشهور المعروف بالبهاء زهير صاحب الديوان المشهور. مولده بوادى نخلة بقرب مكّة فى خامس ذى الحجّة سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة؛ و ربّى بصعيد مصر بقوص، و قرأ الأدب و سمع الحديث و برع فى النّظم و النّثر و الترسّل، و له الشعر الرائق الفائق، و كان رئيسا فاضلا حسن الأخلاق، اتّصل بخدمه الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى حياة أبيه الملك الكامل، و دام فى خدمته إلى أن توفّى. و قد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الصالح نبذة جيّدة. و كانت وفاة البهاء زهير هذا فى يوم الأحد قبل المغرب رابع ذى القعدة و قيل خامسه. و من شعره- رحمه اللّه-:

و لمّا جفانى من أحبّ و خاننى حفظت له الودّ الذى كان ضيّعا

و لو شئت قابلت الصدود بمثله و لكنى أبقيت للصلح موضعا

و قد كان ما قد كان بينى و بينه أكيدا و لكنّى رعيت و ما رعى

سعى بيننا الواشى ففرّق بيننا لكك الذنب يا من خاننى لا لمن سعى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۳

و من شعره أيضا قصيدته التى أوّلها:

رويدك قد أفنيت يا بين أدمعى و حسبك قد أحرقت يا شوق أضلعى

إلى كم أقاسى لوعة بعد لوعة و حتّى متى يا بين أنت معى معى

و قالوا علمنا ما جرى منك بعدنا فلا تظلمونى ما جرى غير أدمعى

و فيها توفّى الإمام الحافظ الحجّة أبو محمد زكىّ الدين عبد العظيم بن عبد القوىّ ابن عبد اللّه بن سلامة بن سعد بن سعيد المنذرىّ الدّمشقىّ الأصل المصرىّ المولد و الدار و الوفاة. ولد سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة، و سمع الكثير و رحل و كتب و صنّف و خرّج و أملى و حدّث بالكثير، و تخرّج به جماعة، و هو أحد الحفّاظ المشهورين.

و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبد اللّه ابن الخليفة المستنصر بالله منصور ابن الخليفة الظاهر بأمر اللّه

محمد ابن الخليفة الناصر لدين اللّه أبى العباس أحمد ابن الخليفة المستضىء بالله أبى محمد الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله أبى المظفّر يوسف ابن الخليفة المقتفى بالله أبى عبد اللّه محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أبى العبّاس أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله أبى القاسم عبد اللّه ابن الأمير محمد الذّخيرة، و هو غير خليفة، ابن الخليفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه ابن الخليفة القادر بالله أبى العباس أحمد ابن الأمير إسحاق، و إسحاق غير خليفة، ابن الخليفة المقتدر بالله أبى الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أبى العباس أحمد ابن الأمير طلحة الموفّق، و طلحة غير خليفة أيضا، ابن الخليفة المتوكّل على اللّه أبى الفضل جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۴

المهدىّ بالله محمد ابن الخليفة أبى جعفر عبد اللّه المنصور بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه ابن العبّاس بن عبد المطلب الهاشمىّ البغدادىّ، آخر خلفاء بنى العباس ببغداد، و بموته انقرضت الخلافة من بغداد. ولى الخلافة بعد وفاة والده المستنصر بالله فى العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين و ستمائة، و مات قتيلا بيد هولاكو طاغية التّتار فى هذه السنة. و قد تقدّم كيفية قتله فى ترجمة الملك المنصور علىّ هذا، و كانت مدّة خلافته خمس عشرة سنة و ثمانية أشهر و أيّاما. و تقدير عمره سبع و أربعون سنة. و كان قليل المعرفة بتدبير الملك نازل الهمة مهملا للأمور المهمّة محبّا لجمع الأموال يقدم على فعل ما يستقبح، أهمل أمر هولاكو حتّى كان فى ذلك هلاكه.

و شغرت الخلافة بعده سنين، و بقيت الدّنيا بلا خليفة حتّى أقام الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ بعض بنى العبّاس فى الخلافة. على ما يأتى ذكر ذلك فى ترجمة الظاهر بيبرس البندقدارىّ إن شاء اللّه تعالى.

و فيها توفّى الأمير الأديب الشاعر سيف الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن قزل المعروف بالمشدّ الشاعر المشهور. مولده بمصر فى شوّال سنة اثنتين و ستمائة، و تولّى شدّ الدواوين بمصر مدّة سنين، و كان من أكابر الأمراء الفضلاء و هو قريب الأمير جمال الدين بن يغمور، و له ديوان شعر مشهور بأيدى الناس، و توفّى بدمشق فى يوم عاشوراء. و رثاه بعض الفضلاء، فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۵

عاشور يوم قد تعاظم ذنبه إذ حلّ فيه كلّ خطب مشكل

لم يكفه قتل الحسين و ما جرى حتّى تعدّى بالمصاب على على

و من شعره- رحمه اللّه- بيت مفرد كلّ كلمة منه قلب نفسها و هو:

ليل أضاء هلاله أنّى يضىء بكوكب

و من شعره أيضا، قوله:

و شادن أو ردنى جبّه لهيب حرّ الشوق و الفرقه

أصبحت حرّانا إلى ريقه فليت لى من قلبه الرّقّه

و له أيضا مضمّنا مقتبسا:

وافى إلىّ و كأس الراح فى يده فخلت من لطفه أنّ النسيم سرى

لا تدرك الراح معنى من شمائله و الشمس لا ينبغى أن تدرك القمرا

و له فى خود عمياء:

علقتها نجلاء مثل المها فخان فيها الزمن الغادر

أذهب عينيها فإنسانها فى ظلمة لا يهتدى حائر

تجرح قلبى و هى مكفوفة و هكذا قد يفعل الباتر

و نرجس اللحظ غدا ذابلا وا حسرتا لو أنّه ناظر

و له فى لاعب شطرنج:

لعبت بالشّطرنج مع شادن رشاقة الأغصان من قدّه

أحلّ عقد البند من خصره و ألثم الشامات من خدّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۶

و فيها توفّى الشيخ الإمام الأديب الرّبانىّ جمال الدين أبو زكريّا يحيى بن يوسف ابن يحيى بن منصور بن المعمّر بن عبد السلام الصّرصرىّ الضّرير الشاعر المشهور.

كان من العلماء الفضلاء الزّهّاد العبّاد، و كان له اليد الطّولى فى النظم، و شعره فى غاية الجودة، و مدح النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم بقصائد لا تدخل تحت الحصر كثرة؛ قيل: إنّ مدائحه فى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم تقارب عشرين مجلّدا. و من شعره من المدائح النبويّة قوله:

زار و هنّا و نحن بالزّوراء فى مقام خلا من الرّقباء

من حبيب القلوب طيف خيال فجلا نوره دجى الظّلماء

يا لها زورة على غير وعد بتّ منها فى ليلة سرّاء

نعمت عيشتى و طابت حياتى فى دجاها يا طلعة الغرّاء

و منها:

يا هلال السرور يا قمر الأذ س و نجم الهدى و شمس البهاء

يا ربيع القلوب يا قرّة العى ن و باب الإحسان و النّعماء

و منها:

سيّد حبّه فخار و تشرى ف و عزّ باق لأهل الصّفاء

أحمد المصطفى السّراج المنير ال خير خاتم الأنبياء

و من شعره فى عدد الخلفاء بنى العبّاس إلى المستعصم آخر خلفاء بنى العبّاس ببغداد، قال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۷

لكرب بنى العبّاس سفّاحهم جلا و جرّ لمنصور و مهدىّ الولا

و هاد و هارون الرشيد تلاهما أمين و مأمون و معتصم الملا

و واثقهم من بعده متوكّل و منتصر و المستعين بنو العلا

و طاب بمعتزّ جنى مهتد كما بمعتضد عيش لمعتمد حلا

قلت: لعله ما قال إلا:

...كما بمعتضد عيش لمعتضد حلا

لأن المعتمد عمّ المعتضد و تولى المعتضد الخلافة بعده. انتهى.

و مكتفيا فاعدد و مقتدرا و قد تلا قاهرا راض لمتّقى تلا

و مستكفيا ثم المطيع و طائعا و قادرهم و القائم أعدد محصّلا

و بالمقتدى مستظهر ساد مثلما بمسترشد و الراشد المقتفى علا

بمستنجد و المستضىء و ناصر و ظاهر و المستنصر اجل مقفّلا

و مستعصم لا زال بالنصر قاهرا لأعدائه ما حنّت العيس فى الفلا

قال الـذهبىّ: «حكى لنا شيخنا ابن الـدّباهىّ - و كان خال أمّه (يعنى الصّرصرىّ)- قال: بلغنا أنّه دخل عليه التّتار و كان ضريرا، فطعن بعكّازه بطن واحد فقتله، ثم قتل شهيدا بيد التّتار». انتهى.

قلت: كلّ ذلك فى واقعة هولاكو المقدّم ذكرها.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الأمير سيف الدين المشدّ الشاعر صاحب الديوان، و اسمه علىّ بن عمر بن قزل فى المحرّم، و الشيخ يحيى ابن يوسف بن يحيى الصّرصرىّ الزاهد صاحب «الديوان»، استشهد ببغداد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۸

فى صفر فى أمم لا يحصون: منهم المستعصم بالله أبو أحمد عبد اللّه بن المستنصر، و له سبع و أربعون سنة، و كانت خلافته ستّ عشرة سنة. و منهم أستاداره محيى الدين يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزىّ. و مدرّس المستنصريّة الإمام أبو المناقب محمود بن أحمد بن محمود الزّنجانىّ الشافعىّ، و له ثلاث و ثمانون سنة. و المحدّث شمس الدين علىّ بن المظفّر بن القاسم النّشبىّ فى شهر ربيع الأوّل. و أبو عمرو عثمان ابن علىّ القرشىّ بن خطيب القرافة فى شهر ربيع الآخر، و له أربع و ثمانون سنة.

و أبو العزّ عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن محمد بن صديق المؤدّب الحرّانىّ بدمشق.

و الملك الناصر أبو المظفّر داود بن الملك المعظّم بن العادل فى جمادى الأولى، و له ثلاث و خمسون سنة. و المحدّث نجيب الدين نصر اللّه [بن المظفّر بن عقيل بن حمزة أبو الفتح] بن أبى العزّ الشّيبانىّ بن شقيشقة فى جمادى الآخرة، و قد جاوز السبعين.

و أبو الفضل عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بنان الكفر طابىّ فى شوّال، و له تسع و سبعون سنة. و الأديب شرف الدين الحسين بن إبراهيم الإربلىّ اللغوىّ فى ذى القعدة، و له ثمان و ثمانون سنة. و الحافظ زكىّ الدين عبد العظيم ابن عبد القوىّ المنذرىّ فى ذى القعدة، و له ستّ و سبعون سنة. و البهاء زهير بن محمد ابن علىّ المهلّبى الكاتب الشاعر. و العارف أبو الحسن علىّ بن عبد اللّه بن عبد الجبّار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۹

الشّاذلىّ الضّرير [بصحراء] عيذاب فى ذى القعدة. و أبو العبّاس القرطبى أحمد بن عمر بن إبراهيم العدل بالإسكندريّة، و له ثمان و سبعون سنة. و خطيب مردا أبو عبد اللّه محمد بن إسماعيل بن أحمد الحنبلىّ فى ذى الحجّة. و الحافظ صدر الدين أبو على الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكرىّ بالقاهرة فى ذى الحجّة، و له اثنتان و ثمانون سنة. و الشيخ أبو عبد اللّه الفاسىّ محمد بن حسن شيخ الإقراء بحلب فى شهر ربيع الآخر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و تسع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۷]

اشارة

السنة الثالثة من ولاية الملك المنصور علىّ ابن الملك المعزّ أيبك على مصر، و هى سنة سبع و خمسين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۰

فيها خلع الملك المنصور علىّ المذكور بمملوك ابيه الملك المظفّر قطز المعزّىّ.

و قد تقدّم ذلك.

و فيها دخل هولاكو ديار بكر قاصدا حلب. يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمة الملك المظفّر قطز إن شاء اللّه تعالى.

و فيها توفى الملك الرحيم أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد اللّه الأتابكىّ صاحب الموصل، كان من أجلّ الملوك. و طالت أيّامه بالموصل لأنّه أقام بتدبير أستاذه نور الدين أرسلان شاه بن عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر التّركىّ، فلمّا توفّى نور الدين قام بتدبير ولده الملك القاهر عزّ الدين مسعود، فلما توفّى الملك القاهر سنة أربع عشرة و ستمائة أقام صبّيين من ولده هما ابنا بنت مظفّر الدين صاحب إربل [ثم إنّه أخنى على أولاد أستاذه فقتلهم غيلة] واحدا بعد واحد، ثم بعد ذلك استبدّ بمملكة الموصل و أعمالها سبعا و أربعين سنة. و كان كثير التجمّل بالرّسل و الوافدين عليه، و كان له همّة عالية و معرفة تامّة، و كان شديد البحث عن أخبار رعاياه ما يخفى عنه من أحوالهم إلّا ما قلّ، و كان يغرم على القصّاد و الجواسيس فى كلّ سنة مالا عظيما، و كان إذا عدم من بلاده ما قيمته مائة درهم هان عليه أن يبذل عشرة آلاف دينار ليبلغ غرضه فى عوده، و لا يذهب مال رعيّته.

قلت: للّه درّ هذا الملك! ما أحوج الناس إلى ملك مثل هذا يملك الدنيا بأسرها.

و كانت وفاته بالموصل و هو فى عشر التسعين سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۱

و فيها توفّى الأديب الفاضل أبو عبد اللّه بهاء الدين محمد بن مكّى بن محمد بن الحسن القرشىّ الدمشقىّ العدل المعروف بابن الدّجاجيّة، كان فاضلا شاعرا مطبوعا. و من شعره قوله:

كم تكتم الوجد يا معنّى منّا و ما يختفى اللّهيب

سل عرب الواديين عمّن بانوا فما بيننا غريب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال و فيها توفّى أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد الأنصارىّ الإشبيلىّ بن السّرّاج مسند الغرب ببجاية فى صفر، و له سبع و تسعون سنة، و كانت الرّحلة إليه من الأقطار. و صدر الدين أسعد بن عثمان [بن أسعد] بن المنجّى، و دفن بمدرسته الصّدريّة فى شهر رمضان، و المقرئ شمس الدين أبو الفتح محمد [بن علىّ] بن موسى الأنصارىّ بدمشق فى المحرّم.

و الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى شعبان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ست و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۲

ذكر سلطنة الملك المظفّر قطز على مصر

السلطان الملك المظفّر سيف الدين قطز بن عبد اللّه المعزّى الثالث من ملوك الترك بالديار المصريّة. و قطز (بضم القاف و الطاء المهملة و سكون الزاى)، و هو لفظ مغلىّ. تسلطن بعد خلع ابن أستاذه الملك المنصور علىّ ابن الملك المعزّ أيبك فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع و خمسين و ستمائة، و ذلك بعد أن عظمت الأراجيف بتحريك التّتار نحو البلاد الشاميّة و قطعهم الفرات و هجمهم بالغارات على البلاد الحلبيّة، و كان وصل إليه بسبب ذلك الصاحب كمال الدّين عمر بن العديم رسولا من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب و الشام يطلب منه النّجدة على قتال التّتار، فأنزله قطز بالكبش و جمع القضاة و الفقهاء و الأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه فى أمر التّتار و أن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم، فحضروا فى دار السّلطنة بقلعة الجبل، و حضر الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام و القاضى بدر الدين السّنجارىّ قاضى الديار المصرية و غيرهما من العلماء، و جلس الملك المنصور علىّ فى دست السلطنة، و أفاضوا فى الحديث، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السّلام، و خلاصة ما قال: إنّه إذا طرق العدوّ بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، و جاز لكم أن تاخذوا من الرعيّة ما تستعينون به

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٧٣

على جهادكم، بشرط ألّا يبقى فى بيت المال شىء، و تبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة و الآلات النفيسة، و يقتصر كلّ الجند على مركوبه و سلاحه و يتساووا هم و العامّة. و أمّا أخذ الأموال من العامّة مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال و الآلات الفاخرة فلا، و انفضّ المجلس على ذلك، و لم يتكلّم السلطان بكلمة فى المجلس لعدم معرفته بالأمور و لصغر سنّه؛ فلهج الناس بخلع المنصور و سلطنة قطز حتّى يقوم بهذا الأمر المهمّ، و اتّفق ذلك بعد أيّام، و قبض قطز هذا على الملك المنصور علىّ، و احتجّ لكمال الدّين بن العديم و غيره بأنّه صبىّ لا يحسن تدبير الملك، و فى مثل هذا الوقت الصّعب لا بدّ أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه الناس و ينتصب للجهاد. و كان الأميران: علم الدين سنجر [الغتمىّ المعظّمىّ] و سيف الدين بهادر حين جرى هذا الأمر غائبين فى الصيد، فاغتنم قطز لغيبتهما الفرصة، فلمّا حضرا قبض عليهما و اعتقلهما، و تسلطن. و ركب بشعار الملك، و جلس على كرسىّ السلطنة و تمّ أمره. و لمّا وقع ذلك تقدّم قطز إلى برهان الدين الخضر أن يتوجّه فى جواب رسالة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام صحبة الصاحب كمال الدين ابن العديم، و يعد الملك الناصر بالنّجدة و إنفاذ العساكر إليه؛ فتوجّها و وصلا إلى دمشق و أدّيا الرسالة؛ و لم يزل البرهان بدمشق إلى أن رحل الملك الناصر من دمشق إلى جهة الديار المصريّة جافلا من التّتار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٧٤

و كان الناصر لمّا تحقّق بحركة التّتار رحل إلى برزة شمالى دمشق، و نزل بها بعساكره و اجتمع إليه أمم عظيمة من العرب و العجم و التّركمان و الأتراك و المطوّعة؛ فلم يعجب الناصر حاله لما رأى من تخاذل عسكره، و علم انّه إذا لاقى التّتار لم يثبت عسكره لهم لكثرتهم و لقوّتهم، فإنّ هولاكو فى خلق لا يحصيهم إلّا اللّه تعالى من المغل و الكرج و العجم و غيرهم، و لم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ستّ عشرة و ستمائة إلى هذه السنة يلقاهم عسكر إلّا فلّوه سوى وقائع كانت بينهم و بين جلال الدين بن خوارزم شاه، انتصف جلال الدين فى بعضها، ثمّ كبسوه على باب آمد و بدّدوا جمعه، و أعقب ذلك موت جلال الدين بالقرب من ميّافارقين.

و أمّا أمر هلاكو فإنّه فى جمادى الأولى من هذه السّنة نزل حرّان و استولى عليها و ملك بلاد الجزيرة، ثمّ سيّر ولده أشموط بن هولاكو إلى الشام و أمره بقطع الفرات و أخذ البلاد الشاميّة، و سيّره فى جمع كثيف من التّتار فوصل أشموط إلى نهر الجوز و تلّ باشر، و وصل الخبر إلى حلب من البيرة بذلك. و كان نائب السلطان صلاح الدين يوسف بحلب ابنه الملك المعظّم توران شاه، فجفل الناس بين يدى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٧٥

التّتار إلى جهة دمشق و عظم الخطب، و اجتمع الناس من كلّ فجّ عند الملك الناصر بدمشق، و احترز الملك المعظّم توران شاه ابن الملك الناصر بحلب غاية الاحتراز. و كذلك جميع نوّاب البلاد الحلبيّة؛ و صارت حلب فى غاية الحصانة بأسوارها المحكمة البناء و كثرة الآلات. فلمّا كان العشر الأخير من ذى الحجّة [سنة سبع و خمسين و ستمائة] قصد التّتار حلب و نزلوا على قرية يقال لها سلمية و امتدوا إلى حيلان و الحارى، و سيّروا جماعة من عسكرهم أشرفوا على المدينة. فخرج عسكر حلب و معهم خلق عظيم من العوام و السّوقة، و أشرفوا على التّتار و هم نازلون على هذه الأماكن، و قد ركبوا جميعهم لانتظار المسلمين، فلمّا تحقّق المسلمون كثرتهم كرّوا راجعين إلى المدينة؛ فرسم الملك المعظّم بعد ذلك ألّا يخرج أحد من المدينة.

و لمّا كان غد هذا اليوم رحلت التّتار من منازلهم طالبين مدينة حلب، و اجتمع عسكر المسلمين بالنّواشير و ميدان الحصا و أخذوا فى المشورة فيما يعتمدونه، فأشار عليهم الملك المعظّم أنّهم لا يخرجون أصلا لكثرة التّتار و لقوّتهم و ضعف المسلمين على لقائهم، فلم يوافقه جماعة من العسكر و أبوا إلّا الخروج إلى ظاهر البلد لئلّا يطمع العدوّ فيهم؛ فخرج العسكر إلى ظاهر حلب و خرج معهم العوامّ و السّوقة و اجتمعوا الجميع بجبل بانقوسا؛ و وصل جمع التّتار إلى أسفل الجبل فنزل إليهم جماعة من العسكر ليقاتلوهم؛ فلما رآهم التّتار

اندفعوا بين أيديهم مكرا منهم و خديعة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۶

فتبعهم عسكر حلب ساعة من النهار؛ ثم كرّ التّتار عليهم فولّوا منهزمين إلى جهة البلد و التّتار فى أثرهم. فلما حاذوا جبل بانقوسا و عليه بقيّة عسكر المسلمين و العوامّ اندفعوا كلّهم نحو البلد و التّتار فى أعقابهم، فقتلوا من المسلمين جمعا كثيرا من الجند و العوامّ.

و ممّن استشهد فى ذلك اليوم الأمير علم الدين زريق العزيزىّ- رحمه اللّه- و كان من أعيان الأمراء. و نازل التّتار المدينة فى ذلك اليوم إلى آخره، ثم رحلوا طالبين أعزاز فتسلّموها بالأمان.

ثم عادوا إلى حلب فى ثانى صفر من سنة ثمان و خمسين و ستمائة و حاصروها حتّى استولوا عليها فى تاسع صفر بالأمان، فلمّا ملكوها غدروا بأهل حلب و قتلوا و نهبوا و سبوا و فعلوا تلك الأفعال القبيحة على عادة فعلهم. و بلغ الملك الناصر يوسف أخذ حلب فى منتصف صفر، فخرج الناصر من الشام بأمرائه نحو القبلة. و كان رسل التّتار بقرية حرستا فأدخلوا دمشق ليلة الاثنين سابع عشر صفر. و قرئ بعد صلاة الظهر فرمان (أعنى مرسوما) جاء من عند ملك التّتار يتضمّن الأمان لأهل دمشق و ما حولها، و شرع الأكابر فى تدبير أمرهم. ثم وصلت التّتار إلى دمشق فى سابع عشر شهر ربيع الأوّل، فلقيهم أعيان البلد أحسن ملتقى و قرئ ما معهم من الفرمان المتضمّن الأمان، و وصلت عساكرهم من جهة الغوطة مارّين من وراء الضّياع إلى جهة الكسوة و أهلكوا فى ممرّهم جماعة كانوا قد تجمّعوا و تحزّبوا.

و فى السادس و العشرين منه جاء منشور من هولاكو للقاضى كمال الدين عمر بن بندار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۷

التّفايسىّ بتفويض قضاء القضاة إليه بمدائن الشام إلى الموصل و ميّافارقين و غير ذلك، و كان القاضى قبله صدر الدين أحمد بن سنىّ الدولة. و توجّه الملك الناصر نحو الديار المصريّة و نزل العريش ثم قطيا بعد أن تفرّق عسكره عنه و توجّه معظم عسكره إلى مصر قبله مع الأثقال. فلمّا وصل الناصر إلى قطيا عاد منها إلى جهة الشام لشىء بلغه عن الملك المظفّر صاحب مصر، و نزل بوادى موسى ثم نزل بركة زيزاء، فكبسه التّتار بها و هو فى خواصّه و قليل من مماليكه، فاستأمن الناصر من التّتار و توجّه إليهم، فلمّا وصل إليهم احتفظوا به و بقى معهم فى ذلّ و هوان إلى أن قتل على ما يأتى ذكره فى محله إن شاء اللّه تعالى.

و أمّا التّتار فإنّه بلغت غارتهم إلى غزّة و بلد الخليل - عليه السلام- فقتلوا الرجال و سبوا النساء و الصّبيان و استاقوا من الأسرى و الأبقار و الأغنام و المواشى شيئا كثيرا. كلّ ذلك و السلطان الملك المظفّر قطز سلطان مصر يتهيّأ للقاء التّتار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۸

فلمّا اجتمعت العساكر الإسلاميّة بالديار المصريّة ألقى اللّه تعالى فى قلب الملك المظفّر قطز الخروج لقتالهم بعد أن كانت القلوب قد أيست من النّصرة على التّتار، و أجمعوا على حفظ مصر لا غير لكثرة عددهم و استيلائهم على معظم بلاد المسلمين، و أنّهم ما قصدوا إقليما إلّا فتحوه و لا عسكرا إلّا هزموه، و لم يبق خارج عن حكمهم فى الجانب الشرقىّ إلّا الديار المصريّة و الحجاز و اليمن، و هرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى الغرب، و هرب جماعة من الناس إلى اليمن و الحجاز، و الباقون بقوا فى وجل عظيم و خوف شديد يتوقّعون دخول العدوّ و أخذ البلاد؛ و صمّم الملك المظفّر- رحمه اللّه- على لقاء التّتار، و خرج من مصر فى الجحافل الشاميّة و المصريّة فى شهر رمضان، و صحبته الملك المنصور صاحب حماة؛ و كان الأتابك فارس الدين أقطاى المستعرب، الأمور كلّها مفوّضة إليه؛ و سيّر الملك المظفّر قطز إلى صاحب حماة، و هو بالصالحيّة، يقول: له لا تحتفل فى مدّ سماط، بل كلّ واحد من أصحابك يفطر على قطعة لحم فى صولقه. و سافر الملك المظفّر بالعساكر من الصالحيّة و وصل غزّة و القلوب وجلة.

و أما كتبغانوين مقدّم التّتار على عسكر هولاكو لمّا بلغه خروج الملك المظفّر قطز كان بالبقاع؛ فاستدعى الملك الأشرف [موسى ابن المنصور صاحب حمص] و قاضى القضاة محيى الدين و استشارهم فى ذلك، فمنهم من أشار بعدم الملتقى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۹

و الاندفاع بين يدى الملك المظفّر إلى حيث يجيئه مدد من هولاكو ليقوى على ملتقى العسكر المصرىّ، و منهم من أشار بغير ذلك و تفرّقت الآراء، فاقتضى رأى كتبغانوين الملتقى، و توجّه من فوره لما أراد اللّه تعالى من إعزاز الإسلام و أهله، و إذلال الشّرك و حزبه، بعد أن جمع كتبغانوين من فى الشام من التّتار و غيرهم، و قصد محاربة المسلمين، و صحبته الملك السعيد [حسن] ابن الملك العزيز عثمان. ثم رحل الملك المظفّر قطز بعساكره من غزّة و نزل الغور بعين جالوت، و فيه جموع التّتار فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان، و وقع المصافّ بينهم فى اليوم المذكور، و تقاتلا قتالا شديدا لم ير مثله حتّى قتل من الطائفتين جماعة كثيرة و انكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة، فحمل الملك المظفّر- رحمه اللّه- بنفسه فى طائفة من عساكره و أردف الميسرة حتّى تحايوا و تراجعوا، و اقتحم الملك المظفّر القتال و باشر ذلك بنفسه و أبلى فى ذلك اليوم بلاء حسنا، و عظم الحرب و ثبت كلّ من الفريقين مع كثرة التتار. و المظفّر مع ذلك يشجّع أصحابه و يحسّن إليهم الموت، و هو يكرّ بهم كرّة بعد كرّة حتّى نصر اللّه الإسلام و أعزّه، و انكسرت التّتار و ولّوا الأدبار على أقبح وجه بعد أن قتل معظم أعيانهم و أصيب مقدّم العساكر التّتاريّة كتبغانوين، فإنّه أيضا لمّا عظم الخطب باشر القتال بنفسه فأخزاه اللّه تعالى و قتل شرّ قتلة. و كان الذى حمل عليه و قتله الأمير جمال الدين آقوش الشّمسىّ- رحمه اللّه تعالى- و ولّوا التّتار الأدبار لا يلوون على شىء، و اعتصم منهم طائفة بالتلّ المجاور لمكان الوقعة، فأحدقت بهم العساكر و صابروهم على القتال حتّى أفنوهم قتلا و نجا من نجا. و تبعهم الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارىّ فى جماعة من الشّجعان إلى أطراف البلاد؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۰

و استوفى أهل البلاد و الضّياع من التّتار آثارهم، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة حتّى إنّه لم يسلم منهم إلّا القليل جدّا.

و فى حال الفراغ من المصافّ حضر الملك السعيد [حسن] ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل بين يدى السلطان الملك المظفّر قطز؛ و كان التّتار لمّا ملكوا قلعة البيرة وجدوه فيها معتقلا فأطلقوه و أعطوه بإياس و قلعة الصّبيبة فانضمّ على التّتار و بقى منهم، و قاتل يوم المصافّ المسلمين قتالا شديدا، فلما أيّد اللّه المسلمين بنصره و حضر الملوك عند الملك المظفّر فحضر الملك السعيد هذا من جملتهم على رغم أنفه، فلم يقبل المظفّر عذره، و أمر بضرب عنقه فضربت فى الحال. ثم كتب الملك المظفّر كتابا إلى أهل دمشق يخبرهم فيه بالفتح و كسر العدوّ المخذول و يعدهم بوصوله إليهم و نشر العدل فيهم، فسرّ عوامّ دمشق و أهلها بذلك سرورا زائدا، و قتلوا فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد الكنجىّ فى جامع دمشق، و كان المذكور من أهل العلم، لكنّه كان فيه شرّ، و كان رافضيّا خبيثا و انضم على التّتار. و قتلوا أيضا بدمشق من أعوان التّتار ابن الماسكينى، و ابن النّفيل و غيرهما. و كان النّصارى بدمشق قد شمخوا و تجرّءوا على المسلمين و استطالوا بتردّد التّتار إلى كنائسهم.

و ذهب بعضهم إلى هولاكو و جاءوا من عنده بفرمان يتضمّن الوصيّة بهم و الاعتناء بأمرهم، و دخلوا بالفرمان من باب توما و صلبانهم مرتفعة، و هم ينادون بارتفاع دينهم و اتّضاع دين المسلمين، و يرشّون الخمر على الناس و فى أبواب المساجد، فحصل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۱

عند المسلمين من ذلك همّ عظيم. فلمّا هرب نوّاب التّتار حين بلغتهم الكسرة أصبح الناس و توجّهوا إلى دور النّصارى ينهبونها و يأخذون ما استطاعوا منها، و أخربوا كنيسة اليعاقبة و أحرقوا كنيسة مريم حتّى بقيت كوما، و قتلوا منهم جماعة و اختفى الباقون. و كانت النصارى فى تلك الأيام ألزموا المسلمين بالقيام فى دكاكينهم للصّليب، و من لم يقم أخرقوا به و أهانوه، و شقّوا السّوق على هذا الوجه إلى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم؛ فقام بعضهم على الدّكّان الوسطى من الصف الغربىّ بين القناطر و خطب و فضّل دين النّصارى و وضع من دين الإسلام، و كان ذلك فى ثانى عشرين شهر رمضان. ثم من الغد طلع المسلمون مع قضاتهم و شهودهم إلى قلعة دمشق و بها التّتار فأهانوهم التتار، و رفعوا قسّيس النّصارى عليهم، ثم أخرجوهم بالضرب؛ فصار ذلك كلّه فى قلوب

المسلمين. انتهى.

ثمّ إنّ أهل دمشق هموا أيضا بنهب اليهود فنهبوا منهم يسيرا، ثم كفّوا عنهم.

ثمّ وصل الملك المظفّر قطز إلى دمشق مؤيّدا منصورا فانجبرت بذلك قلوب الرّعايا و تضاعف شكرهم للّه تعالى. و التقاه أهل دمشق بعد أن عفّوا آثار النصارى و خرّبوا كنائسهم جزاء لما كانوا سلفوه من ضرب النواقيس على رءوس المسلمين، و دخولهم بالخمر إلى الجامع. و فى هذا المعنى يقول بعض شعراء دمشق:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۲

هلك الكفر فى الشآم جميعا و استجدّ الإسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفّر الملك الأر وع سيف الإسلام عند نهوضه

ملك [جاءنا] بعزم و حزم فآعتززنا بسمره و بيضه

أوجب اللّه شكر ذاك علينا دائما مثل واجبات فروضه

و فى نصرة الملك المظفّر هذا يقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة:

غلب التّتار على البلاد فجاءهم من مصر تركى يجود بنفسه

بالشام أهلكهم و بدّد شملهم و لكلّ شىء آفة من جنسه

ثم قدم الخبر على السلطان بدمشق فى شوّال بأنّ المنهزمين من رجال التّتار و نسائهم لحقهم الطّلب من الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارىّ، فإنّ بيبرس كان تقدّم قبل السلطان إلى دمشق يتتبّع آثار التّتار إلى قرب حلب، فلمّا قرب منهم بيبرس سيّبوا ما كان فى أيديهم من أسارى المسلمين، و رموا أولادهم فتخطّفهم النّاس، و قاسوا من البلاء ما يستحقّونه.

و كان الملك المظّفر قطز قد وعد الأمير بيبرس بحلب و أعمالها، فلمّا انتصر على التّتار انثنى عزمه عن إعطائه حلب، و ولّاها لعلاء الدّين [علىّ ابن بدر الدين لؤلؤ] صاحب الموصل، فكان ذلك سبب الوحشة بين بيبرس و بين الملك المظفّر قطز.

على ما يأتى ذكره.

و لمّا قدم الملك المظفّر إلى دمشق أحسن إلى الناس و أجراهم على عوائدهم و قواعدهم إلى آخر أيّام الملك الناصر صلاح الدين يوسف. و سيّر الملك الأشرف صاحب حمص يطلب منه أمانا على نفسه و بلاده، و كان الأشرف أيضا ممّن انضاف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۳

إلى التّتار فأمّنه و أعطاه بلاده و أقرّه عليها؛ فحضر الأشرف إلى خدمة الملك المظفّر ثم عاد إلى بلده. ثم توجّه الملك المظفّر صاحب حماة إلى حماة على ما كان عليه، و كان حضر مع الملك المظفّر قطز من مصر.

قلت: و الملك المظفّر قطز هو أوّل من ملك البلاد الشاميّة و استناب بها من ملوك الترك.

ثمّ إنّ الملك المظفّر قطز رتّب أمور الشام و استناب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ الكبير. ثم خرج المظفّر من دمشق عائدا إلى مصر إلى أن وصل إلى القصير، و بقى بينه و بين الصالحيّة مرحلة واحدة، و رحلت العساكر إلى جهة الصالحيّة و ضرب الدهليز السلطانىّ بها و بقى المظفّر مع بعض خواصّه و أمرائه؛ و كان جماعة قد اتّفقوا مع الأمير بيبرس البندقدارىّ على قتل الملك المظفّر: منهم الأمير سيف الدين أنص من مماليك [نجم الدين] الرومى الصالحى، و علم الدين صنغلى، و [سيف الدين بلبان] الهارونىّ و غيرهم؛ كلّ ذلك لكمين كان فى نفس بيبرس، لأجل نيابة حلب. و اتّفق عند القصير بعد توجّه العساكر إلى الصالحيّة أن ثارت أرنب فساق الملك المظفّر قطز عليها، و ساق هؤلاء المتّفقون على قتله معه، فلمّا أبعدوا و لم يبق معه غيرهم، تقدّم إليه الأمير بيبرس البندقدارىّ و شفع عنده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۴

شفاعة فى إنسان فأجابه، فأهوى بيبرس ليقبّل يده فقبض عليها؛ و حمل أنص عليه، و قد أشغل بيبرس يده، و ضربه بالسيف، ثمّ حمل الباقون عليه و رموه عن فرسه، و رشقوه بالنّشّاب فقتلوه، ثم حملوا على العسكر و هم شاهرون سيوفهم حتّى وصلوا إلى الدّهليز السلطانىّ بالصالحيّة؛ فنزلوا و دخلوا و الأتابك على باب الدّهليز فأخبروه بما فعلوا؛ فقال: من قتله منكم؟ فقال بيبرس: أنا، فقال: يا خوند، اجلس على مرتبة السلطان! يأتى بقية ذلك فى أوّل ترجمة الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ المذكور. إن شاء اللّه تعالى.

و لمّا وقع ذلك و بلغ الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ الكبير نائب دمشق عزّ عليه قتل الملك المظفّر، ثم دعا الناس لنفسه و استحلفهم و تلقّب بالملك المجاهد.

على ما يأتى ذكره أيضا. أمّا الملك المظفّر قطز فإنّه دفن موضع قتله- رحمه اللّه تعالى- و كثر أسف الناس و حزنهم عليه. قال الحافظ أبو عبد اللّه شمس الدين محمد الذهبىّ فى تاريخه- رحمه اللّه تعالى- بعد ما سمّاه و نعته قال:

و كان المظفّر أكبر مماليك الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ، و كان بطلا شجاعا مقداما حازما حسن التدبير، يرجع إلى دين و إسلام و خير، و له اليد البيضاء فى جهاد التّتار، فعوّض اللّه شبابه بالجنّة و رضى عنه. و حكى الشيخ شمس الدين الجزرىّ فى تاريخه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۵

عن أبيه، قال: كان قطز فى رقّ ابن الزعيم بدمشق فى القصّاعين، فضربه أستاذه فبكى و لم يأكل شيئا يومه، ثم ركب أستاذه للخدمه و أمر الفرّاش أن يترضّاه و يطعمه، قال: فحدّثنى الحاجّ علىّ الفراش قال: فجئته و قلت: ما هذا البكاء من لطشة؟ فقال: إنّما بكائى من لعنة أبى و جدّى و هم خير منه، فقلت: من أبوك؟ واحد كافر! فقال: و اللّه ما أنا إلّا مسلم ابن مسلم، أنا محمود بن ممدود ابن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك، فسكّته و ترضّيته. و تنقّلت به الأحوال إلى أن تملّك مصر، و لمّا تملك أحسن إلى الحاج علىّ الفراش المذكور، و أعطاه خمسمائة دينار و عمل له راتبا. قال الذهبىّ أيضا: و لمّا تسلطن لم يبلغ ريقه و لا تهنّى بالسلطنة حتى امتلأت الشامات المباركة بالتّتار؛ ثم ساق الذهبىّ أمره مع التّتار بنحو ما حكيناه.

و قال الشيخ قطب الدين: حكى عن الملك المظفّر قطز أنّه قتل جواده يوم القتال مع التّتار، و لم يصادف المظفّر أحد من الأوشاقية فبقى راجلا، فرآه بعض الأمراء الشجعان فترجّل له و قدّم له حصانه، فامتنع المظفّر من ركوبه و قال:

ما كنت لأمنع المسلمين الانتفاع بك فى هذا الوقت! ثم تلاحقت الأوشاقيّة إليه.

و قال ابن الجزرىّ فى تاريخه: حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو بكر بن الدّريهم الإسعردىّ و الزكىّ إبراهيم أستاذ الفارس أقطاى قالا: كنّا عند سيف الدين قطز لمّا تسلطن أستاذه الملك المعزّ أيبك التركمانىّ، فأمرنا قطز بالقعود، ثم أمر المنجّم فضرب الرّمل،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۶

ثم قال له قطز: اضرب لمن يملك بعد أستاذى الملك المعزّ أيبك، و من يكسر التّتار، فضرب و بقى زمانا يحسب، فقال: يطلع معى خمس حروف بلا نقط. فقال له قطز: لم لا تقول محمود بن ممدود، فقال: يا خوند لا ينفع غير هذا الاسم، فقال:

أنا هو، أنا محمود بن ممدود، و أنا أكسر التّتار و آخذ بثأر خالى خوارزم شاه، فتعجّبنا من كلامه، و قلنا: إن شاء اللّه يكون هذا يا خوند، فقال: اكتموا ذلك، و أعضى المنجّم ثلثمائة درهم.

قلت: و نقل الشيخ قطب الدين اليونينىّ فى تاريخه الذى ذيّله على مرآة الزمان، فقال فى أمر المنجّم غير هذه الصورة. و سنذكرها فى سياق كلام قطب الدين المذكور. قال (أعنى قطب الدين): كان المظفّر أخصّ مماليك الملك المعزّ و أقربهم إليه و أوثقهم عنده. و هو الذى قتل الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار.

قال: و كان الملك المظفّر بطلا شجاعا مقداما حازما حسن التدبير لم يكن يوصف بكرم و لا شحّ بل كان متوسّطا فى ذلك، و ذكر حكايته لمّا أن قتل جواده يوم الوقعة بنحو ممّا حكيناه، لكنّه زاد بأن قال: فلام المظفّر بعض خواصّه على عدم ركوبه، و قال: يا خوند- لو صادفك، و العياذ باللّه تعالى- بعض المغل و أنت راجل كنت رحت و راح الإسلام! فقال: أما أنا فكنت رحت إلى الجنّة- إن شاء

اللّه تعالى- و أما الإسلام فما كان اللّه ليضيعه؛ فقد مات الملك الصالح نجم الدين أيّوب، و قتل بعده ابنه الملك المعظّم توران شاه، و قتل الأمير فخر الدين ابن الشيخ مقدّم العساكر يوم ذاك، و نصر اللّه الإسلام بعد اليأس من نصره! (يعنى عن نوبة أخذ الفرنج دمياط). ثم قال قطب الدين، بعد ما ساق توجّهه إلى دمشق و إصلاح أمرها إلى أن قال: و قتل الملك المظفّر قطز مظلوما بالقرب من القضير و هى المنزلة التى بقرب الصالحية، و بقى ملقى بالعراء فدفنه بعض من كان فى خدمته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۷

بالقصير، و كان قبره يقصد للزيارة دائما. قال: و اجتزت به فى شهر رمضان سنة تسع و خمسين و ستمائة، و ترحّمت عليه و زرته. و كان كثير الترحّم عليه و الدعاء على من قتله. فلمّا بلغ بيبرس ذلك أمر بنبشه و نقله إلى غير ذلك المكان و عفّى أثره، و لم يعفّ خبره- رحمه اللّه تعالى و جزاه عن الإسلام خيرا- قال: و لم يخلّف ولدا ذكرا، و كان قتله يوم السبت سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان و خمسين و ستمائة.

قلت: فعلى هذا تكون مدّة سلطنة الملك المظفّر قطز سنة إلّا يومنا واحدا، فإنّه تسلطن فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة من سنة سبع و خمسين و ستمائة، و قتل فيما نقله الشيخ قطب الدين فى يوم السبت سادس عشر ذى القعدة من سنة ثمان و خمسين و ستمائة: انتهى. قال: حكى لى المولى علاء الدين بن غانم فى غرّة شوّال سنة إحدى و تسعين و ستّمائة ببعلبكّ، قال: حدّثنى المولى تاج الدين أحمد ابن الأثير- تغمده اللّه برحمته- ما معناه: أنّ الملك الناصر صلاح الدين يوسف- رحمه اللّه- لمّا كان على برزة فى أواخر سنة سبع و خمسين وصله قصّاد من الديار المصريّة بكتب يخبرونه فيها أنّ قطز تسلطن و ملك الديار المصريّة و قبض على ابن أستاذه، قال المولى تاج الدين- رحمه اللّه-: فطلبنى السلطان الملك الناصر قرأت عليه الكتب، و قال لى: خذ هذه الكتب و رح إلى الأمير ناصر الدين القيمرىّ، و الأمير جمال الدين بن يغمور أوقف كلّا منهما عليها، قال: فأخذتها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۸

و خرجت فلما بعدت عن الدّهليز لقينى حسام الدين البركة خانى و سلّم علىّ، و قال:

جاءكم بريدىّ أو قصّاد من الديار المصريّة؟ فورّيت و قلت: ما عندى علم بشىء من هذا، قال: قطز تسلطن و تملّك الديار المصريّة و يكسر التّتار؛ قال تاج الدين:

فبقيت متعجّبا من حديثه، و قلت له: إيش هذا القول، و من أين لك هذا؟

قال: و اللّه هذا قطز خشداشى، كنت أنا و إيّاه عند الهيجاوى من أمراء مصر و نحن صبيان، و كان عليه قمل كثير، فكنت أسرّح رأسه على أنّنى كلّما أخذت منه قملة أخذت منه فلسا أو صفعته، ثم قلت فى غضون ذلك: و اللّه ما أشتهى إلا أنّ اللّه يرزقنى إمرة خمسين فارسا، فقال لى: طيّب قلبك، أنا أعطيك إمرة خمسين فارسا، فصفعته و قلت: أنت تعطينى إمرة خمسين! قال: نعم فصفّعته، فقال لى: و أ لك علّة! إيش يلزم لك إلّا إمرة خمسين فارسا؟ أنا و اللّه أعطيك، قلت: ويلك! كيف تعطينى؟ قال: أنا أملك الديار المصريّة، و أكسر التّتار و أعطيك الذى طلبت، قلت: ويلك أنت مجنون! أنت بقملك تملك الديار المصرية؟ قال: نعم، رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فى المنام و قال لى: أنت تملك الديار المصريّة و تكسر التّتار، و قول النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم حقّ لا شكّ فيه، قال: فسكتّ و كنت أعرف منه الصدق فى حديثه و عدم الكذب. قال تاج الدين:

فلمّا قال لى هذا، قلت له: قد وردت الأخبار بأنّه تسلطن، قال لى: و اللّه و هو يكسر التّتار. قال تاج الدين: فرأيت حسام الدين البركة خانى- الحاكى ذلك- بالديار المصريّة بعد كسر التّتار فسلّم علىّ، و قال: يا مولاى تاج الدين،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۹

تذكر ما قلت لك فى الوقت الفلانىّ؟ قلت: نعم، قال: و اللّه حالما عاد الملك الناصر من قطيا دخلت الديار المصريّة أعطانى إمرة خمسين فارسا كما قال، لا زائد على ذلك. قال: و حكى لى عزّ الدين محمد بن أبى الهيجاء ما معناه: أنّ سيف الدين بلغاق حدّثه أنّ

الأمير بدر الدين بكتوت الأتابكىّ، حكى لى قال: كنت أنا و الملك المظفّر قطز و الملك الظاهر بيبرس- رحمهما اللّه تعالى- فى حال الصّبا كثيرا ما نكون مجتمعين فى ركوبنا و غير ذلك، فاتّفق أن رأينا منجّما فى بعض الطريق بالديار المصريّة، فقال له الملك المظفّر قطز: أبصر نجمى، فضرب بالرّمل و حسب و قال: أنت تملك هذه البلاد و تكسر التّتار، فشرعنا نهزأ به. ثم قال له الملك الظاهر بيبرس: أبصر نجمى، فقال: و أنت أيضا تملك الديار المصريّة و غيرها، فتزايد استهزاؤنا به، ثم قالا لى، لا بدّ أن تبصر نجمك، فقلت له: أبصر لى نجمى، فحسب و قال: أنت تخلص لك إمرة مائة فارس، يعطيك هذا، و أشار إلى الملك الظاهر، فاتّفق أن وقع الأمر كما قال، و لم يخرم منه شىء. و هذا من عجيب الاتّفاق. انتهت ترجمة الملك المظفّر قطز. و يأتى ذكر حوادثه على عادة هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۸]

اشارة

السنة التى حكم فيها الملك المظفّر قطز على الديار المصريّة، و هى سنة ثمان و خمسين و ستمائة على أنّه حكم من سنة سبع شهرين و قتل قبل انقضاء السنة أيضا بشهرين.

فيها كانت كائنة التّتار مع الملك المظفّر قطز و غيره، حسب ما تقدّم ذكره من أنّهم ملكوا حلب و الشام ثم رحلوا عنها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۰

و فيها غلت الأسعار بالبلاد الشاميّة.

و فيها توفّى الملك السعيد نجم الدين إيلغازى ابن الملك المنصور ناصر الدين أبى المظفّر أرتق بن أرسلان بن نجم الدين إيلغازى ابن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى ابن أرتق، السلطان أبو الفتح صاحب ماردين. كان ملكا جليلا كبير القدر شجاعا جوادا حازما ممدّحا. مات فى ذى الحجّة، و ملك ماردين بعده ابنه الملك المظفّر رحمه اللّه.

و فيها توفّى الملك المعظّم فخر الدين أبو المفاخر توران شاه ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب، كان قد كبرت سنّه و صار كبير البيت الأيّوبىّ، و كانت نفسه لا تحدّثه بالوثوب على الأمر، فلذلك عاش عيشا رغدا و طال عمره. و كان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام يعظّمه و يحترمه و يثق به. و هو غير الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب. و قد تقدّم قتل هذاك فى كائنة دمياط، و عدّ أيضا من ملوك مصر. و توران شاه هذا هو ابن عم الملك الكامل محمد جدّ توران شاه هذاك. و هو أيضا غير توران شاه ابن الملك الكامل محمد المعروف بأقسيس. انتهى. و مولد توران شاه هذا بالقاهرة فى سنة سبع و سبعين و خمسمائة و مات فى شهر ربيع الأوّل من هذه السنة بحلب.

و فيها قتل الأمير كتبغانوين مقدّم عساكر التّتار الذى قتل فى الوقعة التى كانت بينه و بين المظفّر قطز بعين جالوت المقدّم ذكرها. كان كتبغانوين عظيما عند

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۱

التّتار يعتمدون على رأيه و شجاعته و تدبيره، و كان بطلا شجاعا مقداما خبيرا بالحروب و افتتاح الحصون و الاستيلاء على الممالك، و هو الذى فتح معظم بلاد العجم و العراق.

و كان هولاكو ملك التتار يثق به و لا يخالفه فيما يشير إليه و يتبرّك برأيه. يحكى عنه عجائب فى حروبه، و كانت مقتلته فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان فى المصافّ على عين جالوت.

قلت: إلى سقر و بئس المصير، و لقد استراح الإسلام منه، فإنّه شرّ عصابة على الإسلام و أهله. و للّه الحمد على هلاكه.

و فيها توفّى الملك المظفّر أبو المعالى ناصر الدين محمد ابن الملك المظفّر غازى بن أبى بكر محمد العادل بن أيّوب صاحب ميّافارقين و تلك البلاد. ملكها فى سنة خمس و أربعين و ستمائة عقيب وفاة والده، [و] دام فى الملك سنين إلى أن جفل من التّتار بعد أن كان يداريهم سنين، و قدم على الملك الناصر صلاح الدين يوسف بدمشق و استنجده على التّتار فوعده الناصر بالنّجدة، و آخر الأمر أنّه رجع إلى بلاده، و حصره التّتار بها نحو سنتين حتّى استشهد بأيديهم- رحمه اللّه تعالى و عفا عنه-.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى و استشهد بحلب خلائق لا يحصون؛ منهم، إبراهيم بن خليل الأدمىّ. و الرئيس أبو طالب عبد الرحمن ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن العجمىّ، تحت عذاب التّتار. و بدمشق عبد اللّه ابن بركات بن إبراهيم [المعروف بابن] الخشوعىّ فى صفر. و العماد عبد الحميد بن عبد الهادى المقدسىّ فى شهر ربيع الأوّل عن خمس و ثمانين سنة. و الملك المعظّم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۲

توران شاه ابن السلطان صلاح الدين فى شهر ربيع الأوّل، و له إحدى و ثمانون سنة.

و الشمس محمد بن عبد الهادى أخو العماد بقرية ساوية [من عمل نابلس] شهيدا. و قاضى القضاة صدر الدين أحمد ابن شمس الدين أبى البركات يحيى بن هبة اللّه بن سنىّ الدولة ببعلبكّ، و قد قارب السبعين فى جمادى الآخرة. و أبو الكرم لاحق بن عبد المنعم الأرتاحىّ بالقاهرة، و له خمس و ثمانون سنة. و الحافظ المفيد محبّ الدين عبد اللّه بن أحمد المقدسىّ. و الفقيه الكبير أبو عبد اللّه محمد بن أبى الحسين [أحمد] بن عبد اللّه اليونينىّ فى رمضان، و له سبع و ثمانون سنة فى المحرّم. و الحافظ البليغ أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن أبى بكر القضاعىّ البلنسىّ الكاتب المعروف بالأبّار بتونس مقتولا. و الملك الكامل الشهيد ناصر الدين محمد ابن المظفّر شهاب الدين غازى بن العادل. و الملك المظفّر الشهيد سيف الدين فطز فى ذى القعدة، فتكوا به فى الرمل. و صاحب الصّبيبة الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل، قتل صبرا يوم عين جالوت بأمر الملك المظفّر. و فى آخرها صاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين إيلغازى بن أرتق. و الملك كتبغانوين رأس التّتار يوم عين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۳

جالوت، قتله آقوش الشّمسىّ. و حسام الدين محمد بن أبى علىّ الهذبانىّ نائب السلطنة بمصر. و الأمير مجير الدين إبراهيم [بن أبى بكر] بن أبى زكرى بنابلس شهيدا بعد أن قتل جماعة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ست عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۴

ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ على مصر

السلطان الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد اللّه البندقدارىّ الصالحىّ النّجمىّ الأيّوبىّ التّركىّ، سلطان الديار المصريّة و البلاد الشاميّة و الأقطار الحجازيّة، و هو الرابع من ملوك الترك. مولده فى حدود العشرين و ستمائة بصحراء القبجاق تخمينا و القبجاق قبيلة عظيمة فى التّرك، و هو (بكسر القاف و سكون الباء ثانية الحروف و فتح الجيم ثم ألف و قاف ساكنة)، و بيبرس (بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف و سكون الياء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة و سكون الراء و السين المهملتين) و معناه باللغة التركية: أمير فهد. انتهى.

قلت: أخذ بيبرس المذكور من بلاده و أبيع بدمشق للعماد الصائغ. ثم اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين الصالحى البندقدارىّ و به سمّى البندقدارىّ.

قلت: و العجيب أن علاء الدين أيدكين البندقداريّ المذكور عاش حتّى صار من جملة أمراء الظاهر بيبرس هذا. على ما سيأتى ذكره مفصّلا- إن شاء اللّه تعالى- حكى شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاريّ الحمويّ قال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۵

كان الأمير علاء الدين البندقداريّ الصالحيّ لمّا قبض عليه و أحضر إلى حماة و اعتقل بجامع قلعتها اتّفق حضور ركن الدين بيبرس مع تاجر، و كان الملك المنصور (يعنى صاحب حماة) إذ ذاك صبيا و كان إذا أراد شراء رقيق تبصره الصاحبة والدته، فأحضر بيبرس هذا مع آخر فرأتهما من وراء السّتر فأمرت بشراء خشداشه، و قالت: هذا الأسمر لا يكون بينك و بينه معاملة فإنّ فى عينيه شرّا لائحا فردّتهما جميعا؛ فطلب البندقداريّ الغلامين يعنى بيبرس و رفيقه فاشتراهما و هو معتقل، ثم أفرج عنه فسار إلى مصر؛ و آل أمر ركن الدين إلى ما آل.

و قال الذهبيّ: اشتراه الأمير علاء الدين البندقداريّ الصالحيّ فطلع بطلا شجاعا نجيبا لا ينبغى [أن] يكون إلّا عند ملك، فأخذه الملك الصالح منه. و قيل: بقى بيبرس المذكور فى ملك البندقداريّ حتى صادره أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب، و أخذ بيبرس هذا فيما أخذه منه فى المصادرة فى شهر شوّال سنة أربع و أربعين و ستمائة.

قلت: و هذا القول هو المشهور.

و لمّا اشتراه الملك الصالح أعتقه و جعله من جملة مماليكه، و قدّمه على طائفة الجمداريّة لما رأى من فطنته و ذكائه؛ و حضر مع أستاذه الملك الصالح واقعة دمياط.

و قال الشيخ عزّ الدين عمر بن علىّ بن إبراهيم بن شدّاد: أخبرنى الأمير بدر الدين بيسرى الشّمسىّ أنّ مولد الملك الظاهر بأرض القبجاق سنة خمس و عشرين و ستمائة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۶

تقريبا. و سبب انتقاله من وطنه إلى البلاد أنّ التّتار لمّا أزمعوا على قصد بلادهم سنة تسع و ثلاثين و ستمائة، و بلغهم ذلك، كاتبوا أنس خان ملك أولاق أن يعبروا بحر صوداق إليه ليجيرهم من التّتار، فأجابهم إلى ذلك و أنزلهم واديا بين جبلين، و كان عبورهم إليه فى سنة أربعين و ستمائة؛ فلما اطمأنّ بهم المقام غدر بهم و شنّ الغارة عليهم، فقتل منهم و سبى. قال بيسرى: و كنت أنا و الملك الظاهر فيمن أسر؛ قال: و كان عمره إذ ذاك أربع عشرة سنة تقديرا، فبيع فيمن بيع و حمل إلى سيواس ثمّ افترقنا و اجتمعنا فى حلب فى خان ابن قليج ثم افترقنا؛ فاتّفق أن حمل إلى القاهرة فبيع على الأمير علاء الدين أيدكين البندقداريّ و بقى فى يده إلى أن انتقل عنه بالقبض عليه فى جملة ما استرجعه الملك الصالح نجم الدين أيّوب منه، و ذلك فى شوّال سنة أربع و أربعين و ستمائة.

قلت: و هذا القول مطابق لقولنا الذى ذكرناه. قال: ثم قدّمه الملك الصالح على طائفة الجمداريّة. انتهى.

و قال غيره: و لمّا مات الملك الصالح نجم الدين أيّوب و ملك بعده ابنه الملك المعظّم توران شاه و قتل و أجمعوا على الأمير عزّ الدين أيبك التّركمانىّ و ولّوه الأتابكيّة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۷

ثم استقلّ بالملك و قتل الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار، ركب الملك الظاهر بيبرس هذا و البحريّة و قصدوا قلعة الجبل؛ فلمّا لم ينالوا مقصودهم خرجوا من القاهرة مجاهرين بالعداوة للملك المعزّ أيبك التّركمانى و مهاجرين إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف [ابن الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب] صاحب الشام. و هم: الملك الظاهر بيبرس هذا، و سيف الدين بلبان الرّشيدىّ، و عزّ الدين أزدمر السّيفىّ، و شمس الدين سنقر الرّومى، و شمس الدين سنقر الأشقر، و بدر الدين بيسرى الشّمسىّ، و سيف الدين قلاوون الألفى، و سيف الدين بلبان المستعرب و غيرهم؛ فلمّا شارفوا دمشق سيّر إليهم الملك الناصر طيّب قلوبهم، فبعثوا فخر الدين إياز المقرئ يستحلفه لهم فخلف الناصر لهم و دخلوا دمشق فى العشر الأخير من شهر

رمضان سنة اثنتين و خمسين و ستمائة، فأكرمهم الملك الناصر صلاح الدين و أطلق للملك الظاهر بيبرس ثلاثين ألف درهم، و ثلاثة قطر بغال و ثلاثة قطر جمال و ملبوسا، و فرّق فى بقيّة الجماعة الأموال و الخلع على قدر مراتبهم. و كتب الملك المعزّ أيبك إلى الملك الناصر يحذّره منهم و يغريه بهم، فلم يصغ إليه الناصر، و دام على إحسانه إليهم. و كان عيّن الناصر لبيبرس إقطاعا بحلب، فطلب الملك الظاهر بيبرس من الملك الناصر أن يعوّضه عمّا كان له بحلب من الإقطاع بجينين و زرعين فأجابه الملك الناصر إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۸

ذلك؛ فتوجّه بيبرس إليها و عاد، فاستشعر بيبرس من الملك الناصر بالغدر فتوجّه بمن معه و من تبعه من خشداشيته إلى الكرك، و اجتمعوا بصاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد، فجهّز الملك المغيث عسكره مع بيبرس المذكور، و عدّة من كان جهّزه معه ستّمائة فارس، و خرج من عسكر مصر جماعة لملتقاه؛ فأراد بيبرس كبسهم فوجدهم على أهبة، ثم واقع المصريّين فانكسر و لم ينج منهم إلّا القليل، فالذى نجا من الأعيان: بيبرس و بيليك الخازندار، و أسر بلبان الرّشيدى. و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى ترجمة المعزّ مجملا، و لكن نذكره هنا مفصّلا.

و عاد بيبرس هذا إلى الكرك و أقام بها، فتواترت عليه كتب المصريّين يحرّضونه على قصد الديار المصريّة، و جاءه جماعة كثيرة من عسكر الملك الناصر. فأخذ بيبرس يطمع الملك المغيث صاحب الكرك فى ملك مصر، و لا زال به حتّى ركب معه بعسكره و نزل غزّة، و ندب الملك المعزّ أيبك عسكرا لقتالهم، و قدّم على العسكر المصرىّ مملوكه الأمير قطز و الأمير أقطاى المستعرب، و ساروا و هرب من عسكر مصر إلى بيبرس و المغيث الأمير عزّ الدين أيبك الرومىّ، و الأمير بلبان الكافورىّ و الأمير سنقر شاه العزيزى، و الأمير أيبك الخواشى، و الأمير بدر الدين برخان، و الأمير بغدى، و أيبك الحموىّ، و جمال الدين هارون القيمرىّ و الجميع أمراء، و اجتمعوا الجميع مع بيبرس و الملك المغيث بعزّة، فقويت شوكتهما بهؤلاء، و ساروا الجميع إلى الصالحيّة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۹

و لقوا عسكر مصر يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست و خمسين، فاستظهر عسكر بيبرس و المغيث أوّلا، ثم عادت الكسرة عليهم لثبات قطز المعزّىّ، و هرب الملك المغيث و لحقه بيبرس، و أسر من عسكر بيبرس عزّ الدين أيبك الرومىّ، و ركن الدين منكورس الصّيرفىّ، و بلبان الكافورىّ و عزّ الدين أيبك الحموىّ، و بدر الدين بلغان الأشرفى، و جمال الدين هارون القيمرىّ، و سنقر شاه العزيزىّ، و بهاء الدين أيدغدى الإسكندرانىّ، و بدر الدين برخان، و بغدى، و بيليك الخازندار الظاهرىّ فضربت [أعناق] الجميع صبرا، ما خلا الخازندار [فإنّ جمال الدين] الجوكندارى شفع فيه، و خيّروه بين المقام و الذّهاب فاختار الذّهاب إلى أستاذه، فأطلق و توجّه إلى أستاذه، و لمّا أن وصل الملك المغيث إلى الكرك حصل بينه و بين ركن الدين بيبرس هذا وحشة؛ و أراد المغيث القبض عليه بعد أمور صدرت، فأحسّ بيبرس بذلك و هرب و عاد إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، بعد أن استحلفه على أن يعطيه خبز مائة فارس من جملتها قصبة نابلس، و جينين و زرعين فأجاب إلى نابلس لا غير. و كان قدومه على الناصر فى شهر رجب سنة سبع و خمسين و ستّمائة، و معه الجماعة الذين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۰

حلف لهم الملك الناصر أيضا و هم: بيسرى الشّمسىّ و أيتمش السّعدىّ و طيبرس الوزيرىّ و آقوش الرومىّ الدّوادار، و كشتغدى الشّمسىّ و لاجين الدّرفيل، و أيدغمش الحلبىّ و كشتغدىّ الشرقى و أيبك السيخى و بيبرس خاص ترك الصغير، و بلبان المهرانىّ، و سنجر الباشقردى و سنجر الهمامىّ، و أرسلان الناصرىّ و يكنى الخوارزمىّ، و سيف الدين طمان [الشّقيرى]، و أيبك العلائىّ، و لاچين الشّقيرىّ، و بلبان الأقسيسىّ، و علم الدين سلطان الإلدكزىّ، فأكرمهم الملك الناصر، و وفّى لهم بما حلف، و داموا على ذلك حتّى قبض الأمير قطز على ابن أستاذه الملك المنصور علىّ، و تسلطن و تلقّب بالملك المظفّر قطز، شرع بيبرس يحرّض الملك الناصر على التوجّه إلى الديار المصريّة ليملكها، فلم يجبه، فكلّمه بيبرس فى أن يقدّمه على أربعة آلاف فارس، أو يقدّم عليهم غيره، و

يتوجّه بها إلى شطّ الفرات يمنع التّتار من العبور إلى الشام، فلم يمكّنه ابن عمّه الملك الصالح إسماعيل لباطن كان له مع التّتار، قاتله اللّه! فاستمرّ بيبرس عند الناصر إلى سنة ثمان و خمسين فارقه بمن معه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۱

و قصد الشّهرزوريّة و تزوّج منهم؛ ثم أرسل إلى الملك المظّفر قطز من استحلفه له، فحلف قطز. و دخل بيبرس إلى القاهرة فى يوم السبت الثانى و العشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ثمان و خمسين، فركب الملك المظفّر قطز للقائه و أنزله فى دار الوزارة و أقطعه قصبة قليوب، فلم تطل مدّته بالقاهرة و تهيّأ الملك المظفّر قطز لقتال التّتار، و سيّر بيبرس هذا فى عسكر أمامه كالجاليش ليتجسّس أخبار التّتار؛ فكان أوّل ما وقعت عينه عليهم ناوشهم بالقتال، فلما انقضت الوقعة بعين جالوت تبعهم بيبرس هذا، يقتل من وجده منهم، إلى حمص؛ ثم عاد فوافى الملك المظفّر قطز بدمشق، و كان وعده بنيابة حلب، فأعطاها قطز لصاحب الموصل، فحقد عليه بيبرس فى الباطن، و اتّفق على قتله مع جماعة لمّا عاد الملك المظّفر إلى نحو الديار المصريّة. و الذين اتّفقوا معه: بلبان الرّشيدىّ، و بهادر المعزّى، و بكتوت الجوكندار المعزىّ، و بيدغان الرّكنىّ، و بلبان الهارونىّ، و أنص الأصبهانىّ، و اتّفقوا الجميع مع بيبرس على قتل الملك المظفّر قطز؛ و ساروا معه نحو الديار المصريّة إلى أن وصل الملك المظفّر قطز إلى القصير، و بقى بينه و بين الصالحيّة مرحلة، و رحل العسكر طالبا الصالحيّة، و ضرب دهليز السلطان بها، و اتّفق عند القصير أن ثارت أرنب فساق المظفّر قطز، و ساق هؤلاء المتّفقون على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۲

قتله معه، فلمّا أبعدوا و لم يبق مع المظفّر غيرهم، تقدّم إليه ركن الدين بيبرس و شفع عنده فى إنسان فأجابه المظفّر، فأهوى بيبرس ليقبّل يده فقبض عليها، و حمل أنص عليه و قد أشغل بيبرس يده و ضربه أنص بالسيف، و حمل الباقون عليه و رموه عن فرسه و رشقوه بالنّشّاب إلى أن مات، ثم حملوا على العسكر و هم شاهرون سيوفهم حتّى وصلوا إلى الدّهليز السلطانىّ، فنزلوا و دخلوه و الأتابك على باب الدهليز فأحبروه بما فعلوا، فقال فارس الدين الأتابك: من قتله منكم؟

فقال بيبرس: أنا؛ فقال: ياخوند، اجلس فى مرتبة السلطنة فجلس؛ و استدعيت العساكر للحلف، و كان القاضى برهان الدين قد وصل إلى العسكر متلقّيا للملك المظفّر قطز، فاستدعى و حلّف العسكر للملك الظاهر بيبرس، و تمّ أمره فى السلطنة و أطاعته العساكر؛ ثم ركب و ساق فى جماعة من أصحابه حتّى وصل إلى قلعة الجبل فدخلها من غير ممانع، و استقرّ ملكه. و كانت البلد قد زيّنت للملك المظفّر فاستمرّت الزينة، و كان الذى ركب معه من الصالحيّة إلى القلعة و هم خواصّه من خشداشيته، و هم: فارس الدين الأتابك، و بيسرى، و قلاوون الألفىّ، و بيليك الخازندار، و بلبان الرشيدىّ؛ ثم فى يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة و هو صبيحة قتل المظفّر قطز؛ و هو أوّل يوم من سلطنة الظاهر بيبرس جلس بالإيوان من قلعة الجبل.

قلت: و لم يذكر أحد من المؤرّخين لبسه خلعة السلطنة الخليفتى، و لعلّه اكتفى بالمبايعة و الحلف. انتهى.

و لمّا جلس الظاهر بالإيوان رسم أن يكتب إلى الأقطار بسلطنته؛ فأوّل من بدأ به الملك الأشرف صاحب حمص، ثم الملك المنصور صاحب حماة؛ ثم الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۳

مظفّر الدين صاحب صهيون ثم إلى الإسماعيليّة، ثم إلى [الملك السعيد المظفّر علاء الدين علىّ بن لؤلؤ] صاحب الموصل الذى صار نائب السلطنة بحلب، ثم إلى من فى بلاد الشام يعرّفهم بما جرى ثم أفرج عمّن بالحبوس من أصحاب الجرائم؛ و اقرّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزّبير على الوزارة، و تقدّم بالإفراج عن الأجناد المحبوسين و الإنعام عليهم، و زيادة من رأى استحقاقه من الأمراء و خلع عليهم، و سيّر الأمير جمال الدين آقوش المحمّدى بتواقيع للامير سنجر الحلبى نائب دمشق، فتوجّه إليه فوجده قد تسلطن بدمشق و دعا لنفسه، و حلّف الأمراء، و تلقّب بالملك المجاهد؛ فعظم ذلك على الملك الظاهر بيبرس و أخذ فى إصلاح أمره معه و

الإحسان إلى خشداشيته البحريّة الصالحيّة؛ و أمّر أعيانهم. ثم إنّه أخرج الملك المنصور نور الدين عليّا ابن الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ و أمّه و أخاه ناصر الدين قاقان من مصر إلى بلاد الأشكرى، و كانوا معتقلين بقلعة الجبل.

و كان بيبرس لمّا تسلطن لقّب نفسه الملك القاهر، فقال الوزير زين الدين يعقوب بن الزّبير، و كان فاضلا فى الأدب و الترسّل و علم التاريخ، فأشار بتغيير هذا اللّقب، و قال: ما لقّب به أحد فأفلح: لقّب به القاهر بن المعتضد، فلم تطل مدّته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۴

و خلع من الخلافة و سمل، و لقّب به القاهر ابن صاحب الموصل فسمّ، فأبطل بيبرس اللّقب الأوّل، و تلقّب بالملك الظاهر.

و أمّا أمر دمشق ففى العشر الأخير من ذى القعدة أمر الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ الذى تسلطن بدمشق بتجديد عمارة [قلعة] دمشق، و زفّت بالمغانى و الطبول و البوقات، و فرحت أهل دمشق بذلك، و حضر كبراء الدولة و خلع على الصّناع و النقباء، و عمل الناس فى البناء حتّى النساء؛ و كان يوم الشروع فى تجديدها يوما مشهودا، ثم فى اليوم الأوّل من العشر الأوّل من ذى الحجّة دعا الأمير علم الدين سنجر الحلبى الناس بدمشق إلى الحلف له بالسلطنة فأجابوه، و حضر الجند و الأكابر و حلفو له و لقّب بالملك المجاهد، و خطب له على المنابر، و ضربت السّكّة باسمه؛ و كاتب الملك المنصور صاحب حماة ليحلف له فامتنع، و قال: أنا مع من يملك الديار المصريّة كائنا من كان.

و لمّا صحّ عند التّتار قتل الملك المظفّر قطز- رحمه اللّه تعالى- و كان النائب ابن صاحب الموصل أساء السيرة فى الجند و الرعيّة، فاجتمع رأى الأمراء و الجند بحلب على قبضه و إخراجه من حلب، و تحالفوا على ذلك، و عيّنوا للقيام بالأمر الأمير حسام الدين الجوكندارىّ العزيزىّ، فبينا هم على ذلك وردت عليهم بطاقة نائب البيرة يخبر أنّ التّتار قاربوا البيرة لمحاصرتها، و استصرخ بهم لينجدوه بعسكر، و كان التّتار قد هدموا أبراج البيرة و أسوارها، و هى مكشوفة من جميع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۵

جهاتها، فجرّد الملك السعيد ابن صاحب الموصل الذى هو نائب حلب عسكره إليها، و قدّم عليهم الأمير سابق الدين أمير مجلس الناصرىّ، فحضر الأمراء عنده، و قالوا له: هذا العسكر الذى جرّدته لا يمكنه ردّ العدوّ، و نخاف أن يحصل النّشوب بيننا و بين العدوّ، و عسكرنا قليل فيصل العدوّ إلى حلب، و يكون ذلك سببا لخروجنا منها فلم يقبل منهم، فخرجوا من عنده و هم غضبانون، و سار العسكر المذكور إلى البيرة فى قلّة. فلّما وصلوا إلى عمق البيرة صادفوا التتار بجموعهم، فاقتتلوا قتالا شديدا و قصد سابق الدين البيرة، فتبعه التّتار و قتلوا من أصحابه جماعة كثيرة، و ما سلم منهم إلّا القليل؛ و ورد هذا الخبر لحلب فجفل أهل حلب إلى جهة القبلة و لم يبق بها إلّا القليل، و ندم الملك السعيد نائب حلب على مخالفة الأمراء، و قوى بذلك غضبهم عليه و قاطعوه، و وقعت بطاقة نائب البيرة، فيها: أنّ التّتار توجّهوا إلى ناحية منبج، فخرج نائب حلب و ضرب دهليزه بباب إله شرقىّ حلب، و بعد يومين وصل الأمير عزّ الدين أزدمر الدّاودار العزيزىّ، و كان قطز قد جعله نائبا باللّاذقيّة و جبلة، فقصده خشداشيته بحلب؛ فلمّا قرب ركبت العزيزيّة و الناصرية و التقوا به، فأخبرهم بأنّ الملك المظفّر قطز قتل، و أنّ ركن الدين بيبرس ملك الديار المصريّة، و أنّ سنجر الحلبىّ خطب لنفسه بدمشق، و نحن أيضا نعمل بعمل أولئك، و نقيم واحدا من الجماعة و نقبض على هذا (يعنى على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۶

نائب حلب) و نقتصر على حلب و بلادها مملكة أستاذنا و ابن أستاذنا فأجابوه إلى ذلك و تقرّر بينهم: أنّه حال دخولهم إلى المخيّم يمضى إليه الأمراء: حسام الدين الجوكندارى، و بكتمر الساقى و أزدمر الدّوادار؛ و كان الملك السعيد نائب حلب نازلا بباب لا فى بيت القاضى، و هو فوق سطحه و العساكر حوله، فعند ما طلعوا إليه و حضروا عنده على السطح شرعت أعوانهم فى نهب و طاقه فسمع الضّجة فاعتقد أنّ التّتار قد كبست العسكر، ثم شاهد نهب العزيزيّة و الناصريّة لوطاقه، و وثب الأمراء الذين عنده ليقبضوا عليه، فطلب منهم الأمان على نفسه فأمّنوه و شرطوا عليه أن يسلّم إليهم جميع ما حصّله من الأموال، ثم نزلوا به إلى الدار و قصدوا الخزانة، فما

وجدوا فيها طائلا فهدّدوه، و قالوا له: أين الأموال التى حصّلتها؟ و طلبوا قتله، فقام إلى ساحة بستان فى الدار المذكورة و حفر و أخرج الأموال، و هى تزيد على أربعين ألف دينار، ففرّقت على الأمراء على قدر منازلهم، ثمّ رسموا عليه جماعة من الجند و سيّروه إلى قلعة حبسوه بها. ثمّ بعد أيّام قلائل دهم العدوّ حلب، فاندفع الأمير حسام الدين الجوكندارى المقدّم على عسكر حلب بمن معه إلى جهة دمشق، و دخلت التّتار حلب و أخرجوا من كان فيها إلى ظاهر حلب، و وضعوا السيف فيهم، فقتل بعضهم و فرّ بعضهم، و نزل العسكر الحلبىّ بظاهر حماة، فقام الملك المنصور بضيافتهم، ثمّ تقدّم التّتار إلى حماة، فلمّا قاربوا منها رحل صاحبها الملك المنصور و معه الجوكندارى بعساكر حلب إلى حمص، و نزل التّتار على حماة فامتنعت عليهم، فاندفعوا من حماة طالبين العسكر، و جفل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۷

الناس بين أيدهم، و خاف أهل دمشق خوفا شديدا، و أقاموا الجميع على حمص حتّى قدم إليهم التّتار فى أوائل المحرّم من سنة تسع و خمسين و ستمائة، و كانوا فى ستّة آلاف فارس، فخرج إليهم الملك المنصور صاحب حماة و الأشرف صاحب حمص و الجوكندارىّ العزيزىّ بعساكر حلب، و حملوا عليهم حملة رجل واحد فهزموهم و قتلوا منهم مقتلة عظيمة، و هرب الأمير بيدرا مقدّم التّتار فى نفر يسير، و كانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد- رضى اللّه عنه- ثم عاد التتار إلى حلب و فعلوا بأهلها تلك الأفعال القبيحة على عادتهم.

و أمّا الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة فإنّه كاتب أمراء دمشق يستميلهم إليه و يحضّهم على منابذة الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ و القبض عليه، فأجابوه إلى ذلك و خرجوا من دمشق منابذين لسنجر، و فيهم: الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ (أعنى أستاذ الملك الظاهر بيبرس المذكور) الذى قدّمنا من ذكره أنّ الملك الصالح نجم الدين أيّوب اشتراه منه. انتهى. و الأمير بهاء الدين بغدى فتبعهم الحلبىّ بمن بقى معه من أصحابه، فحاربوه فهزموه و ألجئوه إلى قلعة دمشق فأغلقها دونهم؛ و ذلك فى يوم السبت حادى عشر صفر من السنة. ثم خرج الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ تلك الليلة من القلعة و قصد بعلبك، فدخل قلعتها و معه قريب عشرين نفرا من مماليكه؛ فدخل الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ دمشق، و استولى عليها و حكم فيها نيابة عن الملك الظاهر بيبرس؛ ثم جهّز عسكرا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۸

إلى بعلبكّ لحصار الحلبىّ و عليهم الأمير بدر الدين محمد بن رحال و كان من الشّجعان، و أمير آخر، فحال وصولهما إلى بعلبكّ دخلا المدينة و نزلا بالمدرسة النّوريّة، و كان الحلبىّ لمّا وصلها جعل عنده طائفة كبيرة من أهل محلّه مقدّمهم على بن عبور، فسيّر إليهم الأمير بدر الدين بن رحال و أفسدهم، فتدلّوا من القلعة ليلا و نزلوا إليه، فعند ذلك تردّدت المراسلات بين الحلبىّ و علاء الدين البندقدارىّ حتّى استقرّ الحال على نزول الحلبىّ و توجّهه إلى الملك الظاهر بيبرس بمصر، فخرج الحلبىّ من قلعة بعلبكّ راكبا [حصانه و] فى وسطه عدّته و فى قرابه قوسان و هو كالأسد، فجاء حتّى بعد عن القلعة، قدّم له بغلة فتحوّل إليها و قلع العدّة و ركبها، و سار حتّى وصل إلى دمشق و سار منها إلى مصر، فأدخل على الملك ليلا بقلعة الجبل، فقام إليه و اعتنقه و أدنى مجلسه منه و عاتبه عتابا لطيفا؛ ثم خلع عليه و رسم له بخيل و بغال و جمال و قماش و غير ذلك.

ثم التفت الملك الظاهر إلى إصلاح مملكته فخلع على الصاحب بهاء الدين على بن حنّا وزير شجرة الدّرّ بالوزارة، و ذلك فى شهر ربيع الاوّل من سنة تسع و خمسين، و هى أوّل ولايته للوزر. ثمّ حضر عند الظاهر شخص و أنهى إليه أنّ الأمير عزّ الدين الصّقلىّ يريد الوثوب على السلطان، و اتّفق معه الأمير علم الدين سنجر الغتمىّ و بهادر [المعزّىّ] و الشجاع بكتوت فقبض الملك الظاهر عليهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۹

ثم تسلّم الملك الظاهر الكرك من نوّاب الملك المغيث فى هذه السنة. ثم قبض على الأمير بهاء الدين بغدى الأشرفىّ بدمشق و حمل إلى القاهرة و حبس بقلعة الجبل إلى أن مات.

ثم جهّز الملك الظاهر عسكرا لخروج التّتار من حلب فساروا إليها و أخرجوهم منها على أقبح وجه، كلّ ذلك و الدنيا بلا خليفة من سنة ستّ و خمسين و ستمائة.

ففى هذه السنة كان وصول المستنصر بالله الخليفة إلى مصر و بايعه الملك الظاهر بيبرس، و هو أبو القاسم أحمد، كان محبوسا ببغداد مع جماعة من بنى العبّاس فى حبس الخليفة المستعصم، فلمّا ملكت التّتار بغداد أطلقوهم، فخرج المستنصر هذا إلى عرب العراق، و اختلط بهم إلى أن سمع بسلطنة الملك الظاهر بيبرس، وفد عليه مع جماعة من بنى مهارش، و هم عشرة أمراء مقدّمهم ابن قسا و شرف الدين ابن مهنّا، و كان وصول المستنصر إلى القاهرة فى ثامن شهر رجب من سنة تسع و خمسين و ستمائة؛ فركب السلطان للقائه و معه الوزير بهاء الدين بن حنّا و قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ و الشهود و الرؤساء و القرّاء و المؤذّنون و اليهود بالتوراة و النصارى بالإنجيل فى يوم الخميس؛ فدخل من باب النّصر و شقّ القاهرة، و كان لدخوله يوم مشهود.

فلمّا كان يوم الاثنين ثالث عشر الشهر جلس السلطان الملك الظاهر و الخليفة بالإيوان و أعيان الدولة بأجمعهم و قرئ نسب الخليفة، و شهد عند القاضى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۰

بصحته فأسجل عليه بذلك و حكم به و بويع بالخلافة، و ركب من يومه و شقّ القاهرة فى وجوه الدولة و أعيانها، و كان أوّل من بايعه قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعزّ عند ما ثبت نسبه عنده، ثم السلطان، ثم الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء و الوزراء على مراتبهم. و المستنصر هذا هو الثامن و الثلاثون من خلفاء بنى العباس- رضى اللّه عنهم- و هو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد الأسمر ابن الظاهر بأمر اللّه محمد ابن الناصر لدين اللّه أحمد ابن المستضىء الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله يوسف ابن الخليفة المقتفى لأمر اللّه محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدى بأمر اللّه عبد اللّه ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدى محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عبّاس الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ. و قد تقدم أنّ الناس كانوا بغير خليفة منذ قتل التّتار ابن أخيه الخليفة المستعصم بالله فى أوائل سنة ست و خمسين و ستّمائة إلى يومنا هذا، فكانت مدة شغور الخلافة ثلاث سنين و نصفا و الناس بلا خليفة. و كان المستنصر هذا جسيما و سيما شديد السّمرة عالى الهمّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۱

شديد القوّة و عنده شجاعة و إقدام، و هو أخو الخليفة المستنصر و لقّب بلقبه، و هذا لم تجربه العادة من أنّ خليفة يلقّب بلقب خليفة تقدّمه من أهل بيته.

و فى يوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج الخليفة المستنصر بالله و عليه ثياب سود إلى الجامع بالقلعة و خطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بنى العبّاس، ثم صلّى على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم. ثم فى مستهلّ شعبان من سنة تسع و خمسين المذكورة تقدّم الخليفة بتفصيل خلعة سوداء و بعمل طوق ذهب و قيد ذهب و بكتابة تقليد بالسلطنة للملك الظاهر بيبرس و نصب خيمة ظاهر القاهرة. فلمّا كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة و السلطان و الوزير و القضاة و الأمراء و وجوه الدولة إلى الخيمة ظاهر القاهرة بقبّة النصر، فألبس الخليفة السلطان الملك الظاهر بيبرس خلعة السلطنة بيده و طوّقه و قيّده، و صعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان رئيس الكتّاب منبرا نصب له فقرأ التقليد و هو من إنشائه و بخطّه. ثم ركب السلطان بالخلعة و الطّوق و القيد و دخل من باب النّصر و قد زيّنت القاهرة له، و حمل الصاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راكبا و الأمراء يمشون بين يديه؛ فكان يوما يقصر اللسان عن وصفه. و نسخة التقليد:

«الحمد للّه الذى أضفى على الإسلام ملابس الشّرف، و أظهر بهجة درره، و كانت خافية، بما استحكم عليها من الصّدف، و شيّد ما و هى من علائه حتّى أنسى ذكر من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۱۱۱

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۲

سلف، و قيّض لنصره ملوكا اتّفق عليهم من اختلف، أحمده على نعمته التى رتعت الأعين منها فى الرّوض الأنف، و ألطافه التى وقف الشكر عليها فليس له عنها منصرف؛ و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أمنا، و تسهّل من الأمور ما كان حزنا، و أشهد أنّ محمّدا عبده الذى جبر من الدّين وهنا، و رسوله الذى أظهر من المكارم فنونا لا فنّا، صلّى اللّه عليه و سلّم و على آله الذين أصبحت مناقبهم باقية لا تفنى، و أصحابه الذين أحسنوا فى الدّين فاستحقّوا الزيادة بالحسنى. و بعد: فإنّ أولى الأولياء بتقديم ذكره، و أحقّهم أن يصبح القلم راكعا و ساجدا فى تسطير مناقبه و برّه، من سعى فأضحى سعيد الجدّ متقدّما، و دعا إلى طاعته فأجاب من كان منجدا و متهما، و ما بدت يد فى المكرمات إلّا كان لها زندا و معصما، و لا استباح بسيفه حمى و غى إلا أضرم منه نارا و أجراه دما. و لمّا كانت هذه المناقب الشريفة مختصّة بالمقام العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الظاهرىّ الرّكنىّ- شرّفه اللّه و أعلاه- ذكرها الديوان العزيز النّبوىّ الإمامىّ المستنصرىّ- أعزّ اللّه سلطانه- تنويها بشريف قدره، و اعترافا بصنعه الذى تنفد العبارة المسهبة و لا تقوم بشكره؛ و كيف لا و قد أقام الدولة العبّاسيّة بعد أن أقعدتها زمانة الزمان، و أذهبت ما كان لها من محاسن و إحسان؛ و عتب دهرها المسىء لها فأعتب، و أرضى عنها زمنها و قد كان صال عليها صولة مغضب؛ فأعاده لها سلما بعد أن كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۳

[عليها] حربا، و صرف إليها اهتمامه فرجع كلّ متضايق من أمورها واسعا رحبا؛ و منح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوّا و عطفا، و أظهر من الولاء رغبة فى [ثواب] اللّه ما لا يخفى؛ و أبدى من الاهتمام بأمر البيعة أمرا لو رامه غيره لامتنع عليه، و لو تمسّك بحبله متمسّك لانقطع به قبل الوصول إليه؛ و لكن اللّه ادّخر هذه الحسنة ليثقل بها [فى] الميزان ثوابه، و يخفّف بها يوم القيامة حسابه، و السعيد من خفّف حسابه! فهذه منقبة أبى اللّه إلّا أن يخلّدها فى صحيفة صنعه، و مكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه، بعد أن حصل الإياس من جمعه. و أمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع، و يعترف أنّه لو لا اهتمامك لاتّسع الخرق على الراقع؛ و قد قلّدك الديار المصريّة و البلاد الشاميّة، و الديار بكريّة، و الحجازيّة و اليمنيّة و الفراتيّة؛ و ما يتجدّد من الفتوحات غورا و نجدا؛ و فوّض أمر جندها و رعاياها إليك حين أصبحت بالمكارم فردا». ثم أخذ فى آخر التقليد يذكر فضل الجهاد و الرفق بالرعيّة و طوّل فى الكلام إلى الغاية. و هذا الذى ذكرناه من نسخة التقليد هو المراد.

ثم إنّ الملك الظاهر ولّى الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ نيابة حلب لمّا بلغه أن البرلى تغلّب على حلب، و سيّر معه عسكرا فسار إليها الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ، و دخل إليها و ملكها و خرج منها البرلى و توجّه إلى الرّقّة؛ ثم حشد و جمع العساكر و أخذ البيرة، ثمّ عاد إلى حلب و أخرج منها الحلبىّ بعد أمور و وقائع جرت بينهم.

فلمّا بلغ الملك الظاهر ذلك عزم على التوجّه إلى البلاد الشاميّة، و برز من القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۴

و معه الخليفة المستنصر و أولاد صاحب الموصل، و كان خروجهم الجميع من القاهرة فى تاسع عشر شهر رمضان بعد أن رتّب السلطان الأمير عزّ الدين أيدمر الحلبى نائب السلطنة بقلعة الجبل؛ و الصاحب بهاء الدين بن حنّا مدبر الأمور، و خرج مع السلطان العساكر المصريّة و أقام ببركة الجبّ إلى عيد الفطر؛ ثم سافر فى ثالث شوّال بعد ما عزل قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعزّ عن القضاء ببرهان الدين خضر السّنجارىّ، و سار السلطان حتّى دخل دمشق فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة، و قدم عليه الملك الأشرف صاحب حمص فخلع عليه و أعطاه ثمانين ألف دينار و حملين ثيابا، و زاده على ما بيده من البلاد تلّ باشر؛ ثم قدم عليه الملك المنصور صاحب حماة فخلع عليه و أعطاه ثمانين ألف درهم و حملين ثيابا، و كتب له توقيعا ببلاده التى بيده؛ ثم جهّز السلطان الخليفة و أولاد صاحب الموصل صحبته بتجمّل زائد و برك يضاهى برك السلطان من الأطلاب و الخيول و الجمال و أرباب

الوظائف من الكبير إلى الصغير؛ قيل: إنّ الذى غرمه السلطان الملك الظاهر على تجهيز الخليفة و أولاد صاحب الموصل فوق الألف ألف دينار عينا.

ثم جهّز السلطان الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ لنيابة السلطنة بحلب، و أيدكين هذا هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة المقدّم ذكره، فسبحان من يعزّ و يذلّ! و بعث السلطان مع البندقدارىّ عسكر المحاربة البرنلى و صحبته أيضا الأمير بلبان الرّشيدىّ فخرجا من دمشق فى منتصف ذى القعدة؛ فلمّا وصلا حماة خرج البرنلى و قصد حرّان فتبعه الرشيدىّ بالعساكر، و دخل علاء الدّين البندقدارىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۵

إلى حلب؛ ثم عاد الرّشيدىّ إلى أنطاكية ثم رحل عنها بعد ما حاصرها مدّة لمّا بلغه عود الملك الظاهر إلى مصر.

و أمّا الخليفة فإنّه لمّا توجّه نحو العراق و معه أولاد صاحب الموصل، و هم:

الملك الصالح و ولده علاء الدين و الملك المجاهد سيف الدين صاحب الجزيرة، و الملك المظفّر علاء الدّين صاحب سنجار، و الملك الكامل ناصر الدين محمد؛ فلمّا وصلوا صحبة الخليفة إلى الرّحبة وافوا عليها الأمير يزيد بن علىّ بن حديثة أمير آل فضل و أخاه الأخرس فى أربعمائة فارس من العرب. و فارق الخليفة أولاد صاحب الموصل من الرّحبة؛ و كان الخليفة طلب منهم المسير معه فأبوا، و قالوا: ما معنا مرسوم بذلك، و أرسلوا معه من مماليك والدهم نحو ستّين نفرا فانضافوا إليه، و لحقهم الأمير عز الدين أيدكين من حماة و معه ثلاثون فارسا. و رحل الخليفة بمن معه من الرّحبة بعد ما أقام بها ثلاثة أيّام، و نزل مشهد علىّ- رضى اللّه عنه- ثم رحل إلى قائم عنقه، ثم إلى عانة فوافوا الإمام الحاكم بأمر اللّه العبّاسىّ على عانة من ناحية الشرق و معه نحو سبعمائة فارس من التّركمان. و كان البرنلى قد جهّزه من حلب، فبعث الخليفة المستنصر بالله إليهم و استمالهم؛ فلمّا جاوزوا الفرات فارقوا الحاكم فبعث إليه المستنصر بالله يطلبه إليه و يؤمّنه على نفسه و يرغّب إليه فى اجتماع الكلمة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۶

فأجاب و رحل إليه، فوفّى إليه المستنصر و أنزله معه فى الدّهليز. و كان الحاكم لمّا نزل على عانة امتنع أهلها منه، و قالوا: قد بايع الملك الظاهر خليفة و هو واصل فما نسلّمها إلّا إليه؛ فلمّا وصل المستنصر بالله إليها نزل إليه نائبها و كريم الدين ناظرها و سلّماها إليه و حملا له إقامة، فأقطعها الخليفة للأمير ناصر الدين أغلمش أخى الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ. ثم رحل الخليفة عنها إلى الحديثة ففتحها أهلها له، فجعلها خاصّا له، ثم رحل عنها و نزل على شطّ قرية الناووسة؛ ثم رحل عنها قاصدا هيت، و لمّا اتّصل مجىء الخليفة المستنصر بالله بقرابغا مقدّم عسكر التّتار بالعراق، و بهادر علىّ الخوارزمىّ شحنة بغداد و خرج قرابغا بخمسة آلاف فارس من التّتار على الشطّ العراقى و قصد الأنبار، فدخلها إغارة؛ و قتل جميع من فيها، ثم ردفه الأمير بهادر علىّ الخوارزمىّ بمن بقى ببغداد من عساكر التّتار، و كان قد بعث ولده إلى هيت متشوّقا لما يرد من أخبار المستنصر، و قرّر معه أنّه إذا اتّصل به خبره بعث بالمراكب إلى الشطّ الآخر و أحرقها؛ فلمّا وصل الخليفة هيت أغلق أهلها الباب دونه، فنزل عليها و حاصرها حتّى فتحها، و دخلها فى التاسع و العشرين من ذى الحجّة، و نهب من فيها من اليهود و النّصارى؛ ثم رحل عنها و نزل الدور و بعث طليعة من عسكره مقدّمها الأمير أسد الدين محمود ابن الملك المفضّل موسى، فبات تجاه الأنبار تلك اللّيلة، و هى ليلة الأحد ثالث المحرّم من سنة ستين و ستمائة؛ فلمّا رأى قرابغا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۷

الطليعة أمر من معه من العساكر بالعبور إليها فى المخائض و المراكب ليلا، فلمّا أسفر الصبح أفرد قرابغا من معه من عسكر بغداد ناحية.

و أمّا الخليفة فإنّه رتّب اثنى عشر طلبا، و جعل التّركمان و العربان ميمنة و ميسرة و باقى العساكر قلبا؛ ثم حمل بنفسه مبادرا و حمل من

كان معه فى القلب فآنكسر بهادر، و وقع معظم عسكره فى الفرات؛ ثم خرج كمين من التّتار، فلمّا رآه التّركمان و العرب هربوا، و أحاط الكمين بعسكر الخليفة فصدق المسلمون الحملة، فأفرج لهم التّتار، فنجا الحاكم و شرف الدين بن مهنّا و ناصر الدين بن صيرم و بوزنا و سيف الدين بلبان الشّمسى و أسد الدين محمود و جماعة من الجند نحو الخمسين نفرا، و قتل الشريف نجم الدين [جعفر] أستادار الخليفة، و فتح الدين بن الشهاب أحمد، و فارس الدين [أحمد] بن أزدمر اليغمورىّ، و لم يوقع للخليفة المستنصر على خبر، فقيل إنّه: قتل فى الوقعة و عفّى أثره؛ و قيل: إنّه نجا مجروحا فى طائفة من العرب فمات عندهم؛ و قيل: سلم و أضمرته البلاد.

و أمّا السلطان الملك الظاهر بيبرس فإنّه لمّا عاد إلى مصر عاد بعده بلبان الرشيدىّ فى أثره و عاد البرنلى إلى حلب و دخلها و ملكها، فجرّد إليه الملك الظاهر عسكرا ثانيا، عليهم الأمير شمس الدين سنقر الرومىّ، و أمره بالمسير إلى حلب؛ ثمّ إلى الموصل و كتب إلى الأمير علاء الدين طيبرس نائب السلطنة بدمشق و إلى الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما حيث توجّه يتوجّه الجميع، فسار الجميع إلى جهة حلب، فخرج البرنلى من حلب و تسلّم نوّاب أيدكين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۸

البندقدارىّ حلب. ثم جاء مرسوم السلطان بتوجّه البندقدارىّ إلى حلب، و يعود طيبرس إلى دمشق و يعود سنقر الرومىّ إلى مصر، فعاد الرومىّ إلى القاهرة. فلمّا اجتمع بالسلطان أوغر خاطره على طيبرس، فكان ذلك سببا للقبض على طيبرس المذكور و حبسه بالقاهرة مدّة سنين.

ثم وصل إلى الديار المصريّة فى السابع و العشرين من شهر ربيع الآخر الإمام الحاكم بأمر اللّه أبو العبّاس أحمد ابن الأمير أبى علىّ الحسن ابن الأمير أبى بكر بن الحسن بن علىّ القبّى ابن الخليفة المسترشد بالله أبى منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد العبّاسىّ.

قلت: و من المستظهر يعرف نسبه من ترجمة المستنصر و غيره من أقاربه إلى العبّاس. و وصل صحبته شمس الدين صالح بن محمد بن أبى الرشيد الأسدىّ الحاكمىّ المعروف بابن البنّاء و أخوه محمد و نجم الدين محمد، و احتفل الملك الظاهر بيبرس بلقائه و أنزله بالبرج الكبير داخل قلعة الجبل، و رتّب له ما يحتاج إليه، و وصل معه ولده. و بايعه بالخلافة فى يوم الخميس تاسع المحرّم من سنة إحدى و ستين بقلعة الجبل. و كانت المسلمون بلا خليفة منذ استشهد الخليفة المستنصر بالله فى أوائل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۹

السنة الحالية، و جلس السلطان بالإيوان لبيعته و حضر القضاة و الأعيان و ارباب الدولة، و قرئ نسبه على قاضى القضاة و شهد عنده جماعة بذلك، فأثبته و مدّ يده و بايعه بالخلافة، ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم الأعيان على طبقاتهم، و خطب له على المنابر، و كتب السلطان إلى الأقطار بذلك و أن يخطبوا باسمه، و أنزل إلى مناظر الكبش فسكن بها إلى أن مات فى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى و سبعمائة و دفن بجوار السيّدة نفيسة، و هو أوّل خليفة مات بالقاهرة من بنى العبّاس حسب ما يأتى ذكره- إن شاء اللّه تعالى- فى محلّه بأوسع من هذا.

و أمّا الملك الظاهر فإنّه تجهّز للسفر إلى البلاد الشاميّة، و خرج من الديار المصريّة فى يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر من سنة إحدى و ستين و ستمائة.

و فى هذه السّفرة قبض على الملك المغيث صاحب الكرك الذى كان معه تلك الأيّام على قتال المصريين و غيرهم، و لما قبض عليه الظاهر بعث به إلى قلعة الجبل صحبة الأمير آق سنقر الفارقانىّ، فوصل به إلى القاهرة فى يوم الأحد خامس عشر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۰

جمادى الآخرة، فكان ذلك آخر العهد به. ثمّ عاد الملك الظاهر إلى الديار المصريّة فى يوم السبت سادس عشر شهر رجب. و لمّا دخل إلى القاهرة قبض على الأمير بلبان الرشيدى و أيبك الدّمياطى و آقوش البرنلى.

ثم فى هذه السنة شرع الملك الظاهر فى عمارة المدرسة الظاهريّة ببين القصرين، و تمّت فى أوائل سنة اثنتين و ستين و ستمائة. و رتّب فى تدريس الإيوان القبلىّ القاضى تقىّ الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى، و فى تدريس الإيوان الذى يواجهه القاضى مجد الدين عبد الرحمن بن العديم، و الحافظ شرف الدين الدّمياطى لتدريس الحديث فى الإيوان الشرقىّ، و الشيخ كمال الدين المحلّى فى الإيوان [الذى] يقابله

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۱

لإقراء القرآن بالروايات و الطرق؛ ثم رتّب جماعة يقرءون السبع بهذا الإيوان أيضا بعد صلاة الصبح، و وقف بها خزانة كتب، و بنى إلى جانبها مكتبا لتعلم الأيتام و أجرى عليهم الخبز فى كلّ يوم، و كسوة الفصلين و سقاية تعين على الطّهارة؛ و جلس للتدريس بهذه المدرسة يوم الأحد ثالث عشر صفر من سنة اثنين و ستين، و حضر الصاحب بهاء الدين بن حنّا، و الأمير جمال الدين بن يغمور؛ و الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزىّ و غيرهم من الأعيان.

و فى سنة إحدى و ستين أيضا تسلّم الأمير بيليك العلائىّ حمص بعد وفاة صاحبها الملك الأشرف الأيّوبى. ثم أمر الملك الظاهر أيضا بإنشاء خان فى القدس الشريف للسبيل، و فوّض بناءه و نظره إلى الأمير جمال الدين محمد بن نهار؛ و لمّا تمّ الخان المذكور أوقف عليه قيراطا و نصفا بالمطر، و ثلث و ربع قرية المشيرفة من بلد بصرى، و نصف قرية لبنى، يصرف ريع ذلك فى خبز و فلوس و إصلاح نعال من يرد عليه من المسافرين المشاة. و بنى له طاحونا و فرنا، و استمر ذلك كلّه.

ثم ولّى الملك الظاهر فى سنة ثلاث و ستين و ستمائة فى كلّ مذهب قاضيا مستقلّا بذاته، فصارت قضاة القضاة أربعة، و سبب ذلك كثرة توقّف قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعزّ فى تنفيذ الأحكام، و كثرة الشكاوى منه بسبب ذلك. فلمّا كان يوم الاثنين ثانى عشر ذى الحجّة شكا القاضى المذكور الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزىّ فى المجلس، و كان يكره القاضى تاج الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۲

المذكور؛ فقال أيدغدى بحضرة السلطان: يا تاج الدين، نترك مذهب الشافعىّ لك، و نولّى معك من كلّ مذهب قاضيا، فمال الملك الظاهر إلى كلامه، و كان لأيدغدى منه محلّ عظيم؛ فولّى السلطان الشيخ صدر الدين سليمان الحنفى قاضى قضاة الحنفيّة بالديار المصريّة، و كان للقضاة الحنفيّة أزيد من ثلثمائة سنة من أوّل الدولة الفاطميّة قد بطل حكمهم من ديار مصر استقلالا عند ما أبطل الفاطميّون القضاة من سائر المذاهب، و أقاموا قضاة الشّيعة بمصر. انتهى. و ولىّ القاضى شرف الدين عمر السّبكىّ المالكىّ قاضى قضاة المالكيّة. و ولّى الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ العماد الحنبلى قاضى القضاة الحنابلة، و فوّض لكلّ واحد منهم أن يستنيب بالأعمال و غيرها؛ و أبقى على تاج الدين النّظر فى مال الأيتام، و كتب لهم التقاليد و خلع عليهم؛ ثم فعل ذلك ببلاد الشام كلّه.

قلت: و قد جمعت أسماء من ولى القضاء من المذاهب الأربعة من يوم رتّب الملك الظاهر بيبرس القضاة (أعنى من سنة ثلاث و ستين و ستمائة) إلى يومنا هذا على الترتيب على سبيل الاختصار لتكثر الفائدة فى هذا الكتاب، و إن كان يأتى ذكر غالبهم فى الوفيات فى حوادث الملوك على عادة هذا الكتاب، فذكرهم هنا جملة أرشق و أهون على من أراد ذلك، و اللّه المستعان. فنقول:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۳

[ذكر قضاة الشافعيّة]

كان قاضى قضاة الشافعيّة يوم ذاك القاضى تاج الدين عبد الوهاب، و هى ولايته الثانية؛ و توفّى سنة خمس و ستين و ستمائة. ثم القاضى تقىّ الدين محمد بن رزين العامرىّ سنة خمس و ستين و ستمائة، و مولده فى شعبان سنة ثلاث و ستمائة، و توفّى ثالث رجب سنة ثمانين و ستمائة. ثم القاضى صدر الدين عمر بن عبد الوهاب بن بنت الأعزّ سنة ثمان و سبعين و ستمائة. ثم أعيد القاضى تقىّ

الدين محمد بن رزين سنة تسع و سبعين و ستمائة. ثمّ القاضى وجيه الدين عبد الوهّاب البهنسىّ سنة ثمانين و ستمائة. ثم القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن ابن القاضى تاج الدين عبد الوهّاب بن بنت الأعزّ سنة خمس و ثمانين و ستمائة. ثم القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة الحموىّ الكنانىّ سنة تسعين و ستمائة. ثم أعيد القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأعزّ فى صفر سنة ثلاث و تسعين و ستمائة. ثم ولى القاضى تقىّ الدين محمد بن على بن دقيق العيد سنة خمس و تسعين و ستمائة، و مولده فى شعبان سنة خمس و عشرين و ستمائة، و توفّى سنة اثنتين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموىّ فى سنة أربع و سبعمائة. ثمّ ولى القاضى جمال الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۴

سليمان بن عمر الزّرعىّ سنة عشر و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة سنة إحدى عشرة و سبعمائة. ثم ولى القاضى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينىّ سنة سبع و عشرين و سبعمائة، و توفّى سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة. ثم ولى القاضى عزّ الدين عبد العزيز ابن القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموىّ سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة. ثم ولى القاضى بهاء الدين عبد اللّه [بن عبد الرحمن] ابن عقيل سنة تسع و خمسين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى عزّ الدين عبد العزيز بن جماعة سنة تسع و خمسين و سبعمائة. ثم ولى القاضى بهاء الدين محمد أبو البقاء بن عبد البرّ السّبكىّ فى سنة ست و ستين و سبعمائة. ثم ولى القاضى برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم [بن محمد بن إبراهيم بن سعد اللّه] بن جماعة سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة. ثم ولى القاضى بدر الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن عبد البرّ السّبكىّ فى صفر سنة تسع و سبعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى برهان الدين إبراهيم بن جماعة سنة إحدى و ثمانين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء السّبكىّ فى صفر سنة أربع و ثمانين و سبعمائة. ثم ولى القاضى ناصر الدين محمد [بن عبد الدائم ابن محمد بن سلامة] ابن بنت الميلق فى شعبان سنة تسع و ثمانين و سبعمائة، و امتحن و عزل. ثم ولى القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمىّ المناوىّ فى ذى القعدة سنة إحدى و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۵

السّبكىّ سنة إحدى و تسعين و سبعمائة. ثم ولى القاضى عماد الدين أحمد الكركىّ فى رجب [سنة اثنتين و تسعين، ثم عزل فى ذى الحجّة] سنة أربع و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوىّ فى شعبان سنة خمس و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء السّبكىّ فى شهر ربيع الآخر سنة ست و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى صدر الدين محمد ابن إبراهيم المناوىّ فى شعبان سنة سبع و تسعين و سبعمائة. ثم ولى القاضى تقىّ الدين الزّبيرىّ فى جمادى الأولى سنة تسع و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى صدر الدين المناوىّ فى شهر رجب سنة إحدى و ثمانمائة. ثم ولى القاضى ناصر الدين الصّالحىّ فى سلخ شعبان سنة ثلاث و ثمانمائة. ثم ولى القاضى جلال الدين عبد الرحمن بن عمر ابن رسلان بن نصير البلقينىّ فى جمادى الأولى سنة أربع و ثمانمائة فى حياة والده.

ثم أعيد القاضى ناصر الدين الصالحى فى شوّال سنة خمس و ثمانمائة، و مات فى المحرّم سنة ست و ثمانمائة. ثم ولى القاضى شمس الدين محمد الإخنائىّ فى شهر اللّه المحرّم سنة ستّ و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى جلال الدين عبد الرحمن البلقينىّ فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ و ثمانمائة، و مولده سنة إحدى و ستين و سبعمائة؛ و هكذا حكى لى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۶

من لفظه،- رحمه اللّه- و توفّى بالقاهرة فى شوّال سنة أربع و عشرين و ثمانمائة.

ثم أعيد القاضى شمس الدين محمّد الإخنائىّ فى شهر شعبان سنة ستّ و ثمانمائة.

ثم أعيد القاضى جلال الدين عبد الرحمن البلقينىّ فى ذى الحجّة من سنة ست و ثمانمائة.

ثم أعيد القاضى شمس الدين الإخنائى فى ثانى عشرين جمادى الأولى سنة سبع و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى جلال الدين البلقينىّ فى ثالث عشر ذى القعدة سنة سبع و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى شمس الدين محمد الإخنائى فى حادى عشر صفر سنة ثمان و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى جلال الدين البلقينىّ فى خامس شهر ربيع الأوّل سنة ثمان و ثمانمائة، و هى ولايته الخامسة، و لم يزل فى هذه المرة قاضيا إلى أن توجّه صحبة الملك الناصر فرج إلى الشام سنة أربع عشرة و ثمانمائة. ثم عزل بالقاضى شهاب الدين أحمد الباعونىّ بدمشق فى المحرّم سنة خمس عشرة و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى جلال الدين البلقينىّ المذكور فى أوّل صفر من سنة خمس عشرة و ثمانمائة، فاستمرّ فى القضاء إلى آخر جمادى الأولى سنة إحدى و عشرين و ثمانمائة. ثم عزل بالقاضى شمس الدين محمد الهروىّ فى سلخ جمادى الأولى سنة إحدى و عشرين و ثمانمائة.

ثم أعيد القاضى جلال الدين البلقينىّ فى شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين و عشرين و ثمانمائة، و استمرّ إلى أن مات فى شوّال كما تقدّم ذكره.

قلت: و قاضى القضاة جلال الدين المذكور هو صهرى و زوج كريمتى، و مات عنها. رحمهما اللّه تعالى و عفا عنهما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۷

ثم ولى القاضى ولىّ الدين أحمد ابن الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقىّ فى شوّال سنة أربع و عشرين و ثمانمائة. ثم ولى القاضى علم الدين صالح بن عمر البلقينىّ فى يوم السبت سادس ذى الحجّة سنة خمس و عشرين و ثمانمائة. ثم ولى القاضى شهاب الدين أحمد بن علىّ بن حجر فى سابع عشرين المحرّم سنة سبع و عشرين و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى شمس الدين الهروىّ فى سابع ذى القعدة سنة سبع و عشرين و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حجر فى ثانى رجب سنة ثمان و عشرين و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى علم الدين صالح البلقينىّ فى خامس عشرين صفر سنة ثلاث و ثلاثين و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حجر فى رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع و ثلاثين و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى علم الدين صالح البلقينىّ فى خامس شوّال سنة أربعين و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حجر فى يوم الثلاثاء سادس شوّال سنة إحدى و أربعين و ثمانمائة.

ثم ولى القاضى شمس الدين محمد القاياتىّ فى يوم الخميس رابع عشر المحرّم سنة تسع و أربعين و ثمانمائة، و مات فى ثامن عشرين المحرّم سنة خمسين و ثمانمائة- رحمه اللّه تعالى- ثم أعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حجر فى خامس صفر سنة خمسين و ثمانمائة.

ثم أعيد القاضى علم الدين صالح البلقينىّ فى يوم السبت مستهلّ سنة إحدى و خمسين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۸

و ثمانمائة. ثم ولى القاضى ولىّ الدين محمد السّفطىّ فى يوم الخميس خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى و خمسين و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حجر فى ثامن شهر ربيع الآخر سنة اثنتين و خمسين و ثمانمائة، ثم عزل نفسه و مات معزولا- رحمه اللّه تعالى-. ثم أعيد القاضى علم الدين صالح البلقينىّ فى سادس عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين و خمسين و ثمانمائة. ثم ولى القاضى شرف الدين يحيى المناوىّ فى يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة ثلاث و خمسين و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى علم الدين صالح البلقينىّ فى يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع و خمسين و ثمانمائة.

ذكر القضاة الحنفيّة

فالذى ولى أوّلا قاضى القضاة صدر الدين سليمان. ثمّ من بعده قاضى القضاة معزّ الدين النّعمان بن الحسن [بن يوسف] إلى أن توفّى فى سابع عشر شعبان سنة اثنتين و تسعين و ستمائة. ثم ولى قاضى القضاة شمس الدين أحمد السّروجىّ فاستمرّ إلى أن تسلطن الملك المنصور لاچين عزله. ثم ولى قاضى القضاة حسام الدين الرازىّ فاستمرّ إلى أن قتل لاچين، نقل إلى قضاء دمشق سنة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۹

ثمان و تسعین. ثم أعید شمس الدین السّروجیّ، ثمّ عزل أوّل شهر ربیع الآخر سنة عشر و سبعمائة. ثم ولی بعده قاضی القضاة شمس الدین محمد الحریریّ إلی أن مات یوم السبت رابع جمادی الآخرة- رحمه اللّه- سنة ثمان و عشرین و سبعمائة. ثم ولی بعده قاضی القضاة برهان الدین إبراهیم بن عبد الحقّ إلی أن عزل یوم الأحد ثامن عشر جمادی الآخرة سنة ثمان و ثلاثین و سبعمائة. ثم ولی بعده قاضی القضاة حسام الدین الغوریّ إلی أن کانت واقعة الأمیر قوصون نهبوا الرسل و العامّة بیته و طلبوه لیقتلوه فهرب. ثم ولی بعده قاضی القضاة زین الدین عمر البسطامیّ فی سنة اثنتین و أربعین و سبعمائة إلی أن عزل فی سنة ثمان و أربعین و سبعمائة. ثم تولّاها من بعده قاضی القضاة علاء الدین التّرکمانیّ فی جمادی منها إلی أن توفّی عاشر المحرّم سنة خمسین. فولی بعده ولده قاضی القضاة جمال الدین عبد اللّه ابن التّرکمانیّ إلی أن مات فی شعبان سنة تسع و ستین و سبعمائة. فولی بعده قاضی القضاة سراج الدین عمر الهندیّ إلی أن مات فی شهر رجب سنة ثلاث و سبعین و سبعمائة، ثم ولی بعده قاضی القضاة صدر الدین بن جمال الدین التّرکمانیّ إلی أن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۰

مات فی ذی القعدة سنة ست و سبعین. فولیها بعده قاضی القضاة نجم الدین بن الکشک، طلب من دمشق فی المحرّم سنة سبع و سبعین و سبعمائة، ثم عزل عنها.

و تولی من بعده قاضی القضاة صدر الدین علیّ بن أبی العز الأذرعیّ، ثم اعتفی عنها.

فتولّاها قاضی القضاة شرف الدین أبو العبّاس أحمد [بن علیّ] بن منصور فی سنة سبع و سبعین، فاستمرّ إلی سادس عشرین شهر رجب عزل. ثم تولّاها بعده قاضی القضاة جلال الدین جار اللّه، فاستمر قاضیا إلی أن مات فی یوم الاثنین رابع عشر شهر رجب سنة اثنتین و ثمانین و سبعمائة. فتولی بعده قاضی القضاة صدر الدین محمد بن علیّ بن منصور فی شهر رمضان سنة اثنتین و ثمانین و سبعمائة، فاستمرّ إلی أن مات فی شهر ربیع الأوّل سنة ستّ و ثمانین و سبعمائة. فتولّاها بعده قاضی القضاة شمس الدین محمد بن أحمد بن أبی بکر الطّرابلسیّ، فاستمرّ إلی بعد فتنة الأتابک یلبغا الناصریّ و منطاش مع الظاهر برقوق سنة اثنتین و تسعین و سبعمائة عزل عنها. ثم تولّاها قاضی القضاة مجد الدین إسماعیل بن إبراهیم [بن محمد بن علیّ بن موسی] الکنانیّ، أقام فیها قلیلا ثمّ عزل. ثم تولّاها من بعده قاضی القضاة جمال الدین محمود [بن محمد بن علیّ بن عبد اللّه] القیصریّ العجمیّ مضافا لنظر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۱

الجیش، فاستمرّ إلی أن مات فی لیلة الأحد سابع شهر ربیع الأوّل سنة تسع و تسعین و سبعمائة. ثم تولّاها من بعده قاضی القضاة شمس الدین الطّرابلسیّ ثانیا فی الشهر و السنة، فاستمرّ إلی أن مات فی آخر السنة المذکورة. و تولّی بعده قاضی القضاة جمال الدین یوسف بن موسی الملطیّ الحلبیّ فی یوم الخمیس العشرین من شهر ربیع الآخر [سنة ثمانمائة]، طلب من حلب و استمرّ إلی أن مات فی لیلة الاثنین تاسع عشر شهر ربیع الآخر سنة ثلاث و ثمانمائة. و تولّاها من بعده قاضی القضاة أمین الدین عبد الوهّاب ابن القاضی شمس الدین الطرابلسیّ فی یوم الخمیس ثانی عشر جمادی الآخرة من السنة، فاستمرّ إلی سادس عشرین شهر رجب سنة خمس و ثمانمائة، عزل. فتولّاها من بعده قاضی القضاة کمال الدین عمر بن العدیم الحلبی، و استمرّ إلی أن مات فی لیلة السبت ثانی عشر جمادی الآخرة سنة إحدی عشرة و ثمانمائة، و مولده بحلب سنة إحدی و سبعین و سبعمائة. فتولّاها من بعده ابنه القاضی ناصر الدین محمد فی یوم الاثنین رابع عشر الشهر المذکور مضافا لمشیخة الشّیخونیّة، و استمرّ إلی أن صرف. و أعید القاضی أمین الدین الطرابلسی ثانیا فی رابع عشرین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۲

شهر رجب من سنة إحدی عشرة و ثمانمائة، فاستمرّ القاضی أمین الدین إلی سابع المحرّم من سنة اثنتی عشرة و ثمانمائة صرف. و

أعيد قاضى القضاة ناصر الدين ابن العديم ثانيا؛ و استقرّ القاضى أمين الدين الطرابلسىّ فى مشيخة الشّيخونيّة عوضا عن ناصر الدين بن العديم المذكور.

قلت: و ناصر الدين المذكور هو صهرى زوج كريمتى. انتهى.

و استمرّ ناصر الدين بن العديم إلى أن عزل، فتولّاها قاضى القضاة صدر الدين علىّ [بن محمد بن محمد المعروف با] بن الأدمىّ الدّمشقىّ فى سنة خمس عشرة و ثمانمائة، و استمرّ إلى أن مات فى يوم السبت ثامن شهر رمضان من سنة ست عشرة و ثمانمائة.

ثم أعيد ناصر الدين بن العديم ثالثا، فاستمرّ إلى أن مات فى ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة و ثمانمائة، و شغرت الوظيفة الى أن طلب الملك المؤيّد شيخ شمس الدين محمد الدّيرىّ من القدس، و قدم القاهرة فى ثالث عشر جمادى الأولى من سنة تسع عشرة المذكورة، و نزل بقاعة الحنفيّة بالمدرسة الصالحيّة إلى أن استقرّ فى القضاء يوم الاثنين سابع عشره، و استمرّ إلى أن عزل برغبة منه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۳

و تولّاها من بعده قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التّفهنىّ فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة سنة اثنتين و عشرين و ثمانمائة، و استمرّ إلى أن عزل. ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسع و عشرين و ثمانمائة، و استقرّ التّفهنىّ المذكور فى مشيخة خانقاه شيخون، بعد موت شيخ الإسلام سراج الدين عمر قارئ «الهداية»، و استمرّ العينىّ إلى أن عزل.

ثم أعيد التّفهنىّ فى يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة ثلاث و ثلاثين و ثمانمائة، فدام إلى أن صرف لطول مرضه. ثم أعيد قاضى القضاة العينى ثانيا فى سابع عشرين جمادى الآخرة سنة خمس و ثلاثين و ثمانمائة، فاستمرّ العينىّ إلى أن صرف فى دولة الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباى بقاضى القضاة سعد الدين سعد ابن القاضى شمس الدين محمد بن الدّيرىّ فى أوّل سنة اثنتين و أربعين و ثمانمائة...

قلت: و هؤلاء القضاة الذين استجدّهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ.

حسب ما ذكرناه فى أوّل الترجمة. و ذلك بعد انقضاء الدولة الأيّوبيّة. و أمّا قبل خراب الديار المصرية فى الدّولة العبيديّة فكانت قضاة الحنفيّة هم حكّام مصر بل حكّام المشرق و المغرب إلى حدود نيّف و أربعمائة، لمّا حمل المعزّ بن باديس الناس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۴

ببلاد المغرب على اتّباع مذهب الإمام مالك- رضى اللّه عنه- ثم ملكت العبيديّة مصر فمحوا آثار السّنّة و ولّوا قضاة الشّيعة و بطل الأربعة مذاهب من مصر إلى أن زالت دولتهم و تولّى السلطان صلاح يوسف بن أيّوب- رحمه اللّه- فولّى قاضيا شافعيّا فقط كونه كان شافعيّا، و أذهب الرافضة، و استمرّ ذلك نحو تسعين سنة حتّى ولى الملك الظاهر بيبرس فجدّد المذاهب الثلاثة كما سقناه. انتهى.

ذكر القضاة المالكيّة

فالذى كان أوّلهم ولاية فى دولة الظاهر بيبرس هو القاضى شرف الدين عمر السّبكىّ المالكىّ تغمّده اللّه برحمته و جميع المسلمين ...

ذكر قضاة الحنابلة

فالذى ولّاه الملك الظاهر بيبرس هو قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد الجمّاعيلىّ الحنبلىّ إلى أن امتحن و صرف فى ثانى

شعبان سنة سبعين و ستمائة، و لم يل بعد عزله بالقاهرة أحد من الحنابلة حتى توفّى شمس الدين المذكور فى يوم الخميس فى العشر الأوّل من المحرّم سنة ست و سبعين. ثم ولى بعده قاضى القضاة عزّ الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۵

عمر بن عبد اللّه [بن عمر] بن عوض فى النصف من جمادى الأولى سنة ثمان و سبعين، فاستمرّ حتى مات سنة ستّ و تسعين و ستمائة. ثم تولّى بعده قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغنى الحرّانىّ إلى أن مات فى رابع عشرين شهر ربيع الأوّل سنة تسع و سبعمائة. ثم تولّى بعده قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثىّ فى ثالث شهر ربيع الآخر من السنة، و عزل بعد سنتين و نصف بقاضى القضاة تقىّ الدين ابن قاضى القضاة عزّ الدين عمر فى حادى عشر شهر ربيع الأوّل سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، بعد ما شغر منصب القضاء ثلاثة أشهر، فلم تطل أيّامه و عزل بقاضى القضاة موفّق الدين عبد اللّه بن محمد بن عبد الملك المقدسىّ فى نصف جمادى الآخرة سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة، فدام فى المنصب إلى أن مات فى المحرّم سنة تسع و ستين و سبعمائة. ثم تولّى عوضه قاضى القضاة ناصر الدين نصر اللّه بن أحمد بن محمد العسقلانىّ حتّى مات فى ليلة الحادى و العشرين من شهر شعبان سنة خمس و تسعين و سبعمائة. ثم تولّى بعده ابنه قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن نصر اللّه حتّى مات فى ثامن شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين و ثمانمائة. ثم تولّى عوضه أخوه قاضى القضاة موفّق الدين أحمد بن نصر اللّه، فدام حتّى صرف بقاضى القضاة نور الدين علىّ [بن خليل بن علىّ بن أحمد بن عبد اللّه] الحكرىّ، فلم تطل مدّة الحكرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۶

و صرف. ثم أعيد موفّق الدين فاستمرّ إلى أن مات فى سنة ثلاث و ثمانمائة. ثم تولّى بعده قاضى القضاة مجد الدين سالم [بن أحمد] فى ثالث عشرين شهر رمضان من سنة ثلاث فاستمرّ فى القضاء إلى أن صرف بقاضى القضاة علاء الدين علىّ [بن محمود ابن أبى بكر] بن مغلى فى حدود سنة ست عشرة و ثمانمائة، فاستمرّ علاء الدين بن مغلى فى القضاء إلى أن توفّى بالقاهرة فى العشرين من صفر سنة ثمان و عشرين و ثمانمائة.

ثم تولّى بعده قاضى القضاة محبّ الدين أحمد بن نصر اللّه [بن أحمد بن محمد بن عمر] البغدادىّ من التاريخ المذكور إلى أن صرفه الملك الأشرف بقاضى القضاة عزّ الدين عبد العزيز [بن علىّ بن العزّ بن عبد العزيز] البغدادىّ فى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع و عشرين، فدام القاضى عزّ الدين إلى أن صرف فى يوم الثلاثاء ثانى عشر صفر سنة ثلاثين و ثمانمائة. ثم أعيد قاضى القضاة محبّ الدين، و استمرّ إلى أن مات فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع و أربعين و ثمانمائة.

ثم تولى بعده قاضى القضاة بدر الدين محمد [بن محمد] بن عبد المنعم البغدادىّ إلى أن مات فى ليلة الخميس سابع جمادى الأولى سنة سبع و خمسين و ثمانمائة.

ثم تولّى بعده قاضى القضاة عز الدين أحمد فى يوم السبت تاسع جمادى الأولى المذكور.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۷

قلت: و قد خرجنا عن المقصود فى ترجمة الملك الظاهر بيبرس بالإطالة فيما ذكرناه، غير أنّ ذلك كلّه هو أيضا ممّا يضاف إلى ترجمته، و لا بأس بالإطالة مع تحصيل الفائدة، و لنعد إلى ذكر السلطان الملك الظاهر بيبرس.

ثم أمر الملك الظاهر بأن يعمل بدمشق أيضا كذلك فى سنة أربع و ستين فوقع ذلك، و ولّى بها قضاة أربعة. و لمّا وقّع ولايته القضاء من كلّ مذهب بدمشق اتّفق أنّه كان لقب ثلاثة قضاة منهم شمس الدين، و هم: قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان الشافعىّ. و قاضى القضاة شمس الدين عبد اللّه بن محمد بن عطا الأذرعىّ الحنفى. و قاضى القضاة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبى عمر الحنبلىّ؛ فقال بعض الشعراء رحمه اللّه فى هذا المعنى:

أهل الشآم استرابوا من كثرة الحكّام

إذ هم جميعا شموس و حالهم فى ظلام

و قال غيره:

بدمشق آية قد ظهرت للناس عاما

كلّما ولّى شمس قاضيا زادت ظلاما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۸

فتوحاته رحمه اللّه

ثم سافر الملك الظاهر من مصر إلى البلاد الشامية فى هذه السنة (أعنى سنة أربع و ستين) فخرج منها فى يوم السبت مستهلّ شعبان، و جعل نائبه بديار مصر ولده الملك السعيد، و جعل الجيش فى خدمته و الوزير بهاء الدين بن حنّا؛ و سار الملك الظاهر حتّى نزل عين جالوت و بعث عسكرا مقدّمه الأمير جمال الدين أيدغدىّ العزيزىّ، ثم عسكرا آخر مقدّمه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى للإغارة على بلاد الساحل، فأغاروا على عكّا و صور و طرابلس و حصن الأكراد و سبوا و غنموا ما لا يحصى؛ ثم نزل الملك الظاهر بنفسه على صفد فى ثامن شهر رمضان، و نصب عليها المجانيق، و دام الاهتمام بعمل الآلات الحربيّة إلى مستهلّ شوّال شرع فى الزّحف و الحصار و أخذ النّقوب من جميع الجهات إلى أن ملكها بكرة يوم الثلاثاء خامس عشر شوّال؛ و استمرّ الزّحف و القتال و نصب السلالم على القلعة و تسلطت عليها النقوب، و السلطان يباشر ذلك بنفسه، حتّى طلب أهل القلعة الأمان على أنفسهم و طلبوا اليمين على ذلك، فأجلس السلطان الملك الظاهر الأمير كرمون [أغا] التّتارىّ فى دست السلطنة، و حضرت رسلهم فاستحلفوه فحلف [لهم كرمون التّتارىّ] و هم يظنونه الملك الظاهر، فإنه كان يشبه الملك الظاهر. و كان فى قلب الملك الظاهر منهم حزازة، ثم شرط عليهم ألّا يأخذوا معهم من أموالهم شيئا. فلمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر شوّال طلعت السناجق على قلعة صفد، و وقف الملك الظاهر بنفسه على بابها و أخرج من كان فيها من الخيّالة و الرجّالة و الفلاحين؛ و دخل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار و تسلّمها، و اطّلع على أنّهم أخذوا شيئا كثيرا من التّحف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۹

له قيمة، فأمر الملك الظاهر بضرب رقابهم فضربت على تلّ هناك، و كتبت البشائر بهذا النصر إلى مصر و الأقطار، و زيّنت الديار المصريّة لذلك. ثم أمر الملك الظاهر بعمارة قلعة صفد و تحصينها و نقل الذخائر إليها و الأسلحة، و أزال دولة الكفر، منها، و للّه الحمد، و أقطع بلدها لمن رتّبه لحفظها من الأجناد، و جعل مقدّمهم الأمير علاء الدين الكبكى، و جعل فى نيابة السلطنة بالمدينة الأمير عزّ الدين العلائىّ، و ولاية القلعة للأمير مجد الدين الطّورىّ.

ثم رحل الملك الظاهر إلى دمشق فى تاسع عشر شوّال. و لمّا كان الملك الظاهر نازلا بصفد وصل إليه رسول صاحب صهيون بهديّة جليلة و رسالة مضمونها الاعتذار من تأخيره عن الحضور، فقبل الملك الظاهر الهديّة و العذر. ثمّ وصلت رسل صاحب سيس أيضا بهديّة فلم يقبلها و لا سمع رسالتهم. ثم وصلت البريديّة من متولّى قوص ببلاد الصّعيد بخبر أنّه استولى على جزيرة سواكن و أنّ صاحبها هرب، و أرسل يطلب من الملك الظاهر الدخول فى الطاعة و إبقاء سواكن عليه، فرسم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۰

له الملك الظاهر بذلك. ثم رحل الملك الظاهر من دمشق يوم السبت ثالث ذى القعدة و أمر العساكر بالتقدّم إلى بلاد سيس للإغارة عليها، و قدّم عليهم الملك المنصور صاحب حماة و تدبير الأمور راجع إلى الأمير آق سنقر الفارقانىّ، فساروا حتّى وصلوا إلى الدّربند الذى يدخلون منه إليها، و كان صاحبها قد بنى عليها أبرجة فيها المقاتلة؛ فلمّا رأوا العسكر تركوها و مضوا فأخذها المسلمون و هدموها، و دخلوا بلاد سيس فنهبوا و أسروا و قتلوا؛ و كان فيمن أسر ابن صاحب سيس و ابن أخته و جماعة من أكابرهم، و دخلوا

المدينة يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة و أخذوا منها ما لا يحصى كثرة، و عادوا نحو دمشق. فلمّا قاربوها خرج الملك الظاهر لتلقّيهم فى ثانى ذى الحجّة، و اجتاز بقارة فى سادسه، فأمر بنهبها و قتل من فيها من الفرنج، فإنّهم كانوا يخيفون السبيل و يستأسرون المسلمين، فأراح اللّه منهم و جعلت كنيستها جامعا، و رتّب بقارة خطيبا و قاضيا، و نقل إليها الرعية من المسلمين؛ ثم التقى العساكر و خلع عليهم و عاد معهم، فدخل دمشق، و الغنائم و الأسرى بين يديه، فى يوم الاثنين خامس عشر شهر ذى الحجّة فأقام بها مدّة. ثم خرج منها طالبا الكرك فى مستهلّ المحرّم سنة خمس و ستين و ستّمائة، و أمر الملك الظاهر بعد خروجه من دمشق بعمارة جسر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۱

بالغور على [نهر] الشّريعة؛ و كان المتولّى لعمارته جمال الدين محمد بن نهار و بدر الدين محمد بن رحال و هما من أعيان الأمراء؛ و لمّا تكامل عمارته اضطرب بعض أركانه، فقلق الملك الظاهر لذلك و أعاد الناس لإصلاحه فتعذّر ذلك لزيادة الماء، فاتّفق وقوف الماء عن جريانه حتّى أمكن إصلاحه؛ فلمّا تمّ إصلاحه عاد الماء إلى حاله؛ قيل إنّه كان وقع فى النهر قطعة كبيرة مما يجاوره من الأماكن العالية فسدّته من غير قصد. و هذا من عجيب الاتّفاق.

ثمّ عاد الملك الظاهر إلى ديار مصر و عند عوده إليها وصل إليه رسل صاحب اليمن الملك المظفر [شمس الدين] يوسف بن عمر و معهم فيل و حمار وحش أبيض و أسود و خيول و صينى و تحف، و طلب معاضدة الملك الظاهر له و شرط له أن يخطب له ببلاده. ثمّ خرج السلطان فى يوم السبت فى ثانى جمادى الآخرة إلى بركة الجب عازما على قصد الشام على حين غفلة، و جعل نائب السلطنة على مصر الأمير بيليك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۲

الخازندار، و رحل فى سابع الشهر، فوردت عليه رسل صاحب يافا فى الطريق فاعتقلهم، و أمر العسكر بلبس آلة الحرب ليلا و سار فأصبح يافا، و أحاط بها من كل جانب، فهرب من كان فيها من الفرنج إلى قلعتها، فملك السلطان المدينة و طلب أهل القلعة الأمان، فأمّنهم و عوّضهم عما نهب لهم أربعين ألف درهم، فركبوا فى المراكب إلى عكّا؛ و كان أخذ قلعة يافا فى الثانى و العشرين من الشهر المذكور و أمر بهدمها؛ فلمّا فرغ السلطان من هدمها رحل عنها يوم الأربعاء ثانى عشر شهر رجب طالبا للشّقيف، فنزل عليه يوم الثلاثاء و حاصرها حتّى تسلّمها يوم الأحد تاسع عشرين رجب؛ و كان الملك الظاهر أيضا ملك الباشورة بالسيف فى السادس و العشرين منه؛ ثم رحل الملك الظاهر عنها بعد أن رتّب بها عسكرا فى عاشر شعبان، و بعث أكثر أثقاله إلى دمشق و سار إلى طرابلس فشنّ عليها الغارة و أخرب قراها و قطع أشجارها و غوّر أنهارها. ثم رحل إلى حصن الأكراد و نزل بالمرج الذى تحته، فحضر إليه رسول من فيه بإقامة و ضيافة، فردّها عليه و طلب منهم دية رجل من أجناده، كانوا قتلوه، مائة ألف دينار فأرضوه. فرحل إلى حمص ثم إلى حماة ثم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۳

إلى أفامية ثم سار و نزل منزلة أخرى؛ ثم رحل ليلا و أمر العسكر بلبس آلة الحرب، و نزل أنطاكية فى غرّة شهر رمضان، فخرج إليه جماعة من أهلها يطلبون الأمان و شرطوا شروطا لم يجب إليها، و زحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر؛ و رتّب على أبوابها جماعة من الأمراء لئلّا يخرج أحد من الحرافشة بشىء من النهب، و من يوجد معه شىء يؤخذ منه، فجمع من ذلك ما أمكن جمعه و فرّقه على الأمراء و الأجناد بحسب مراتبهم. و حصر من قتل بأنطاكية فكانوا فوق الأربعين ألفا، و أطلق جماعة من المسلمين كانوا فيها أسراء من الحلبيّين، و كتب البشائر بذلك إلى مصر و إلى سائر الأقطار. و أنطاكية: مدينة عظيمة مشهورة، مسافة سورها اثنا عشر ميلا، و عدد أبراجها مائة و ستة و ثلاثون برجا، و عدد شرفاتها أربع و عشرون ألفا. و لم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب- رحمه اللّه- فيما فتح.

قلت: كم ترك الأوّل للآخر!

و لمّا ملك الملك الظاهر أنطاكية وصل إليه قصّاد من أهل القصير يطلبون تسليمها إليه، فسيّر السلطان الأمير شمس الدين آق سنقر

الفارقانىّ بالعساكر إليها فوصلها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۴

و وجد أكثر أهلها قد برح منها، فتسلّمها فى ثالث عشر شهر رمضان؛ و كان قد تسلّم دركوش بواسطة فخر الدين الجناحىّ فى تاسع شهر رمضان و عاد إلى دمشق، فدخلها فى سابع عشرين شهر رمضان، و عيّد السلطان بقلعة دمشق. ثم عاد إلى القاهرة فدخلها آخر نهار الأربعاء حادى عشر ذى الحجّة. و بعد وصوله بمدّة جلس فى الإيوان بقلعة الجبل يوم الخميس تاسع صفر، و أحضر القضاة و الشهود و الأعيان و أمر بتحليف الأمراء و مقدّمى الحلقة لولده الملك السعيد بركة خان [بولاية عهده و خليفته من بعده] فحلفوا. ثم ركب الملك السعيد يوم الاثنين العشرين من الشهر بأبّهة السلطنة فى القلعة و مشى والده أمامه، و كتب تقليد [له] و قرئ على الناس بحضور الملك الظاهر و سائر أرباب الدولة.

ثم فى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة خرج الملك الظاهر من القاهرة متوجّها إلى الشام و معه الأمراء بأسرهم جرائد، و استناب بالديار المصريّة فى خدمة ولده الأمير بدر الدين بيليك الخازندار. و من هذا التاريخ علّم الملك السعيد على التواقيع و غيرها: و لمّا صار الملك الظاهر بدمشق وصلت إليه كتب التّتار و رسلهم، و الرسل: محبّ الدين دولة خان، و سيف الدين سعيد ترجمان و آخر، و معهم جماعة من أصحاب سيس، فأنزلهم السلطان بالقلعة و أحضرهم من الغد و أدّوا الرسالة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۵

و مضمونها: أنّ الملك أبغا بن هولاكو لمّا خرج من الشرق ملك جميع البلاد و من خالفه قتل و أنت (يعنى للملك الظاهر) لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلص منّا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا، و أنت مملوك أبعت فى سيواس فكيف تشاقق ملوك الأرض و أولاد ملوكها! فأجابه فى وقته بأنّه فى طلب جميع ما استولوا عليه من العراق و الجزيرة و الروم و الشام و سفّرهم إليه بسرعة. ثم فى آخر شهر رجب خرج الملك الظاهر من دمشق و نزل خربة اللّصوص فأقام بها أيّاما؛ ثم ركب ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان و لم يشعر به أحد و توجّه إلى القاهرة على البريد بعد أن عرّف الفارقانىّ أنّه يغيب أيّاما معلومة، و قرّر معه أنه يحضر الأطبّاء كلّ يوم و يستوصف منهم ما يعالج به متوعّك يشكو تغيير مزاجه، ليوهم الناس أنّ الملك الظاهر هو المتوعّك؛ فكان يدخل ما يصفونه إلى الجيمة ليوهم العسكر صحّة ذلك، و سار الملك الظاهر حتّى وصل قلعة الجبل ليلة الخميس حادى عشرين شعبان، فأقام بالقاهرة أربعة أيّام؛ ثم توجّه ليلة الاثنين خامس عشرين الشهر على البريد، فوصل إلى العسكر يوم تاسع عشرين الشهر. و كان غرضه بهذا السّفر كشف أحوال ولده الملك السعيد و غير ذلك. ثم فى يوم الأحد سادس عشر شهر رمضان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۶

تسلّم نوّاب الملك الظاهر قلعة بلاطنس و قلعة كرابيل من عزّ الدين أحمد بن مظفّر الدين عثمان بن منكورس صاحب صهيون، و عوّضه غيرهما قرية تعرف بالخميلة من أعمال شيزر. ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان توجّه الملك الظاهر إلى صفد فأقام بها يومين ثم شنّ الغارة على بلد صور، و أخذ منها شيئا كثيرا. ثم عاد الملك الظاهر إلى دمشق و عيّد بها. ثم خرج منها فى خامس عشرين شوّال يريد الكرك فوصله فى أوائل ذى القعدة. ثم توجّه فى سادسه إلى الحجاز، و صحبته بيليك الخازندار و القاضى صدر الدين سليمان الحنفى و فخر الدين إبراهيم بن لقمان و تاج الدين ابن الأثير و نحو ثلثمائة مملوك و جماعة من أعيان الحلقة، فوصل المدينة الشريفة فى العشر الأخير من الشهر فأقام بها ثلاثة أيام، و كان جمّاز قد طرق المدينة و ملكها، فلمّا قدم الظاهر هرب؛ فقال الملك الظاهر: لو كان جمّاز يستحقّ القتل ما قتلته! لأنه فى حرم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ ثم تصدّق فى المدينة بصدقات كثيرة، و خرج منها متوجّها إلى مكّة فوصلها فى ثامن ذى الحجّة، فخرج إليه أبو نمىّ و عمّه إدريس صاحبا مكّة، و بذلا له الطاعة فخلع عليهما و سارا بين يديه إلى عرفات، فوقف بها يوم الجمعة ثم عاد إلى منّى، ثم إلى مكّة و طاف بها طواف الإفاضة، و صعد الكعبة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۷

و غسلها بماء الورد و طيّبها بيده، و أقام يوم الاثنين ثم ركب و توجّه إلى المدينة الشريفة، فزار بها قبر النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثانيا. ثم توجّه إلى الكرك فوصله فى يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة فصلّى به الجمعة. ثم توجّه إلى دمشق فوصل يوم الأحد ثانى المحرّم سنة ثمان و ستين و ستمائة فى السّحر، فحرج الأمير جمال الدين آقوش فصادفه فى سوق الخيل و اجتمع به. ثم سار إلى حلب فوصلها فى سادس المحرّم؛ ثم خرج منها فى عاشره و سار إلى حماة ثم إلى دمشق ثم إلى مصر، و صحبته الأمير عزّ الدين الأفرم فدخلها يوم الأربعاء رابع صفر، و اتّفق ذلك اليوم دخول ركب الحاجّ، و كانت العادة يوم ذاك بدخول الحاج إلى القاهرة بعد عاشر صفر، فأقام الملك الظاهر بالقاهرة أيّاما، و خرج منها فى صفر المذكور إلى الإسكندرية و معه ولده الملك السعيد و سائر الأمراء فصيّد أيّاما و عاد إلى نحو القاهرة فى يوم الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأوّل، و خلع فى هذه السّفرة على الأمراء و فرّق فيهم الخيل و الحوائص الذهب و السيوف المحلّاة و الذهب و الدراهم و القماش و غير ذلك، فلم يقم بالقاهرة إلا مدّة يسيرة، و خرج منها متوجّها إلى الشام فى يوم الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأوّل فى طائفة يسيرة من أمرائه و خواصّه، فوصل إلى دمشق فى يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الآخر، و لقى أصحابه فى الطريق مشقّة شديدة من البرد. ثم خرج عقيب ذلك إلى الساحل و أسر ملك عكّا؛ و قتل و أسر و سبى. ثم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۸

قصد الغارة على المرقب فوجد من الأمطار و الثلوج ما منعه، فرجع إلى حمص فأقام بها نحو عشرين يوما. ثم خرج إلى جهة حصن الأكراد و نزل تحتها، و أقام يركب كلّ يوم و يعود من غير قتال إلى الثامن و العشرين من شهر رجب، فبلغه أنّ مراكب الفرنج دخلت ميناء الإسكندرية و أخذت مركبين للمسلمين، فرحل من فوره إلى نحو الديار المصريّة فوصلها ثانى عشر شعبان، فحين دخوله إلى مصر امر بعمارة القناطر التى على بحر أبى المنجّا، و هى من المبانى العجيبة فى الحسن و الإتقان؛ و بينما هو فى ذلك ورد عليه البريد من الشام أنّ الفرنج قاصدون الساحل، و المقدّم عليهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۹

شارل أخو ريدا فرنس، و ربّما كان محطّهم عكّا؛ فتقدّم الملك الظاهر إلى العسكر بالتوجّه إلى الشام. ثم ورد الخبر أيضا بأنّ اثنى عشر مركبا للفرنج عبروا على الإسكندرية و دخلوا ميناءها و أخذوا مركبا للتّجار و استأصلوا ما فيه و أحرقوه، و لم يجسر و الى الإسكندرية أن يخرج الشوانى من الصناعة لغيبة رئيسها فى مهمّ استدعاه الملك الظاهر بسببه. و لمّا بلغ الملك الظاهر ذلك بعث أمر بقتل الكلاب فى الإسكندرية و ألّا يفتح أحد حانوتا بعد المغرب و لا يوقد نارا فى البلد ليلا، ثم تجهّز بسرعة و خرج نحو دمياط يوم الخميس خامس ذى القعدة فى البحر. و فى ذى الحجّة أمر السلطان بعمل جسرين: أحدهما من مصر إلى الجزيرة (أعنى الروضة)، و الآخر من الجزيرة إلى الجيزة على مراكب لتجوز العساكر عليهما. ثم عاد الملك الظاهر من دمياط بسرعة و لم يلق حربا؛ و خرج من مصر إلى عسقلان فى يوم السبت عاشر صفر سنة تسع و ستين و ستمائة فى جماعة يسيرة من الأمراء و الأجناد، فوصل إلى عسقلان و هدم من سورها ما كان أهمل هدمه فى أيّام الملك الصالح، و وجد فيما هدم كوزان مملوءان ذهبا مقدار ألفى دينار ففرّقها على من صحبه، و ورد عليه الخبر و هو بعسقلان بأنّ عسكر ابن أخى بركة خان المغلىّ كسر عسكر أبغا بن هولاكو، فسرّ الملك الظاهر بذلك سرورا زائدا. و عاد إلى مصر يوم السبت ثامن شهر ربيع الأوّل. و فى هذه السنة انتهى الجسر و القناطر الذى عمل على بحر أبى المنجا، و وقف عليه الملك الظاهر وقفا يعمر منه ما دثر منه على طول السنين. و فى هذه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۰

السنة أيضا بنى الملك الظاهر جامع المنشيّة، و أقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة تسع و ستين و ستمائة المذكورة. ثم فى السنة المذكورة أيضا خرج الملك الظاهر من الديار المصريّة متوجّها إلى نحو حصن الأكراد فى ثانى عشر

جمادى الآخرة، و دخل دمشق يوم الخميس ثامن شهر رجب، و كان معه فى هذه السّفرة ولده الملك السعيد و الصاحب بهاء الدين بن حنّا، و استخلف بمصر الأمير شمس الدين اقسنقر الفارقانىّ، و فى الوزارة الصاحب تاج الدين ابن حنّا. ثمّ خرج الملك الظاهر من دمشق فى يوم السبت عاشره و توجّه بطائفة من العسكر إلى جهة، و ولده و بيليك الخازندار بطائفة أخرى إلى جهة، و تواعدوا الاجتماع فى يوم واحد بمكان معيّن ليشنّوا الغارة على جبلة و اللّاذقيّة و المرقب و عرقة و مرقيّة و القليعات و صافيثا و المجدل و أنطرطوس، فلمّا اجتمعوا [على] أن يشنّوا الغارة فتحوا صافيثا و المجدل، ثم ساروا و نزلوا حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب من سنة تسع و ستين و ستمائة؛ و أخذوا فى نصب المجانيق و عمل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۱

الستاير، و لهذا الحصن ثلاثة أسوار؛ فاشتدّ عليه الزحف و القتال و فتحت الباشورة الأولى يوم الخميس حادى عشرين الشهر، و فتحت الثانية يوم السبت سابع شعبان، و فتحت الثالثة الملاصقة للقلعة فى يوم الأحد خامس عشره، و كان المحاصر لها الملك السعيد ابن الملك الظاهر و معه بيليك الخازندار و بيسرى، و دخلت العساكر البلد بالسيف و أسروا من فيه من الجبليّة و الفلّاحين ثم أطلقوهم. فلمّا رأى أهل القلعة ذلك أذعنوا بالتسليم و طلبوا الأمان، فأمّنهم الملك الظاهر و تسلّم القلعة يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان، و كتبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار، و أطلق الملك الظاهر من كان فيها من الفرنج فتوجّهوا إلى طرابلس. ثم رحل الملك الظاهر بعد أن رتّب الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم لعمارته، و أقيمت فيه الجمعة، و رتّب نائبا و قاضيا. و لمّا وقع ذلك بعث صاحب أنطرطوس إلى الملك الظاهر يطلب المهادنة، و بعث إليه بمفاتيح أنطرطوس فصالحه على نصف ما يتحصّل من غلال بلده، و جعل عندهم نائبا من قبله. ثم صالح صاحب المرقب على المناصفة أيضا، و ذلك فى يوم الاثنين مستهلّ شهر رمضان من سنة تسع و ستين، و قرّرت الهدنة عشر سنين و عشرة أشهر و عشرة أيّام.

ثم سار الملك الظاهر فى يوم الأحد رابع عشر شهر رمضان فأشرف على حصن ابن عكّار، و عاد إلى المرج فأقام به إلى أن سار و نزل على الحصن المذكور ثانيا فى يوم الاثنين ثانى عشرين شهر رمضان، و نصب المجانيق عليه فى يوم الثلاثاء،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۲

و فى يوم الأحد ثامن عشرينه رمى المنجنيق الذى قبالة الباب الشرقىّ رميا كثيرا فخسف خسفا كبيرا إلى جانب البدنة، و دام ذلك إلى اللّيل فطلبوا الأمان على أنفسهم من القتل و أن يمكّنهم من التوجّه إلى طرابلس فأجابهم، فخرجوا يوم الثلاثاء سلخ الشهر؛ و كتبت البشائر بالفتح و النصر إلى سائر الأقطار. ثم فى يوم السبت رابع شوّال خيّم السلطان الملك الظاهر بعساكر [ه] على طرابلس فسيّر صاحبها إليه يستعطفه فبعث إليه الملك الظاهر [فارس الدين] الأتابك [و] سيف الدين [بلبان] الرومىّ على أن يكون له من أعمال طرابلس نصف بالسويّة، و أن يكون له دار وكالة فيها، و أن يعطى جبلة و اللّاذقيّة بخراجهما من يوم خروجهما عن الملك الناصر إلى يوم تاريخه، و أن يعطى نفقات العساكر من يوم خروجه؛ فلمّا علم الرساله عزم على القتال و حصّن طرابلس، فنصب الملك الظاهر المجانيق؛ ثم تردّدت الرّسل ثانيا و تقرر الصلح أن تكون عرقة و جبلة و أعمالها للبرنس صاحب طرابلس، و أن يكون ساحل أنطرطوس و المرقب و بانياس و بلاد هذه النواحى بينه و بين الدّاويّة، و التى كانت خاصا لهم، و هى بارين و حمص القديمة تعود خاصا للملك الظاهر، و شرط أن تكون عرقة و أعمالها، و هى ست و خمسون قرية، صديقة من الملك الظاهر عليه، فتوقّف صاحب طرابلس و أنف؛ فلمّا بلغ الملك الظاهر امتناعه صمّم على ما شرط عليه حتى أجابه، و عقد الصلح بينهما مدّة عشر سنين و عشرة أشهر و عشرة أيام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۳

و فى يوم السبت حادى عشر شوّال رحل الملك الظاهر عن مرج صافيثا، و أذن إلى صاحب حماة و صاحب حمص بالعود إلى بلادهم، و سار الظاهر حتى دخل دمشق يوم الأربعاء خامس عشر شوّال، و عزل القاضى شمس الدين أحمد بن خلّكان عن قضاء

دمشق، و كانت مدّة ولايته عشر سنين، و ولّى عوضه القاضى عزّ الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بابن الصائغ. ثم فى يوم الجمعة رابع عشرين شوّال خرج الملك الظاهر من دمشق قاصدا القرين، فنزل عليه يوم الاثنين سابع عشرين الشهر، و نصب عليه المجانيق، و لم يكن به نساء و لا أطفال بل مقاتلة، فقاتلوا قتالا شديدا، و أخذت النّقوب للحصن من كلّ جانب، فطلب من فيه الأمان، فأمّنوا يوم الاثنين ثالث عشر ذى القعدة، و تسلّم السلطان الحصن بما فيه من السلاح ثمّ هدمه، و كان بناؤه من الحجر الصّلد و بين كلّ حجرين عود حديد ملزوم بالرصاص، فأقاموا فى هدمه اثنى عشر يوما و فى حصاره خمسة عشر يوما.

و فى يوم الاثنين سادس عشرين الشهر نزل الملك الظاهر على كردانة قرية قريبة من عكّا، و لبس العسكر و سار إلى عكّا و أشرف عليها، ثم عاد إلى منزله. ثمّ رحل منها يوم الثلاثاء قاصدا مصر، فدخلها يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجّة، و كان جملة ما صرفه الملك الظاهر فى هذه السّفرة من حين خروجه من مصر إلى حين عوده إليها ما ينيف على مائة ألف دينار و ثمانين ألف دينار عينا. و فى اليوم الثانى من وصوله إلى قلعة الجبل قبض على جماعة من الأمراء منهم: الأمير علم الدين سنجر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۴

الحلبىّ الكبير، الذى كان تسلطن بدمشق فى أوّل سلطنة الملك الظاهر بيبرس، و الأمير جمال الدين آقوس المحمّدىّ، و الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبىّ الناصرىّ، و الأمير شمس الدين سنقر المسّاح و الأمير سيف الدين بيدغان الرّكنى و الأمير علم الدين سنجر طرطح و غيرهم، و حبسوا الجميع بقلعة الجبل؛ و سبب ذلك أنّه بلغه أنّهم تآمروا على قبضه لمّا كان بالشّقيف، فأسّرها فى نفسه إلى وقتها. و كان بلغ الملك الظاهر و هو على حصن الأكراد أنّ صاحب قبرص خرج منها فى مراكبه إلى عكا، فأراد السلطان اغتنام خلوّها، فجّهز سبعة عشر شيتيّا، فيها الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور رئيس مصر و شهاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية، و شرف [الدين] علوى بن أبى المجد بن علوى العسقلانى رئيس دمياط، و جمال الدين مكّى بن حسّون مقدّما على الجميع؛ فوصلوا الجزيرة ليلا، فهاجت عليهم ريح طردتهم عن المرسى، و ألقت بعض الشّوانى على بعض، فتحطّم منها أكثر من أحد عشر شيتيّا و أخذ من فيها من الرجال و الصنّاع أسراء، و كانوا زهاء ألف و ثمانمائة نفس، و سلم الرئيس ناصر الدين و ابن حسّون فى الشّوانى السالمة، و عادت إلى مراكزها؛ فعظم ذلك على الملك الظاهر بيبرس إلى الغاية.

و فى يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجّة أمر الملك الظاهر بإراقة الخمور فى سائر بلاده، و أوعد من يعصرها بالقتل، فأريق على الأجناد و العوامّ منها ما لا تحصى قيمته، و كان ضمان ذلك فى ديار مصر خاصّة ألف دينار فى كلّ يوم، و كتب بذلك توقيع قرئ على منبر مصر و القاهرة. و فى العشر الأخير من ذى الحجّة اهتمّ الملك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۵

الظاهر بإنشاء شوان عوضا عمّا ذهب على قبرص، و انتهى العمل من الشوانى فى يوم الأحد رابع عشر المحرّم سنة سبعين، و ركب السلطان إلى الصّناعة لإلقاء الشّوانى فى بحر النيل، و ركب السلطان فى شينىّ منها و معه الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، فلمّا صار الشّينى فى الماء مال بمن فيه فوقع الخازندار منه إلى البحر، فنهض بعض رجال الشّينى و رمى بنفسه خلفه فأدركه و أخذ بشعره و خلّصه، و قد كاد يهلك، فخلع عليه الملك الظاهر و أحسن إليه.

و فى ليلة السبت السابع و العشرين منه خرج الملك الظاهر من الديار المصريّة إلى الشام فى نفر يسير من خواصّه و أمرائه و دخل حصن الكرك، و خرج منه و صحب معه نائبه الأمير عزّ الدين أيدمر و سار إلى دمشق، فوصل إليه يوم الجمعة ثانى عشر صفر، فعزل عنها الأمير جمال الدين آقوش النّجيبىّ، و ولّى مكانه الأمير عزّ الدين أيدمر المعزول عن نيابة الكرك. ثم خرج منها إلى حماة فى سادس عشره ثم عاد منها فى السادس و العشرين.

و فيها أمر ملك التّتار أبغا بن هولاكو عساكره بقصد البلاد الشاميّة، فخرج عسكره فى عدّة عشرة آلاف فارس و عليهم الأمير صمغرا و البرواناه، فلمّا بلغهم أنّ الملك الظاهر بالشام أرسلوا ألفا و خمسمائة من المغل ليتجسّسوا الأخبار و يغيروا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۶

على أطراف بلاد حلب، و كان مقدّمهم أمال بن بيجونوين و وصلت غارتهم إلى عينتاب ثم إلى قسطون و وقعوا على تركمان نازلين بين حارم و أنطاكية فاستأصلوهم؛ فتقدّم الملك الظاهر بتجفيل البلاد ليحمل التّتار الطمع فيدخلوا فيتمكّن منهم. و بعث إلى مصر بخروج العساكر فخرجت و مقدّمها الأمير بيسرى، فوصلوا إلى السلطان فى خامس الشهر و خرج بهم فى السابع منه، فسبق إلى التّتار خبره، فولّوا على أعقابهم. و كان الظاهر لمّا مرّ بحماة استصحب معه الملك المنصور صاحب حماة، و نزل الظاهر حلب يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الآخر من سنة سبعين و ستمائة و خيّم بلليدان الأخضر، ثم جهّز الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانىّ فى عسكر و أمره أن يمضى إلى بلاد حلب الشماليّة و لا يتعرّض ببلاد صاحب سيس، و جهّز الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرىّ فى عسكر و أمره بالتوجّه إلى حرّان. فأمّا الفارقانىّ فإنه سار خلف التّتار إلى مرعش فلم يجد منهم أحدا، ثم عاد إلى حلب فوجد الملك الظاهر مقيما بها، و قد أمر بإنشاء دار شمالىّ القلعة كانت تعرف بدار الأمير بكتوت، أستادار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب و اضاف إليها دارا أخرى، و وكّل بعمارتها الأمير عزّ الدين آقوش الأفرم.

و لمّا عاد الفارقانىّ إلى حلب رحل الملك الظاهر منها نحو الديار المصريّة فى ثامن عشرين شهر ربيع الآخر، و دخل مصر فى الثالث و العشرين من جمادى الأولى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۷

و لمّا وصل الظاهر إلى مصر قبض على الأمراء الذين كانوا مجرّدين على قاقون بسبب الفرنج لمّا أغاروا على الساحل ما عدا آقوش الشّمسىّ ثم شفع فيهم فأطلقهم.

و فى يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة عدّى الملك الظاهر إلى برّ الجيزة فأخبر أن ببوصير السّدر مغارة فيها مطلب، فجمع لها خلقا فحفروا مدى بعيدا، فوجدوا قطاطا ميتة و كلاب صيد و طيورا و غير ذلك من الحيوانات ملفوفا فى عصائب و خرق، فإذا حلّت اللفائف و لاقى الهواء ما كان فيها صار هباء منثورا؛ و أقام الناس ينقلون من ذلك مدّة و لم ينفد ما فيها، فأمر الملك الظاهر بتركها و عاد من الجيزة.

و فى يوم السبت سابع عشرين جمادى الآخرة ركب السلطان الملك الظاهر إلى الصّناعة ليرى الشوانى التى عملت و هى أربعون شيئيّا فسرّ بها. و عند عوده إلى القلعة ولدت زرافة بقلعة الجبل [و هذا أمر لم يعهد] و أرضع ولدها لبن بقرة.

ثم سافر الملك الظاهر إلى الشام فى شعبان و سار حتى وصل الساحل و خيّم بين قيساريّة و أرسوف، و كان مركّزا بها الفارقانىّ فرحل الفارقانىّ عنها إلى مصر.

ثم إنّ الملك الظاهر شنّ الغارة على عكا، فطلب منه أهلها الصلح و تردّدوا فى ذلك حتى تقرّرت الهدنة بينهم مدّة عشر سنين و عشرة أشهر و عشرة أيّام و عشر ساعات، أوّلها ثانى عشرين شهر رمضان سنة سبعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۸

ثم رحل الملك الظاهر إلى خربة اللّصوص، ثم سار منها إلى دمشق فدخلها فى الثامن من شوّال؛ و بينما هو فى دمشق تردّدت الرسل بينه و بين التّتار و انفصل الأمر من غير اتّفاق. و فى ذى الحجّة توجّه الملك الظاهر من دمشق إلى حصن الأكراد لينقل حجارة المجانيق إليها و رؤية ما عمّر فيها ففعل ذلك. ثم سار إلى حصن عكّار فأشرف عليها. ثم عاد إلى دمشق فى خامس المحرّم من سنة إحدى و سبعين و ستمائة، و فى ثانى عشر المحرّم المذكور أفرج الملك الظاهر عن الأمير أيبك النّجيبى الصغير، و أيدمر الحلّىّ العزيزىّ و كانا محبوسين بالقاهرة. ثم خرج الملك الظاهر من دمشق فى المحرم أيضا عائدا إلى الديار المصريّة و صحبته الأمير بدر الدين بيسرىّ و الأمير آقوش الرومىّ و جرمك الناصرىّ، فوصل إليها فى يوم السبت ثالث عشرين المحرّم، فأقام بالقاهرة إلى ليلة الجمعة تاسع عشرينه، خرج من مصر و توجّه إلى دمشق فدخل قلعتها ليلة الثلاثاء رابع صفر، فأقام بدمشق إلى خامس جمادى الأولى

اتّصل به أنّ فرقة من التّتار قصدت الرّحبة، فبرز إلى القصير فبلغه أنّهم عادوا من الرّحبة و نزلوا على البيرة، فسار إلى حمص و أخذ مراكب الصيّادين على الجمال ليجوز عليها، ثم سار حتّى وصل إلى الباب من أعمال حلب،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۹

و بعث جماعة من الأجناد و العربان لكشف أخبارهم، و سار إلى منبج فعادوا و أخبروا أنّ طائفة من التّتار مقدار ثلاثة آلاف فارس على شطّ الفرات ممّا يلى الجزيرة، فرحل عن منبج يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى و وصل شطّ الفرات، و تقدّم إلى العسكر بخوضها، فخاض الأمير سيف الدين قلاوون الألفىّ و الأمير بدر الدين بيسرى فى أوّل الناس، ثم تبعهما هو بنفسه و تبعته العساكر، فوقعوا على التّتار فقتلوا منهم مقتلة عظيمة و أسروا تقدير مائتى نفس و لم ينج منهم إلّا القليل، و تبعهم بيسرى إلى قريب سروج ثم عاد. و كان على البيرة جماعة كثيرة من عسكر التّتار، و كانوا قد أشرفوا على أخذها، فلمّا بلغهم الخبر رحلوا عن البيرة؛ و دخلها السلطان فى ثانى عشرين الشهر و خلع على نائبها و فرّق فى أهلها مائة ألف درهم، و أنعم عليهم ببعض ما تركه التّتار عندهم لمّا هربوا. ثم رحل الملك الظاهر عنها بعساكره و عاد إلى دمشق. و فى هذه النّصرة قال العلّامة شهاب الدين أبو الثناء محمود كاتب الإنشاء- رحمه اللّه- قصيدة طنانة؛ أوّلها:

سر حيث شئت لك المهيمن جار و احكم فطوع مرادك الأقدار

لم يبق للدين الذى أظهرته يا ركنه عند الأعادى ثار

لمّا تراقصت الرءوس و حرّكت من مطربات قسّيك الأوتار

خضت الفرات بسابح أقصى منى هوج الصّبا من نعله آثار

حملتك أمواج الفرات و من رأى بحرا سواك تقلّه الأنهار

و تقطّعت فرقا و لم يك طودها إذ ذاك إلا جشك الجرّار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۰

رشّت دماؤهم الصعيد فلم يطر منهم على الجيش السعيد غبار

شكرت مساعيك المعاقل و الورى و التّرب و الآساد و الأطيار

هذى منعت و هؤلاء حميتهم و سقيت تلك و عمّ ذا الإيسار

فلأملأنّ الدهر فيك مدائحا تبقى بقيت و تذهب الأعصار

و هى أطول من ذلك. و قال الشيخ ناصر الدين حسن بن النّقيب الكنانىّ الشاعر- رحمه اللّه تعالى- قصيدة و كان حاضر الوقعة منها:

و لمّا ترامينا الفرات بخيلنا سكرناه منا بالقوى و القوائم

فأوقفت التيّار عن جريانه إلى حيث عدنا بالغنى و الغنائم

و قال الموفّق عبد اللّه بن عمر الأنصارى- رحمه اللّه- و أجاد:

الملك الظاهر سلطاننا نفديه بالأموال و الأهل

اقتحم الماء ليطفى به حرارة القلب من المغل

ثم توجّه الملك الظاهر إلى نحو الديار المصريّة، فخرج ولده الملك السعيد لتلقّيه فى يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة، فاجتمع به بين القصير و الصالحيّة فى يوم الجمعة ثانى عشرينه، فترجلا و اعتنقا طويلا؛ ثم ركبا و سارا جميعا إلى القلعة و بين يديهم أسارى التّتار ركّابا على الخيل، ثم فى سابع شهر رجب أفرج الملك الظاهر عن الأمير عز الدين أيبك الدّمياطى من الاعتقال، و كانت مدّة اعتقاله تسع سنين و عشرة أيام، ثم خلع الملك الظاهر على أمراء الدولة و مقدّمى الحلقة و أعطى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۱

كلّ واحد منهم ما يليق به من الخيل و الذهب و الحوائص و الثّياب و السيوف، و كان قيمة ما صرفه فيهم فوق ثلثمائة ألف دينار، و فى سادس عشرين شعبان أفرج الملك الظاهر عن الأمير علم الدين سنجر الحلبى الغتمى المعزّىّ. و فى يوم الاثنين ثانى عشر شوّال استدعى الملك الظاهر الشيخ خضرا إلى القلعة و أحضره بين يديه.

قلت: و الشيخ خضر هذا هو صاحب الزاوية بالحسينية بالقرب من جامع الظاهر. انتهى. و أحضر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة منكرة، و كثر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۲

بينه و بينهم فيها المقالة و رموه بفواحش كثيرة و نسبوه إلى قبائح عظيمة؛ فرسم الملك الظاهر باعتقاله، و كان للشيخ خضر المذكور منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بحيث إنّه كان ينزل عنده فى الجمعة المرّة و المرّتين و يباسطه و يمازحه و يقبل شفاعته و يستصحبه فى سائر سفراته، و متى فتح مكانا أفرض له منه أوفر نصيب، فامتدّت يد الشيخ خضر بذلك فى سائر المملكة يفعل ما يختار لا يمنعه أحد من النوّاب، حتّى إنّه دخل إلى كنيسة قمامة ذبح قسّيسها بيده، و انتهب ما كان فيها تلامذته، و هجم كنيسة اليهود بدمشق و نهبها، و كان فيها ما لا يعبّر من الأموال، و عمرها مسجدا و عمل بها سماعا و مدّ بها سماطا. و دخل كنيسة الإسكندريّة و هى عظيمة عند النصارى فنهبها و صيّرها مسجدا، و سمّاها المدرسة الخضراء و أنفق فى تعميرها مالا كثيرا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۳

من بيت المال. و بنى له الملك الظاهر زاوية بالحسينية ظاهر القاهرة و وقف عليها و حبس عليها أرضا تجاورها تحتكر للبناء. و بنى لأجله جامع الحسينية.

و فى يوم الاثنين سابع المحرّم سنة اثنتين و سبعين و ستمائة جلس الملك الظاهر بدار العدل و حكّم بين الناس و نظر فى أمور الرعيّة، فأنصف المظلوم و خلّص الحقوق و مال على القوىّ و رفق بالضعيف. و فى العاشر منه هدمت غرفة على باب قصر من قصور الخلفاء الفاطميّين بالقاهرة، و يعرف هذا الباب بباب البحر، و هو من بناء الخليفة الحاكم بأمر اللّه منصور المقدّم ذكره، فوجد فى القصر الذى هدم امرأة فى صندوق منقوش عليها كتابة اسم الملك الظاهر بيبرس هذا و صفته، و بقى منها ما لم يمكن قراءته.

و فيها قبض على ملك الكرج و هو أنّه كان قد خرج من بلاده قاصدا زيارة القدس الشريف متنكّرا فى زىّ الرهبان و معه جماعة يسيرة من خواصّه، فسلك بلاد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۴

الروم إلى سيس فركب البحر إلى عكّا، ثم خرج منها إلى بيت المقدس فاطّلع الأمير بدر الدين الخازندار على أمره و هو على يافا، فبعث إليه من قبض عليه، فلمّا حضر بين يديه بعثه مع الأمير ركن الدين منكورس إلى السلطان؛ و كان السلطان قد توجّه إلى دمشق فوصل إلى دمشق فى رابع عشر جمادى الأولى، فأقبل عليه السلطان و سأله حتى اعترف، فحبسه فى برج من أبراج قلعة دمشق، و أمره أن يبعث من جهته إلى بلاده من يعرّفهم بأسره، فبعث نفرين. و خرج الملك الظاهر من دمشق ثالث عشرين جمادى الآخرة، و قدم القاهرة يوم الخميس سابع شهر رجب من سنة اثنتين و سبعين المذكورة. ثم فى يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان أمر السلطان العسكر أن يركب بالزينة الفاخرة و يلعب فى الميدان تحت القلعة، فاستمرّ ذلك كلّ يوم إلى يوم عيد الفطر ختن السلطان الملك الظاهر ولده خضرا و معه جماعة من أولاد الأمراء و غيرهم، و كان الملك السعيد ابن الملك الظاهر فى يوم الأربعاء سابع عشر شهر رمضان خرج من القاهرة و توجّه إلى دمشق و معه شمس الدين آقسنقر الفارقانىّ و أربعون نفرا من خواصّه على خيل البريد، و عاد إلى القاهرة فى يوم الخميس الرابع و العشرين من شوّال.

و فى يوم الأحد سابع صفر من سنة ثلاث و سبعين و ستمائة ركب الملك الظاهر الهجن و توجّه إلى الكرك و معه بيسرى و أتامش السّعدى، و سبب توجّهه أن وقع بالكرك برج فأحبّ أن يكون إصلاحه بحضوره. ثم عاد إلى مصر فدخلها فى يوم الثلاثاء ثانى

عشرين شهر ربيع الأوّل، فأقام بها مدّة يسيرة. ثم توجّه إلى دمشق و أقام به إلى أن أرسل فى رابع عشرين المحرّم سنة أربع و سبعين و ستمائة الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۵

بدر الدين بيليك الخازندار على البريد إلى مصر لإحضار الملك السعيد، فعاد به إلى دمشق فى يوم الأربعاء سادس صفر من السنة. و فى الثالث و العشرين من جمادى الأولى فتح حصن القصير و هو بين حارم و أنطاكية، و كان فيه قسّيس عظيم عند الفرنج يقصدونه للتبرّك به، و كان الملك الظاهر قد أمر التّركمان و بعض العرب بمحاصرته، و بعد أخذه عاد الملك الظاهر إلى مصر فلم تطل مدّته به و عاد إلى دمشق، فدخله يوم ثالث المحرّم من سنة خمس و سبعين، فأقام به مدة يسيرة أيضا، و عاد إلى الديار المصريّة فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر؛ و أمر بعمل عرس ولده الملك السعيد، و اهتمّ فى ذلك إلى يوم الخميس خامس جمادى الأولى أمر العسكر بالركوب إلى الميدان الأسود تحت القلعة فى أحسن زىّ، و أقاموا يركبون كلّ يوم كذلك و يتراكضون فى الميدان، و الناس تزدحم للفرجة عليهم خمسة أيام، و فى اليوم السادس افترق الجيش فرقتين، و حملت كلّ فرقة على الأخرى و جرى من اللعب و الزينة ما لا يوصف، و فى اليوم السابع خلع على سائر الأمراء و الوزراء و القضاة و الكتّاب و الأطباء مقدار ألف و ثلثمائة خلعة، و أرسل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۶

إلى دمشق الخلع ففرقت كذلك، و فى يوم الخميس مدّ السّماط فى الميدان المذكور فى أربعة خيم، و حضر السّماط من علا و من دنا، و رسل التتار و رسل الفرنج، و عليهم الخلع أيضا، و جلس السلطان فى صدر الخيمة على تخت من آبنوس و عاج مصفّح بالذهب مسمّر بالفضّة غرم عليه ألف دينار؛ و لمّا انقضى السّماط قدّم الأمراء الهدايا من الخيل و السلاح و التّحف و سائر الملابس، فلم يقبل السلطان من أحد منهم سوى ثوب واحد جبرا له؛ فلمّا كان وقت العصر ركب إلى القلعة و أخذ فى تجهيز ما يليق بالزّفاف و الدخول، و لم يمكّن أحد من نساء الأمراء على الإطلاق من الدخول إلى البيوت، و دخل الملك السعيد إلى الحمّام ثم دخل إلى بيته الذى هيّى له بأهله، و حملت العروس فدخل عليها. و لمّا بلغ الملك المنصور صاحب حماة ذلك قدم القاهرة مهنّئا للسلطان و معه هديّة سنيّة، فوصل القاهرة فى ثامن جمادى الآخرة، فركب الملك السعيد لتلقّيه و نزل بالكبش، و أقام مدّة يسيرة ثم عاد إلى بلده.

ثم خرج الملك الظاهر بعد ذلك من القاهرة فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان بعد أن استناب الأمير آق سنقر الفارقانىّ الأستادار نائبا عنه فى خدمة ولده الملك السعيد، و ترك معه من العسكر بالديار المصريّة لحفظ البلاد خمسة آلاف فارس، و رحل من المنزلة يوم السبت ثانى عشر شوّال قاصدا بلاد الروم فدخل دمشق ثم خرج منها و دخل حلب يوم الأربعاء مستهلّ ذى القعدة، و خرج منها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۷

يوم الخميس إلى حيلان، فترك بها بعض الثّقل، و أمر الأمير نور الدين علىّ بن جبل مجلىّ نائب حلب أن يتوجّه إلى الساجور و يقيم على الفرات بمن معه من عسكر حلب و يحفظ معابر الفرات لئلا يعبر منها أحد من التّتار قاصدا الشام، و وصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا و أقام عنده، فبلغ نوّاب التّتار ذلك فجهّزوا إليهم جماعة من عرب خفاجة لكبسهم فحشدوا و توجّهوا نحوهم. فاتّصل بالأمير علىّ نائب حلب الخبر و كان يقظا، فركب إليهم و التقاهم و كسرهم أقبح كسرة، و أخذ منهم ألفا و مائتى جمل.

و أمّا الملك الظاهر فإنّه ركب من حيلان يوم الجمعة ثالث الشهر، و سار إلى عينتاب، ثم إلى دلوك، ثم إلى منزلة أخرى ثم إلى كينوك، ثم إلى ككك صو (و معناه الماء الأزرق باللّغة التركية). ثم رحل عنه إلى أقجادر بند فقطعه فى نصف نهار؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۸

فلمّا خرجت عساكره و ملكت المفاوز، قدّم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر على جماعة من العسكر و أمره بالمسير بين يديه، فوقع

على كتيبة التّتار و عدّتهم ثلاثة آلاف فارس، و مقدّمهم كراى فهزمهم سنقر الأشقر و أسر منهم طائفة، و ذلك فى يوم الخميس تاسع ذى القعدة.

ثم ورد الخبر على الملك الظاهر بأنّ عسكر الروم و التّتار مع البرواناه اجتمعوا على نهر جيحان، فلمّا صعد العسكر الجبل أشرف على صحراء أبلستين فشاهد التّتار قد رتّبوا عساكرهم أحد عشر طلبا فى كلّ طلب ألف فارس، و عزلوا عسكر الروم عنهم خوفا من باطن يكون لهم مع المسلمين، و جعلوا عسكر الكرج طلبا واحدا؛ فلمّا تراءى الجمعان حملت ميسرة التّتار حملة واحدة و صدموا سنجق الملك الظاهر، و دخلت طائفة منهم بينهم، و شقّوا الميسرة و ساقوا إلى الميمنة؛ فلمّا رأى الملك الظاهر ذلك أردفهم بنفسه، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد أتت عليها ميمنة التّتار، فأمر الملك الظاهر جماعة من أصحابه الشّجعان بإردافها، ثم حمل هو بنفسه- رحمه اللّه- فلمّا رأته العساكر حملت نحوه برمّتها حملة رجل واحد، فترجّل التّتار عن خيولهم و قاتلوا قتال الموت فلم يغن عنهم ذلك شيئا، و صبر لهم الملك الظاهر و عسكره و هو يكرّ فى القوم كالأسد الضّارى و يقتحم الأهوال بنفسه و يشجّع أصحابه و يطيّب لهم الموت فى الجهاد إلى أن أنزل اللّه تعالى نصره عليه، و انكسر التّتار أقبح كسرة و قتلوا و أسروا و فرّ من نجا منهم، فاعتصموا بالجبال فقصدتهم العساكر الإسلاميّة و أحاطوا بهم، فترجّلوا عن خيولهم و قاتلوا فقتل منهم جماعة كثيرة، و قتل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۹

ممّن قاتلهم من عساكر المسلمين الأمير ضياء الدين [محمود] بن الخطير، و كان من الشّجعان الفرسان، و الأمير شرف الدين قيران العلائىّ، و الأمير عزّ الدين أخو المحمّدىّ، و سيف الدين قفجاق الجاشنكير، و الأمير [عز الدين] أيبك الشّقيفىّ- رحمهم اللّه تعالى و أسكنهم الجنّة-. و أسر من كبار الروميّين مهذّب الدين ابن معين الدين البرواناه، و ابن بنت معين الدين المذكور، و الأمير نور الدين جبريل [بن جاجا]، و الأمير قطب الدين محمود أخو مجد الدين الأتابك، و الأمير سراج الدين إسماعيل [بن جاجا]، و الأمير سيف الدين سنقر جاه الزّوباشىّ، و الأمير نصرة الدين بهمن أخو تاج الدين كيوى (يعنى الصهر) صاحب سيواس، و الأمير كمال الدين إسماعيل عارض الجيش، و الأمير حسام الدين كاوك، و الأمير سيف الدين بن الجاويش، و الأمير شهاب الدين غازى بن على شير التّركمانى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۱۶۹

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۰

فوبّخهم السلطان الملك الظاهر من كونهم قاتلوه فى مساعدة التتار الكفرة، ثم سلّمهم لمن احتفظ بهم. و أسر من مقدّمى التّتار على الألوف و المئين بركة صهر أبغا بن هولاكو ملك التّتار، و سرطق، و خيز كدوس و سركده و تماديه. و لمّا أسر من أسر و قتل من قتل نجا البرواناه و ساق حتّى دخل قيصريّة يوم الأحد ثانى عشر ذى القعدة و اجتمع بالسلطان غياث الدين، و الصاحب فخر الدين، و الأتابك مجد الدين، و الأمير جلال الدين المستوفى، و الأمير بدر الدين ميكائيل النائب فأخبرهم بالكسرة، و قال لهم: إنّ التّتار المنهزمين متى دخلوا قيصريّة فتكوا بمن فيها حنقا على المسلمين، و أشار عليهم بالخروج منها فخرج السلطان غياث الدين بأهله و ماله إلى توقات و بينها و بين قيصريّة أربعة أيام. و عملت شعراء الإسلام فى هذه الوقعة عدّة قصائد و مدائح، من ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثناء محمود كاتب الدّرج قصيدته التى أوّلها:

كذا فلتكن فى اللّه تمضى العزائم و إلّا فلا تجفو الجفون الصّوارم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۱

عزائم حاذتها الرياح فأصبحت مخلّفة تبكى عليها الغمائم

سرت من حمى مصر إلى الروم فاحتوت عليه [و] سوراه الظّبا و اللهاذم

بجيش تظلّ الأرض منه كأنّها على سعة الأرجاء فى الضّيق خاتم

كتائب كالبحر الخضمّ جيادها إذا ما تهادت موجه المتلاطم

تحيط بمنصور اللّواء مظفّر له النّصر و التأبيد عبد و خادم

مليك يلوذ الدين من عزمايه بركن له الفتح المبين دعائم

مليك لأبكار الأقاليم نحوه حنين كذا تهوى الكرام الكرائم

فكم وطئت طوعا و كرها جياده معاقل قرطاها السّها و النعائم

مليك به للدين فى كلّ ساعة بسائر للكفّار منها مآتم

جلاحين أقذى [ناظر] الكفر للهدى ثغورا بكى الشيطان و هى بواسم

إذا رام شيئا لم يعقه لبعدها و شقّتها عنه الإكام الطّواسم

فلو نازع النّسرين أمرا لناله و ذا واقع عجزا و ذا بعد حائم

و لمّا رمى الروم المنيع بخيله و من دونه سدّ من الصخر عاصم

يروم عقاب الجوّ قطع عقابه إليه فلا تقوى عليها القوادم

و منها:

و سالت عليهم أرضهم بمواكب لها النّصر طوع و الزمان مسالم

أدارت بهم سورا منيعا مشرّفا بسمر العوالى ما له الدهر هادم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ١٧٢

من التّرك أمّا فى المغانى فإنّهم شموس و أما فى الوغى فضراغم

غدا ظاهرا بالظاهر النصر فيهم تبيد الليالى و العدا و هو دائم

فأهووا إلى لئم الأسنّة فى الوغى كأنّهم العشّاق و هى المباسم

و صافحت البيض الصّفاح رقابهم و عانقت السّمر القدود النواعم

فكم حاكم منهم على ألف دارع غدا حاسرا و الرمح [فى] فيه حاكم

و كم ملك منهم رأى و هو موثق خزائن ما يحويه و هى غنائم

و منها:

فلا زلت منصور اللّواء مؤيّدا على الكفر ما ناحت و أبكت حمائم

ثم جرّد الملك الظاهر الأمير سنقر الأشقر لإدراك ما فات من التّرك و التوجّه إلى قيصريّة، و كتب معه كتابا بتأمين أهلها و إخراج الأسواق و التعامل بالدراهم الظاهريّة. ثم رحل الملك الظاهر بكرة السبت حادى عشر ذى القعدة قاصدا قيصريّة، فمرّ فى طريقه بقرية أهل الكهف ثم إلى قلعة سمندو فنزل إليه و اليها مذعنا للطاعة، ثم سار إلى قلعة درندة و قلعة فالو ففعل متولّيها كذلك، ثم نزل بقرية من قرى قيصريّة فبات بها، فلمّا أصبح رتّب عساكره و خرج أهل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ١٧٣

قيصريّة بأجمعهم مستبشرين بلقائه، و كانوا لنزوله نصبوا الخيام بوطاة، فلمّا قرب الظاهر منها ترجّل وجوه الناس على طبقاتهم و مشوا بين يديه إلى أن وصلها.

فلمّا كان يوم الجمعة سابع عشر الشهر ركب السلطان للجمعة، فدخل قيصريّة و نزل دار السلطنة و جلس على التّخت و حضر بين يديه القضاة و الفقهاء و الصوفيّة و القرّاء و جلسوا فى مراتبهم على عادة ملوك السّلجوقيّة، فأقبل عليهم السلطان و مدّ لهم سماطا فأكلوا و انصرفوا، ثمّ حضر الجمعة بالجامع و خطب له، و حضّر بين يديه الدراهم التى ضربت له باسمه. و كتب إليه البرواناه يهنّئه بالجلوس

على تخت الملك بقيصريّة، فكتب الملك الظاهر إليه بعوده ليولّيه مكانه، فكتب إليه يسأله أن ينتظره خمسة عشر يوما، و كان مراد البرواناه أن يصل أبغا و يحثّه على المسير ليدرك الملك الظاهر بالبلاد، فاجتمع تتاوون بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر و عرّفه مكر البرواناه فى ذلك، فكان ذلك سببا لرحيل الملك الظاهر عن قيصريّة مع ما انضاف إلى ذلك من قلق العساكر؛ فرحل يوم الاثنين، و كان على اليزك عزّ الدين أيبك الشّيخىّ، و كان الملك الظاهر ضربه بسبب سبقه الناس فغضب و هرب إلى التّتار.

و كان أولاد قرمان قد رهنوا أخاهم الصغير علىّ بك بقيصريّة، فأخرجه الملك الظاهر و أنعم عليه، و سأل السلطان فى تواقيع و سناجق له و لإخوته فأعطاه، و توجّه نحو إخوته بجبل لارندة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۴

و عاد السلطان و أخذ فى عوده أيضا عدّة بلاد إلى أن وصل مكان المعركة يوم السبت، فرأى القتلى، فسأل عن عدّتهم فأخبر أنّ المغل خاصّة ستة آلاف و سبعمائة و سبعون نفسا؛ ثم رحل حتّى وصل أقجا دربند، بعث الخزائن و الدّهليز و السناجق صحبة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار ليعبر بها الدّربند، و أقام السلطان فى ساقة العسكر بقيّة اليوم و يوم الأحد، و رحل يوم الاثنين فدخل الدّربند.

ثم سار إلى أن وصل دمشق فى سابع المحرّم سنة ست و سبعين و ستمائة، و نزل بالجوسق المعروف بالقصر الأبلق جوار الميدان الأخضر و تواترت عليه الأخبار بوصول أبغا ملك التّتار إلى مكان الوقعة، فجمع السلطان الأمراء و ضرب مشورة، فوقع الاتفاق على الخروج من دمشق بالعساكر و تلقّيه حيث كان، فأمر الملك الظاهر بضرب الدّهليز على القصير، و فى أثناء ذلك وصل رجل من التّركمان و أخبر أنّ أبغا عاد إلى بلاده هاربا خائفا؛ ثمّ وصل الأمير سابق الدين بيسرى أمير مجلس الملك الناصر صلاح الدين، و هو غير بيسرى الكبير، و أخبر بمثل ما أخبر التركمانىّ، فعند ذلك أمر الملك الظاهر بردّ الدّهليز إلى الشام. و كان عود أبغا من ألطاف اللّه تعالى بالمسلمين، فإنّ الملك الظاهر فى يوم الجمعة نصف المحرّم من سنة ست و سبعين ابتدأ به مرض الموت.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۵

ذكر مرض الملك الظاهر و وفاته

لمّا كان يوم الخميس رابع عشر المحرّم سنة ستّ و سبعين و ستمائة جلس الملك الظاهر بالجوسق الأبلق بميدان دمشق يشرب القمزّ و بات على هذه الحالة، فلمّا كان يوم الجمعة خامس عشره وجد فى نفسه فتورا و توعّكا فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر الألفىّ السلحدار فأشار عليه بالقىء، فاستدعاه فاستعصى عليه القىء، فلمّا كان بعد صلاة الجمعة ركب من الجوسق إلى الميدان على عادته، و الألم مع ذلك يقوى عليه، و عند الغروب عاد إلى الجوسق. فلمّا أصبح اشتكى حرارة فى باطنه فصنع له بعض خواصّه دواء، و لم يكن عن رأى طبيب فلم ينجع و تضاعف ألمه، فأحضر الأطبّاء فأنكروا استعماله الدواء، و أجمعوا على استعمال دواء مسهل فسقوه فلم ينجع، فحرّكوه بدواء آخر كان سبب الإفراط فى الإسهال و دفع دما، فتضاعفت حمّاه و ضعفت قواه، فتخيّل خواصّه أنّ كبده يتقطّع و أنّ ذلك عن سمّ سقيه فعولج بالجوهر، و أخذ أمره فى انحطاط، و جهده المرض و تزايد به إلى أن قضى نحبه يوم الخميس بعد صلاة الظهر الثامن و العشرين من المحرّم، فاتّفق رأى الأمراء على إخفائه و حمله إلى القلعة لئلّا تشعر العامّة بوفاته، و منعوا من هو داخل من المماليك من الخروج و من هو خارج منهم من الدخول. فلمّا كان آخر الليل حمله من كبار الأمراء سيف الدين قلاوون الألفىّ و شمس الدين سنقر الأشقر، و بدر الدين بيسرى، و بدر الدين بيليك الخازندار، و عزّ الدين آقوس الأفرم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۶

و عزّ الدين أيبك الحموى، و شمس الدين سنقر الألفىّ الظاهرى، و علم الدّين سنجر الحمويّ أبو خرص، و جماعة من أكابر خواصّه. و تولّى غسله و تحنيطه و تصبيره و تكفينه مهتاره الشّجاع عنبر، و الفقيه كمال الدين الإسكندرى المعروف بابن المنبجىّ، و الأمير عز

الدين الأفرم؛ ثم جعل فى تابوت و علّق فى بيت من بيوت البحريّة بقلعة دمشق إلى أن حصل الاتّفاق على موضع دفنه. ثم كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار إلى ولده الملك السعيد مطالعة بيده و سيّرها إلى مصر على يد بدر الدين بكتوت الجوكندارىّ الحموىّ، و علاء الدين أيدغمش الحكيمىّ الجاشنكير، فلمّا وصلا و أوصلاه المطالعة خلع عليهما و أعطى كلّ واحد منهما خمسين ألف درهم، على أنّ ذلك بشارة بعود السلطان إلى الديار المصريّة. و لمّا كان يوم السبت ركب الأمراء إلى سوق الخيل بدمشق على عادتهم و لم يظهروا شيئا من زىّ الحزن. و كان أوصى أن يدفن على الطريق السالكة قريبا من داريّا و أن يبنى عليه هناك، فرأى ولده الملك السعيد أن يدفنه داخل السور، فابتاع دار العقيقىّ بثمانية و أربعين ألف درهم نقرة، و أمر أن تغيّر معالمها و تبنى مدرسة [للشافعية و الحنفية]: انتهى.

و أمّا الملك السعيد فإنّه جهّز الأمير علم الدين سنجر الحموى المعروف بأبى خرص، و الطواشى صفىّ الدين جوهر الهندىّ إلى دمشق لدفن والده الملك الظاهر، فلمّا وصلاها اجتمعا بالأمير عز الدين أيدمر نائب السلطنة بدمشق، و عرّفاه المرسوم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۷

فبادر إليه، و حمل الملك الظاهر من القلعة إلى التّربة ليلا على أعناق الرجال، و دفن بها ليلة الجمعة خامس شهر رجب الفرد، و كان قد ظهر موته بدمشق فى يوم السبت رابع عشر صفر، و شرع العمل فى أعزيته بالبلاد الشاميّة و الديار المصريّة.

قال الأمير بيبرس الدّوادار فى تاريخه- و هو أعرف بأحواله من غيره- قال: و كان القمر قد كسف كسوفا كاملا أظلم له الجوّ و تأوّل ذلك المتأولّون بموت رجل جليل القدر؛ فقيل: إنّ الملك الظاهر لمّا بلغه ذلك حذر على نفسه و خاف و قصد أن يصرف التأويل إلى غيره لعلّه يسلم من شرّه، و كان بدمشق شخص من أولاد الملوك الأيّوبيّة، و هو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ابن السلطان الملك المعظّم عيسى ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيّوب، فأراد الظاهر، على ما قيل، اغتياله بالسمّ، فأحضره فى مجلس شرابه فأمر الساقى أن يسقيه قمزّا ممزوجا، فيما يقال، بسمّ، فسقاه الساقى تلك الكأس فأحسّ به و خرج من وقته، ثم غلط الساقى و ملأ الكأس المذكورة و فيها أثر السمّ، و وقعت الكأس فى يد الملك الظاهر فشربه، فكان من أمره ما كان. انتهى كلام بيبرس الدّوادار باختصار.

قلت: و هذا القول مشهور و أظنّه هو الأصحّ فى علّة موته، و اللّه أعلم.

و كانت مدّة ملكه تسع عشرة سنة و شهرين و نصفا، و ملك بعده ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد المعروف ببركة خان؛ و كان تسلطن فى حياته من مدّة سنين حسب ما تقدّم ذكره.

و كان الملك الظاهر رحمه اللّه ملكا شجاعا مقداما غازيا مجاهدا مرابطا خليقا بالملك خفيف الوطأة سريع الحركة يباشر الحروب بنفسه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۸

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ فى تاريخه بعد ما أثنى عليه: «و كان خليقا بالملك لو لا ما كان فيه من الظّلم، و اللّه يرحمه و يغفر له، فإنّ له أياما بيضا فى الإسلام و مواقف مشهورة و فتوحات معدودة». انتهى كلام الذهبى باختصار.

و قال الشيخ قطب الدين اليونينىّ فى الذّيل على مرآة الزمان فى موت الملك الظاهر هذا نوعا ممّا قاله الأمير بيبرس الدّاوادار لكنّه زاد أمورا نحكيها، قال:

حكى لى ابن شيخ السلامية عن الأمير أزدمر العلائىّ نائب السلطنة بقلعة صفد قال: كان الملك الظاهر مولعا بالنجوم و ما يقوله أرباب التقاويم، كثير البحث عن ذلك، فأخبر أنّه يموت فى سنة ستّ و سبعين ملك بالسمّ، فحصل عنده من ذلك أثر كبير، و كان عنده حسد شديد لمن يوصف بالشجاعة، و اتّفق أنّ الملك القاهر عبد الملك بن المعظّم عيسى الآتى ذكره لمّا دخل مع الملك الظاهر إلى الروم، و كان يوم المصافّ، فدام الملك القاهر فى القتال فتأثّر الظاهر منه، ثم انضاف إلى ذلك أنّ الملك الظاهر حصل منه فى

ذلك اليوم فتور على خلاف العادة، و ظهر عليه الخوف و النّدم على تورّطه فى بلاد الروم، فحدّثه الملك القاهر عبد الملك المذكور بما فيه نوع من الإنكار عليه و التّقبيح لأفعاله، فأثّر ذلك عنده أثرا آخر.

فلمّا عاد الظاهر من غزوته سمع الناس يلهجون بما فعله الملك القاهر، فزاد على ما فى نفسه و حقد عليه، فخيّل فى ذهنه أنّه إذا سمّه كان هو الذى ذكره أرباب النجوم، فأحضره عنده ليشرب القمزّ معه، و جعل الذى أعدّه له من السمّ فى ورقة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۹

فى جيبه من غير أن يطّلع على ذلك أحد، و كان للسلطان هنّيا بات ثلاثة مختصّة به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها إلّا من يكرمه السلطان، فأخذ الملك الظاهر الكأس بيده و جعل فيه ما فى الورقة خفية، و أسقاه للملك القاهر و قام الملك الظاهر إلى الخلاء و عاد، فنسى الساقى و أسقى الملك الظاهر فيه و فيه بقايا السمّ. انتهى كلام قطب الدين.

و خلّف الملك الظاهر من الأولاد: الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان.

و مولده فى صفر سنة ثمان و خمسين و ستمائة بضواحى مصر، و أمّه بنت الأمير حسام الدين بركة خان بن دولة خان الخوارزميّ. و الملك [نجم الدين] خضرا، أمّه أم ولد. و الملك بدر الدين سلامش. و ولد له من البنات سبع. و أما زوجاته فأمّ الملك السعيد بنت بركة خان، و بنت الأمير سيف الدين نوكاى التّتاريّ، و بنت الأمير سيف الدين كراى التّتاريّ، و بنت الأمير سيف نوغاى التّتاريّ، و شهرزوريّة تزوّجها لمّا قدم غزّة و حالف الشّهرزوريّة قبل سلطنته، فلما تسلطن طلّقها.

و أمّا وزراؤه- لمّا تولى السلطنة استمرّ زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزّبير، ثم صرفه و استوزر الصاحب بهاء الدّين علىّ بن محمد بن سليم بن حنّا. و كان للملك الظاهر أربعة آلاف مملوك مشتريات أمراء و خاصّكيّة و أصحاب وظائف.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۰

و أمّا سيرته و أحكامه و شرف نفسه حكى: أنّ الأشرف صاحب حمص كتب إليه يستأذنه فى الحجّ، و فى ضمن الكتاب شهادة عليه أنّ جميع ما يملكه انتقل عنه إلى الملك الظاهر، فلم يأذن له الملك الظاهر فى تلك السنة غضبا منه لكونه كتب ذلك، و اتّفق أنّ الأشرف مات بعد ذلك فتسلّم الملك الظاهر حصونه التى كانت بيده و لم يتعرّض للتركة، و مكّن ورثته من الموجود و الأملاك، و كان شيئا كثيرا إلى الغاية، و دفع الملك الظاهر إليهم الشهادة و قد تجنّبوا التّركة لعلمهم بالشهادة.

و منها أن شعرا بانياس و هى إقليم يشتمل على أرض كثيرة عاطلة بحكم استيلاء الفرنج على صفد، فلمّا افتتح صفد أفتاه بعض العلماء باستحقاق الشعرا فلم يرجع إلى الفتيا، و تقدّم أمره أنّ من كان له فيها ملك قديم فليتسلّمه.

و أمّا صدقاته فكان يتصدّق فى كلّ سنة بعشرة آلاف إردب قمح فى الفقراء و المساكين و أرباب الزوايا، و كان يرتّب لأيتام الأجناد ما يقوم بهم على كثرتهم، و وقف وقفا على تكفين أموات الغرباء بالقاهرة و مصر، و وقفا ليشترى به خبز و يفرّق فى فقراء المسلمين، و أصلح قبر خالد بن الوليد- رضى اللّه عنه- بحمص، و وقف وقفا على من هو راتب فيه من إمام و مؤذّن و غير ذلك، و وقف على قبر أبى عبيدة بن الجرّاح- رضى اللّه عنه- وقفا مثل ذلك، و أجرى على أهل الحرمين و الحجاز و أهل بدر و غيرهم ما كان انقطع فى أيّام غيره من الملوك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۱

و أمّا عمائره: المدارس و الجوامع و الأسبلة و الأربطة فكثيرة، و غالبها معروفة به، و كان يخرج كلّ سنة جملة مستكثرة يستفكّ بها من حبسه القاضى من المقلّين، و كان يرتّب فى أوّل شهر رمضان بمصر و القاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة، و تفرّق على الفقراء و المساكين.

و أمّا حرمته و مهابته، منها: أنّ يهوديا دفن بقلعة جعبر عند قصد التّتار لها مصاغا و ذهبا و هرب بأهله إلى الشام و استوطن حماة، فلمّا أمن كتب إلى صاحب حماة يعرّفه و يسأله أن يسيّر معه من يحفظه ليأخذ خبيئته و يدفع لبيت المال نصفه، فطالع صاحب حماة الملك الظاهر بذلك، فردّ عليه الجواب أنّه يوجّهه مع رجلين ليقضى حاجته؛ فلّما توجهوا مع اليهودىّ و وصلوا إلى الفرات امتنع من كان معه

من العبور فعبر اليهودىّ وحده، فلمّا وصل و أخذ فى الحفر هو و ابنه و إذا بطائفة من العرب على رأسه، فسألوه عن حاله فأخبرهم، فأرادوا قتله و أخذ المال، فأخرج لهم كتاب الملك الظاهر مطلقا إلى من عساه يقف عليه، فلمّا رأوا المرسوم كفّوا عنه و ساعدوه حتّى استخلص ماله. ثم توجّهوا به إلى حماة و سلّموه إلى صاحب حماة، و أخذوا خطّه بذلك.

و منها: أنّ جماعة من التّجّار خرجوا من بلاد العجم قاصدين مصر، فلمّا مرّوا بسيس منعهم صاحبها من العبور، و كتب إلى أبغا ملك التّتار، فأمره أبغا بالحوطة عليهم و إرسالهم إليه، و بلغ الملك الظاهر خبرهم، فكتب إلى نائب حلب بأن يكتب إلى نائب سيس، إن هو تعرّض لهم بشىء يساوى درهما واحدا أخذت عوضه مرارا، فكتب إليه نائب حلب بذلك فأطلقهم، و صانع أبغا بن هولاكو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۲

على ذلك بأموال جليلة حتّى لا يخالف مرسوم الظاهر، و هو تحت حكم غيره لا تحت حكم الظاهر.

و منها: أن تواقيعه التى كانت بأيدى التّجار المتردّدين إلى بلاد القبجاق [بإعفائهم من الصادر و الوارد] كان يعمل بها حيث حلّوا من مملكة بركة خان و منكوتمر و بلاد فارس و كرمان.

و منها: أنّه أعطى بعض التّجّار مالا ليشترى به مماليك و جوارى من التّرك فشرهت نفس التاجر فى المال فدخل به قراقوم من بلاد التّرك و استوطنها، فوقع الملك الظاهر على خبره، فبعث إلى منكوتمر فى أمره فأحضروه إليه تحت الحوطة إلى مصر. و له أشياء كثيرة من ذلك.

و كان الملك الظاهر يحبّ أن يطّلع على أحوال أمرائه و أعيان دولته حتى لم يخف عليه من أحوالهم شىء. و كان يقرّب أرباب الكمالات من كلّ فنّ و علم. و كان يميل إلى التاريخ و أهله ميلا زائدا و يقول: سماع التاريخ أعظم من التجارب.

و كانت ترد عليه الأخبار و هو بالقاهرة بحركة العدوّ، فيأمر العسكر بالخروج و هم زيادة على ثلاثين ألف فارس، فلا يبيت منهم فارس فى بيته، و إذا خرج من القاهرة لا يمكّن من العود إليها ثانيا.

قلت: كان الملك الظاهر- رحمه اللّه- يسير على قاعدة ملوك التّتار و غالب أحكام چنكز خان من أمر «اليسق و التّورا»، و اليسق: هو الترتيب، و التّورا:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۳

المذهب باللغة التركية؛ و أصل لفظة اليسق: سى يسا، و هى لفظة مركبة من كلمتين صدر الكلمة: سى بالعجمى، و عجزها يسا بالتركىّ، لأنّ سى بالعجمى ثلاثة، و يسا بالمغلىّ الترتيب، فكأنّه قال: التراتيب الثلاثة. و سبب هذه الكلمة أنّ چنكز خان ملك المغل كان قسّم ممالكه فى أولاده الثلاثة، و جعلها ثلاثة أقسام، و أوصاهم بوصايا لم يخرجوا عنها التّرك إلى يومنا هذا، مع كثرتهم و اختلاف أديانهم، فصاروا يقولون: سى يسا (يعنى التراتيب الثلاثة التى رتّبها چنكز خان)، و قد أوضحنا هذا فى غير هذا الكتاب بأوسع من هذا. انتهى. فصارت التّرك يقولون: «سى يسا» فثقل ذلك على العامّة فحرّفوها على عادة تحاريفهم، و قالوا: سياسة. ثم إنّ التّرك أيضا حذفوا صدر الكلمة، فقالوا: يسا مدّة طويلة، ثم قالوا: يسق، و استمرّ ذلك إلى يومنا هذا. انتهى.

قلت: و الملك الظاهر هذا هو الذى ابتدأ فى دولته بأرباب الوظائف من الأمراء و الأجناد، و إن كان بعضها قبله فلم تكن على هذه الصّيغة أبدا؛ و أمثّل لذلك مثلا فيقاس عليه، و هو أنّ الدّوادار كان قديما لا يباشره إلا متعمّم يحمل الدّواة و يحفظها. و أمير مجلس هو الذى كان يحرس مجلس قعود السلطان و فرشه.

و الحاجب هو البوّاب الآن، لكونه يحجب الناس عن الدخول؛ و قس على هذا.

فجاء الملك الظاهر جدّد جماعة كثيرة من الأمراء و الجند و رتّبهم فى وظائف:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۴

كالدّوادار و الخازندار و أمير آخور و السّراخور و السّقاة و الجمداريّة و الحجّاب و رءوس النّوب و أمير سلاح و أمير مجلس و أمير

شكار.

فأمّا موضوع أمير سلاح فى أيّام الملك الظاهر فهو الذى كان يتحدّث على السّلاح داريّة، و يناول السلطان آلة الحرب و السّلاح فى يوم القتال و غيره، مثل يوم الأضحى و ما أشبهه. و لم يكن إذ ذاك فى هذه المرتبة (أعنى الجلوس رأس ميسرة السلطان)، و إنّما هذا الجلوس كان إذ ذاك مختصّا بأطابك. ثم بعده فى الدولة الناصريّة محمد بن قلاوون برأس نوبة الأمراء كما سيأتى ذكره فى محلّه. و تأييد ذلك يأتى فى أوّل ترجمة الملك الظاهر برقوق، فإنّ برقوق نقل أمير سلاح قطلوبغا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۵

الكوكائىّ إلى حجوبيّة الحجّاب. و أمير مجلس كان موضوعها فى الدولة الظاهريّة بيبرس يتحدّث على الأطبّاء و الكحّالين و المجبّرين، و كانت وظيفة جليلة أكبر قدرا من أمير سلاح.

و أمّا الدّوادارّية فكانت وظيفة سافلة. كان الذى يليها أوّلا غير جندى، و كانت نوعا من أنواع المباشرة، فجعلها الملك الظاهر بيبرس على هذه الهيئة، غير أنّه كان الذى يليها أمير عشرة. و معنى دوادار باللغة العجمية: ماسك الدّواة، فإنّ لفظة «دار» بالعجمىّ: ماسك، لا ما يفهمه عوامّ المصريّين أنّ دارا هى الدار التى يسكن فيها، كما يقولون فى حقّ الزّمام: زمام الآدر؛ و صوابه زمام دار. و أوّل من أحدث هذه الوظيفة ملوك السّلجوقيّة. و الجمدار، الجمى هى البقجة باللغة العجمية، و دار تقدّم الكلام عليه، فكأنّه قال: ماسك البقجة التى للقماش. و قس على هذا فى كلّ لفظ يكون فيه دار من الوظائف.

و أمّا رأس نوبة فهى عظيمة عند التّتار، و يسمّون الذى يليها «يسوول» بتفخيم السين. و الملك الظاهر أوّل من أحدثها فى مملكة مصر. و الأمير آخور أيضا وظيفة عظيمة؛ و المغل تسمى الذى يليها «آق طشى». و أمير آخور لفظ مركب من فارسى و عربى، فأمير معروف و آخور هو اسم المذود بالعجمىّ، فكأنّه يقول:

أمير المذود الذى يأكل فيه الفرس. و كذلك السلاخورى و غيره؛ مما أحدثها الملك الظاهر أيضا.

و أمّا الحجوبيّة فوظيفة جليلة فى الدولة التركيّة، و ليس هى الوظيفة التى كان يليها حجبة الخلفاء، فأولئك كانوا حجبة يحجبون الناس عن الدخول على الخليفة، ليس من شأنهم الحكم بين الناس و الأمر و النهى؛ و هى ممّا جدده الملك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۶

الظاهر بيبرس، لكنها عظمت فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون حتّى عادلت النّيابة.

و أمّا ما عدا ذلك من الوظائف فأحدثها الملك الناصر محمد بن قلاوون كما سيأتى بيانه فى تراجمه الثلاث من هذا الكتاب، بعد أن جدّد والده الملك المنصور قلاوون وظائف أخر كما سيأتى ذكره أيضا فى ترجمته على ما شرطناه فى هذا الكتاب من أنّ كلّ من أحدث شيئا عزيناه له. و ممّا أحدثه الملك الظاهر أيضا البريد فى سائر ممالكه، بحيث إنّه كان يصل إليه أخبار أطراف بلاده على اتّساع مملكته فى أقرب وقت.

و أمّا ما افتتحه من البلاد و صار إليه من أيدى المسلمين فعدّة بلاد و قلاع.

و الذى افتتحه من أيدى الفرنج- خذلهم اللّه-: قيساريّة، و أرسوف، و صفد، و طبريّة، و يافا، و الشّقيف، و أنطاكية، و بغراس، و القصير، و حصن الأكراد و عكّار، و القرين، و صافيثا، و مرقيّة. و ناصفهم على المرقب و بانياس و بلاد أنطرطوس و على سائر ما بقى فى أيديهم من البلاد و الحصون و غيرها. و استعاد من صاحب سيس دربساك، و دركوش، و رعبان، و المرزبان و بلادا أخر. و الذى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۷

صار إليه من أيدى المسلمين: دمشق و بعلبك و عجلون و بصرى و صرخد و الصّلت، و كانت هذه البلاد التى تغلّب عليها الأمير علم الدين سنجر الحلبى بعد موت الملك المظفّر قطز، لما تسلطن بدمشق و تلقّب بالملك المجاهد. انتهى. و حمص، و تدمر، و الرّحبة، و دلويا، و تلّ باشر، و هذه البلاد انتقلت إليه عن الملك الأشرف صاحب حمص فى سنة اثنتين و ستين و ستمائة. و صهيون و بلاطنس،

و برزيه، و هذه منتقلة إليه عن الأمير سابق الدين سليمان بن سيف الدين أحمد و عمّه عزّ الدين.

و حصون الإسماعيليّة و هى: الكهف، و القدموس، و المينقة، و العلّيقة، و الخوابى، و الرّصافة، و مصياف، و القليعة. و أمّا انتقل إليه عن الملك المغيث ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب: الشّوبك، و الكرك.

و ما انتقل إليه عن التّتار: بلاد حلب الشماليّة بأسرها، و شيزر، و البيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۸

و فتح اللّه على يديه بلاد النّوبة، و فيها من البلاد ممّا يلى أسوان جزيرة بلاق؛ ويلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۹

هذه البلاد بلاد العلى و جزيرة ميكائيل؛ و فيها بلاد و جزائر الجنادل و هى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۰

أيضا بلاد، و لمّا فتحها أنعم بها على ابن عمّ المأخوذة منه، ثم ناصفه عليها، و وضع عليه عبيدا و جوارى و هجنا و بقرا، و عن كلّ بالغ من رعيّته دينارا فى كلّ سنة.

و كانت حدود مملكة الملك الظاهر من أقصى بلاد النّوبة إلى قاطع الفرات. و وفد عليه من التّتار زهاء عن ثلاثة آلاف فارس، فمنهم من أمره طبلخاناه، و منهم من جعله أمير عشرة إلى عشرين، و منهم من جعله من السّقاة، ثم جعل منهم سلحداريّة و جمداريّة و منهم من أضافه إلى الأمراء.

و أمّا مبانيه فكثيرة منها ما هدمه التّتار من المعاقل و الحصون. و عمّر بقلعة الجبل دار الذهب، و برحبة الحبارج قبّة عظيمة محمولة على اثنى عشر عمودا من الرخام الملوّن، و صور فيها سائر حاشيته و أمرائه على هيئتهم، و عمّر بالقلعة أيضا طبقتين مطلّتين على رحبة الجامع و أنشأ برج الزاوية المجاورة لباب القلعة، و أخرج منه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۱

رواشن، و بنى عليه قبّة و زخرف سقفها، و أنشأ جواره طباقا للمماليك أيضا.

و أنشأ برحبة باب القلعة دارا كبيرة لولده الملك السعيد، و كان فى موضعها حفير فعقد عليه ستة عشر عقدا، و أنشأ دورا كثيرة بظاهر القاهرة [ممّا يلى القلعة و إصطبلات] برسم الأمراء، فإنّه كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافة من حواشيه على الرعيّة.

و أنشأ حمّاما بسوق الخيل لولده الملك السعيد، و أنشأ الجسر الأعظم و القنطرة التى على الخليج، و أظنّها قنطرة السّباع، و أنشأ الميدان بالبورجى و نقل إليه النخيل بالثمن الزائد من الديار المصريّة، فكانت أجرة نقله ستة عشر ألف دينار، و أنشأ به

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۲

المناظر و القاعات و البيوتات. و جدّد جامع الأنور (أعنى جامع الظافر العبيدىّ) المعروف الآن بجامع الفاكهيّين و الجامع الأزهر، و بنى جامع العافية بالحسينيّة و أنفق عليه فوق الألف ألف درهم، و أنشأ قريبا منه زاوية الشيخ خضر و حمّاما و طاحونا و فرنا و عمّر بالمقياس قبّة رفيعة [مزخرفة]، و أنشأ عدّة جوامع بالديار المصريّة؛ و جدّد قلعة الجزيرة، و قلعة العمودين ببرقة، و قلعة السّويس، و عمّر جسرا بالقليوبيّة، و القناطر على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۳

بحر أبى المنجّا و قنطرة بمنية السّيرج، و قنطرتين عند القصير على بحر إبراش بسبعة أبواب مثل قنطرة بحر أبى المنجّا، و أنشأ فى الجسر الذى يسلك فيه إلى دمياط ستّ عشرة قنطرة، و بنى على خليج الإسكندرية قريبا من قنطرتها [القديمة] قنطرة عظيمة بعقد واحد، و حفر خليج الإسكندرية و كان قد ارتدم بالطّين، و حفر بحر أشموم، و كان قد عمى، و حفر ترعة الصلاح و خورسخا و حفر المحامدى و الكافورى، و حفر فى ترعة أبى الفضل ألف قصبة، و حفر بحر الصّمصام بالقليوبيّة، و حفر بحر سردوس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۴

و تمّم عمارة حرم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و عمل منبره، و جعل بالضريح النّبوىّ درابزينا، و ذهّب سقوفه و جدّدها و بيّض حيطانه؛ و جدّد البيمارستان بالمدينة النبويّة، و نقل إليه سائر المعاجين و الأكحال و الأشربة، و بعث إليه طبيبا [من الديار المصريّة].

و جدّد فى الخليل عليه السلام قبّته، و رمّ شعثه و أصلح أبوابه [و ميضأته] و بيّضه و زاد فى راتبه. و جدّد بالقدس الشريف ما كان قد تهدّم من [قبّة] الصخرة، و جدّد قبّة السلسلة و زخرفها و أنشأ بها خانا للسبيل، نقل بابه من دهليز كان للخلفاء المصريّين بالقاهرة، و بنى به مسجدا و طاحونا و فرنا و بستانا. و بنى على قبر موسى عليه السلام قبّة و مسجدا، و هو عند الكثيب الأحمر قبلى أريحا و وقف عليه وقفا. و جدّد بالكرك برجين كانا صغيرين فهدمهما و غيّرهما. و وسّع عمارة مشهد جعفر الطيّار- رضى اللّه عنه- و وقف عليه وقفا زيادة على وقفه على الزائرين له و الوافدين عليه. و عمر جسرا بقرية دامية بالغور على نهر الشّريعة، و وقف عليه وقفا برسم ما عساه يتهدّم منه. و أنشأ جسورا كثيرة بالغور و الساحل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۵

و أنشأ قلعة قاقون و بنى بها جامعا و وقف عليه وقفا، و بنى على طريقها حوضا للسبيل. و جدّد جامع مدينة الرملة، و أصلح جامعا لبنى أميّة و وقف عليه وقفا.

و عدّة جوامع و مساجد بالساحل.

و جدّد باشورة لقلعة صفد و أنشأها بالحجر الهرقلىّ، و عمّر لها أبراجا و بدنات، و صنع بغلات مصفّحة دائر الباشورة بالحجر المنحوت، و أنشأ بالقلعة صهريجا كبيرا مدرّجا من أربع جهاته، و بنى عليه برجا زائد [الارتفاع]، قيل إن ارتفاعه مائة ذراع، و بنى تحت البرج حمّاما، و صنع الكنيسة جامعا و أنشأ رباطا ثانيا، و بنى حمّاما و دارا لنائب السلطنة.

و كانت قلعة الصّبيبة قد أخربها التّتار، و لم يبقوا منها إلّا الآثار فجدّدها، و أنشأ لجامعها منارة، و بنى بها دارا لنائب السلطنة، و عمل جسرا يمشى عليه إلى القلعة.

و كان التّتار قد هدموا شراريف قلعة دمشق، و رءوس أبراجها، فجدّد ذلك كلّه، و بنى فوق برج الزاوية المطلّ على الميادين و سوق الخيل طارمة كبيرة، و جدّد منظرة على قائمة مستجدّة على البرج المجاور لباب النصر، و بيّض البحرة و جدّد دهان سقوفها: و بنى حمّاما خارج باب النصر بدمشق، و جدّد ثلاثة إسطبلات على الشّرف الأعلى، و بنى القصر الأبلق بالميدان بدمشق و ما حوله من العمائر. و جدّد مشهد زين العابدين رضى اللّه عنه بجامع دمشق، و أمر بترخيم الحائط الشمالى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۶

و تجديد باب البريد و فرشه بالبلاط. و رمّ شعث مغارة الدم. و جدّد المبانى التى هدموها التّتار من قلعة صرخد. و جدّد قبر نوح عليه السلام بالكرك. و جدّد أسوار حصن الأكراد، و عمّر قلعتها. و عمّر جوامع و مساجد بالساحل يطول الشرح فى ذكرها حذفتها خوف الإطالة.

و بنى فى أيامه بالديار المصريّة ما لم يبن فى أيام الخلفاء المصريّين، و لا ملوك بنى أيّوب من الأبنية و الرّباع و الخانات و القواسير و الدّور و المساجد و الحمّمات، من قريب مسجد التّبن إلى أسوار القاهرة إلى الخليج و أرض الطّبّالة، و اتّصلت العمائر إلى باب المقسم إلى اللّوق إلى البورجى؛ و من الشارع إلى الكبش

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۷

و حدرة ابن قميحة إلى تحت القلعة و مشهد السيدة نفيسة رضى اللّه عنها إلى السّور القراقوشىّ. و كلّ ذلك من كثرة عدله و إنصافه للرعيّة و النّظر فى أمورهم و إنصاف الضعيف من المستضعف و الذّبّ عنهم من العدوّ المخذول رحمه اللّه و عفا عنه.

ذكر ما كان ينوب دولته من الكلف- كانت عدّة العساكر بالديار المصريّة أيّام الملك الكامل محمد و ولده الملك الصالح أيّوب

عشرة آلاف فارس، فضاعفها أربعة أضعاف؛ و كان اولئك الذين كانوا قبله العشرة آلاف مقتصدين فى الملبوس و النفقات و العدد، و هؤلاء (أعنى عسكر الظاهر الأربعين ألفا)، كانوا بالضدّ من ذلك؛ و كانت كلف ما يلوذ بهم من إقطاعهم، و هؤلاء كلفهم على الملك الظاهر؛ و لذلك تضاعفت الكلف فى أيّامه. فإنّه كان يصرف فى كلف مطبخ أستاذه الملك الصالح أيّوب ألّف رطل [لحم] بالمصرىّ خاصّة نفسه فى كلّ يوم؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ١٩٨

و المصروف فى مطبخ الملك الظاهر عشرة آلاف رطل كلّ يوم عنها و عن توابلها عشرون ألف درهم نقرة، و يصرف فى خزانة الكسوة فى كل يوم عشرون ألف درهم، و يصرف فى الكلف الطارئة المتعلّقة بالرّسل و الوفود فى كلّ يوم عشرون ألف درهم، و يصرف عن قرط دوابّه و دوابّ من يلوذ به فى كلّ سنة ثمانمائة ألف درهم، و يقوم بكلف الخيل و البغال و الجمال و الحمير من العلوفات خمس عشرة ألف عليقة فى اليوم، عنها ستمائة إردب؛ و ما كان يقوم به لمن أوجب نفقته و ألزمها عليه تطحن و تحمل إلى المخابز المعدّة لعمل الجرايات خلا ما يصرف على أرباب الرواتب فى كلّ شهر عشرون ألف إردب؛ و ذلك بالديار المصريّة خاصة. و هذا خلاف الطوارئ التى كانت تفد عليه فما يمكن حصرها. و كلف أسفاره و تجديد السلاح فى كلّ قليل؛ و ما كان عليه من الجوامك و الجرايات لمماليكه و لأرباب الخدم؛ فكان ديوانه يفى بذلك كلّه؛ و يحمل لحاصله جملة كبيرة فى السنة من الذهب.

و كان سبب ذلك أنه رفع أيدى الأقباط من غالب تعلّقاته فافتقر أكثرهم فى أيّامه؛ و باشروا الصنائع كالتجارة و البناية؛ و لا زال أمرهم على ذلك حتى تراجع فى أواخر الدولة الناصريّة محمد بن قلاوون. انتهت ترجمة الملك الظاهر بيبرس، رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ١٩٩

و نذكر بعض أحواله، إن شاء اللّه تعالى، فى حوادث سنينه كما هو عادة هذا الكتاب على سبيل الاختصار. و قد أطلت فى ترجمته و هو مستحقّ لذلك، لأنّه فرع فاق أصله، كونه كان من جملة مماليك الملك الصالح نجم الدين أيّوب فزادت محاسنه عليه.

و أمّا من يأتى بعده فلا سبيل إليه. و يعجبنى فى هذا المعنى المقالة الثانية عشرة من قول الشيخ الإمام العالم العارف الرّبّانىّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة اللّه الأصفهانىّ المعروف بشوروة رحمه اللّه فى كتابه الذى فى اللّغة و سمّاه «أطباق الذهب» يشتمل على مائة مقالة [و اثنتين] أحسن فيها غاية الإحسان، و هى:

«ليس الشريف من تطاول و تكاثر، إنّما الشريف من تطوّل و آثر؛ و ليس المحسن من روى القرآن، إنّما المحسن من أروى الظمآن؛ و ليس البرّ إبانة الحروف بالإمالة و الاشباع، لكنّ البرّ إغاثة الملهوف بالإنالة و الإشباع؛ و لا خير فى زكأة لا يسدى معروفا، و لا بركة فى لبنة لا ترى خروفا؛ فوا [ها] لك، لمن تدّخر أموالك! أنفق ألفك، قبل أن يقسم خلفك؛ إنّ منازل الخلق سواسية، إلّا من له يد مواسية؛ فأرفعهم أنفعهم، و أسودهم أجودهم، و أفضلهم أبذلهم؛ و خير الناس من سقى ملواحا،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٠٠

و نصب للجنّة ملواحا؛ و الكرم نوعان، أحسنهما إطعام الجوعان؛ و الحازم من قدّم الزاد لعقبة العقبى، و آتى المال على حبّه ذوى القربى». انتهت المقالة. و اللّه سبحانه و تعالى أعلم بالصواب.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۹]

السنة الأولى من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ على مصر، و هى سنة تسع و خمسين و ستمائة، على أنّه حكم فى آخر السنة الماضية نحو الشهر.

قلت: و دخلت سنة تسع و خمسين المذكورة و ليس للمسلمين خليفة، و كان أوّلها يوم الاثنين لأيّام خلون من كانون أحد شهور الروم؛ و كانون بالقبطىّ كيهك. فدخلت السنة و السلطان بديار مصر الملك الظاهر بيبرس، و صاحب مكّة نجم الدين أبو نمىّ بن

أبى سعد الحسنىّ، و صاحب المدينة جمّاز بن شيحة الحسينىّ، و صاحب دمشق و بعلبكّ و بانياس و الصّبيبة الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ، تغلّب عليها و تسلطن و تلقّب بالملك المجاهد، و نائب حلب من قبل الملك الظاهر بيبرس الأمير حسام الدين لاچين الجوكندار العزيزىّ، و صاحب الموصل الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الرحيم لؤلؤ، و صاحب جزيرة ابن عمر أخوه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق بن لؤلؤ المذكور، و صاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين إيلغازى الأرتقىّ، و صاحب بلاد الروم ركن الدين قليج أرسلان ابن السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد السّلجوقىّ و أخوه عزّ الدين كيكاوس،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۱

و البلاد بينهما مناصفة، و صاحب الكرك و الشّوبك الملك المغيث [فتح الدين عمر] ابن الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيّوب، و صاحب حماة الملك المنصور محمد الأيّوبىّ، و صاحب حمص و تدمر و الرّحبة الملك الأشرف مظفّر الدين موسى، و صاحب مرّاكش من بلاد المغرب أبو حفص عمر الملقّب بالمرتضى، و صاحب تونس أبو عبد اللّه محمد بن أبى زكريّا، و صاحب اليمن الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر التّركمانىّ من بنى رسول.

و فيها كانت كسرة التّتار على حمص، و قد تقدّم ذكر ذلك.

و فيها ملك السلطان الملك الظاهر دمشق و أخرج منها علم الدّين سنجر الحلبىّ، و ولّى نيابتها الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ، أستاذ الملك الظاهر بيبرس هذا، الذى أخذه الملك الصالح نجم الدين أيّوب منه، حسب ما ذكرنا ذلك أوّل ترجمة الملك الظاهر.

و فيها وصل الخليفة المستنصر باللّه إلى القاهرة و بويع بالخلافة، و سافر صحبة الملك الظاهر إلى الشام، ثم فارقه و توجّه إلى العراق فقتل، و قد مرّ ذكر ذلك كلّه أيضا.

و فيها توفّى الملك الصالح نور الدين إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شير كوه بن محمد بن أسد الدين شير كوه الكبير، كان الملك الصالح هذا صاحب حمص

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۲

ملكها بعد موت أبيه، و كان له اختصاص كبير بابن عمّه الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب و الشام، و كان الصالح هذا يدارى التّتار و لا يشاققهم، و آخر الأمر أنه قتل فى وقعة هولاكو بيد التّتار رحمه اللّه تعالى لمّا توجّه إليهم صبحبة الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور، و كان عنده حزم و شجاعة.

و فيها توفّى الشيخ الأديب الفقيه مخلص الدين إسماعيل بن عمر [بن يوسف] ابن قرناص الحموىّ الشاعر المشهور، كان فصيحا شاعرا من بيت علم و أدب.

و من شعره رحمه اللّه تعالى:

أمّا و اللّه لو شقّت قلوب ليعلم ما بها من فرط حبّى

لأرضاك الذى لك فى فؤادى و أرضانى رضاك بشقّ قلبى

و فيها توفّى الملك السعيد إيلغازى نجم الدين [ابن أبى الفتح أرتق بن إيلغازى ابن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى] الأرتقى صاحب ماردين، مات فى سادس صفر، و قيل فى ذى الحجّة سنة ثمان و خمسين.

و فيها توفّى الشيخ الإمام الواعظ المحدّث أبو عمرو عثمان بن مكّى بن عثمان السّعدىّ الشّارعىّ الشّافعىّ، سمع الكثير و اعتنى به والده فأسمعه من نفسه و غيره، و كان ينشد لأبى العتاهية:

اصبر لدهر نال من ك فهكذا مضت الدّهور

فرح و حزن مرّة لا الحزن دام و لا السّرور

و فيها توفّى الأديب الفاضل نور الدين أبو الحسن علىّ بن يوسف بن أبى المكارم عبد اللّه الأنصارىّ المصرىّ المعروف بالعطّار، كان

شاعرا فاضلا، مات قبل الأربعين سنة من عمره. و من شعره ملغزا فى كوز الزّير:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۳

و ذى أذن بلا سمع له قلب بلا لبّ

مدى الأيّام فى خفض و فى رفع و فى نصب

إذا استولى على الحبّ فقل ما شئت فى الصّبّ

و فيها كانت مقتلة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف، و كنيته أبو المظفّر، ابن السلطان الملك العزيز محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيّوب الأيّوبى الحلبىّ، و كان صاحب حلب ثم صاحب الشام. ولد بقلعة حلب فى شهر رمضان سنة سبع و عشرين و ستمائة، و سلطنوه عند موت أبيه سنة أربع و ثلاثين، و قام بتدبير مملكته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى، و عز الدين بن المحلى، و الوزير الأكرم جمال الدين القفطىّ، و الطواشى جمال الدولة إقبال الخاتونىّ، و الأمر كلّه راجع لأمّ [أبيه] الصاحبة صفيّة خاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيّوب. و ماتت سنة أربعين و استقلّ الملك الناصر هذا و أمر و نهى. و وقع للملك الناصر هذا أمور و وقائع و محن، و هو الذى كان الملك الظاهر بيبرس لمّا خرج من مصر فى نوبة البحريّة توجّه إليه و صار فى خدمته. و قد مرّ ذكره فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب، من قدومه نحو القاهرة فى جفلة التّتار، و رجوعه من قطية إلى البلاد الشاميّة، و غير ذلك، ثم آل أمره إلى أن توجّه إلى ملك التّتار هولاكو و توجّه معه أخوه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۴

الملك الظاهر سيف الدين غازى، و كان رشّح للملك، و الملك الصالح نور الدين إسماعيل صاحب حمص المقدّم ذكره فى هذه السنة؛ و لمّا وصل الملك الناصر إلى هولاكو أحسن إليه و أكرمه إلى أن بلغه كسرة عين جالوت غضب عليه و أمر بقتله، فاعتذر إليه فأمسك عن قتله، لكن أعرض عنه، فلمّا بلغه كسرة بيدرا على حمص قتله و قتل أخاه سيف الدين غازيا المذكور، و قتل الملك الصالح نور الدين صاحب حمص و جميع من كان معه سوى ولده الملك العزيز. و كان الملك الناصر مليح الشكل إلّا أنّه كان أحول؛ و كان عنده فصاحة و معرفة بالأدب، و كان كريما عاقلا فاضلا جليلا متجمّلا فى مماليكه و ملبسه و مركبه، و كان فصيحا شاعرا لطيفا.

قال ابن العديم: أنشدنى لنفسه. (يعنى الملك الناصر هذا).

البدر يجنح للغروب و مهجتى لفراق مشبهه أسى تتقطّع

و الشّرب قد خاط النعاس جفونهم و الصبح من جلبابه يتطلّع

قال و أنشدنى لنفسه رحمه اللّه تعالى:

اليوم يوم الأربعا فيه يطيب المرتعى

يا صاحبى أما ترى شمل المنى قد جمّعا

و قد حوى مجلسنا جلّ السرور أجمعا

فقم بنا نشربها ثلاثة و أربعا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۵

من كفّ ساق أهيف شبيه بدر طلعا

فى خدّه و ثغره ورد و درّ صنعا

يسطو و يرنو تارة و الليث و الظبى معا

و له لمّا مرّت به التّتار على حلب، و هى خاوية على عروشها و قد تهدّمت و النّيران بها تعمل، فقال:

يعزّ علينا أن نرى ربعكم يبلى و كانت به آيات حسنكم تتلى

و له يشتاق إلى حلب و منازلها:

سقى حلب الشّهباء فى كل لزبة سحابة غيث نوءها ليس يقلع

فتلك ديارى لا العقيق و لا الغضا و تلك ربوعى لا زرود و لعلع

قلت: و قد ذكرنا من محاسنه و فضله نبذة كبيرة فى تاريخنا «المنهل الصافى، و المستوفى بعد الوافى» إذ هو كتاب تراجم يحسن التطويل فيه. انتهى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الجمال عثمان بن مكىّ ابن السّعدىّ الشارعىّ الواعظ فى شهر ربيع الآخر، و له خمس و سبعون سنة.

و أبو الحسن محمد بن الأنجب بن أبى عبد اللّه الصوفىّ فى رجب، و له ثلاث و ثمانون سنة. و حافظ المغرب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن يحيى بن سيّد الناس اليعمرىّ بتونس فى رجب، و له واحد و ستون عاما. و كمال الدين أبو حامد محمد ابن القاضى صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الصدر العدل فى شوّال، و له اثنتان و ثمانون سنة. و صاحب الشام الملك الناصر يوسف بن العزيز قتل صبرا،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٠٦

و له اثنتان و ثلاثون سنة، و قتل معه شقيقه الملك الظاهر غازى، و الملك الصالح إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص. و توفى بصهيون صاحبها مظفّر الدين عثمان بن منكورس فى شهر ربيع الأوّل عن سنّ عالية؛ تملّك بعد أبيه ثلاثا و ثلاثين سنة، و ولى بعد ابنه محمد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۰]

السنة الثانية من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ستين و ستمائة.

فيها استولى الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة على دمشق و بعلبكّ و الصّبيبة و حلب و أعمالها خلا البيرة.

و فيها استولى التّتار على الموصل، و قتلوا الملك الصالح صاحبها الذى كان خرج مع الخليفة المستنصر من ديار مصر؛ على ما يأتى ذكرهما فى محلّه من هذه السنة.

و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المستنصر باللّه أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بأمر اللّه محمد ابن الناصر لدين اللّه أحمد، الذى بويع بالقاهرة بالخلافة بعد شغور الخلافة نحو سنتين و نصف، و خرج الملك الظاهر بيبرس معه إلى البلاد الشاميّة، و قد مرّ ذكر قدومه القاهرة و بيعته و سفره و قتله و رفع نسبه إلى العبّاس رضى اللّه عنه فى ترجمة الملك الظاهر هذا، و لا حاجة للإعادة؛ و من أراد ذلك فلينظره هناك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٠٧

و فيها قتل الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

و قد ذكرنا وفوده على الملك و خروجه مع أخيه و الخليفة المستنصر باللّه المقدّم ذكره، فلا حاجة لذكره هنا ثانيا؛ قتل بأيدى التّتار فى ذى القعدة، و كان عارفا عادلا حسن السّيرة.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين بلبان الزردكاش، كان من أعيان أمراء دمشق، و كان الأمير طيبرس الوزيرى نائب الشام إذا خرج من

الشام استنابه عليها، و كان ديّنا خيّرا. مات بدمشق فى ذى الحجّة.

و فيها توفّى الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الشيخ الأديب أبو محمد الغنوىّ النّصيبىّ الشافعىّ الإربلىّ المنشأ الضّرير الملقّب بالعزّ. قال صاحب الذّيل على مرآة الزمان: المشهور بعدم الدّين و الزّندقة. كان فاضلا فى العربيّة و النحو و الأدب و علوم الأوائل، منقطعا فى منزله يتردّد إليه من يقرأ عليه تلك العلوم، و كان يتردّد إليه جماعة من المسلمين و اليهود و النصارى و السامرة يقرئ الجميع؛ قال: و كان يصدر عنه من الأقوال ما يشعر بانحلال عقيدته. و مات فى شهر ربيع الاخر بدمشق. و من شعره قوله:

توهّم واشينا بليل مزاره فهم ليسعى بيننا بالتباعد

فعانقته حتّى اتحدنا تعانقا [فلمّا] أتانا ما رأى غير واحد

قال الشهاب محمود: و لمّا أنشدت هذين البيتين يعنى قول العزّ.

توهم واشينا بليل مزاره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٠٨

بين يدى الملك الناصر صلاح الدين صاحب دمشق قال: لا تلمه فإنّه لزمه لزوم أعمى؛ فلمّا بلغ العزّ قول الملك الناصر؛ قال: و اللّه هذا الكلام أحلى من شعرى.

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة شيخ الإسلام عزّ الدين أبو محمد عبد العزيز ابن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذّب السلمى الدّمشقىّ الشافعىّ المعروف بابن عبد السلام. مولده سنة سبع أو ثمان و سبعين و خمسمائة.

قال الذهبىّ: و تفقّه على الإمام فخر الدين ابن عساكر، و قرأ الأصول و العربيّة، و درّس و أفتى و صنّف و برع فى المذهب و بلغ رتبة الاجتهاد، و قصده الطلبة من الآفاق و تخرّج به أئمة، و له التصانيف المفيدة و الفتاوى السديدة، و كان إماما ناسكا عابدا، و تولّى قضاء مصر القديمة مدّة، و درّس بعدّة بلاد. و مات فى عاشر جمادى الأولى.

و فيها توفّى الشيخ الإمام الواعظ عزّ الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الإمام العلّامة أبى المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلى الدمشقىّ الحنفىّ هو ابن صاحب مرآة الزمان. كان عزّ الدين فقيها واعظا فصيحا مفتنّا درّس بعد أبيه فى المدرسة المعزّية و وعظ و كان لوعظه موقع فى القلوب، و كانت وفاته بدمشق فى شوّال و دفن عند أبيه بسفح قاسيون.

و فيها توفّى الإمام العلّامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة اللّه بن محمد ابن هبة اللّه بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٠٩

ابن محمد بن أبى جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل العقيلىّ الحلبىّ الفقيه الحنفى الكاتب المعروف بابن العديم، و رفع نسبه بعض المؤرّخين إلى غيلان. مولده بحلب فى العشر الأوّل من ذى الحجّة سنة ستّ و ثمانين و خمسمائة، و سمع الحديث من أبيه و عمّه أبى غانم محمد و من غيرهما، و حدّث بالكثير فى بلاد متعدّدة، و درّس و أفتى و صنّف، و كان إماما عالما فاضلا مفتنّا فى علوم كثيرة، و هو أحد الرؤساء المشهورين و العلماء المذكورين. و أمّا خطّه ففى غاية الحسن يضاهى ابن البوّاب الكاتب؛ و قيل: إنّه هو الذى اخترع قلم الحواشى، و عرّض بهذا فى شعره القيسرانىّ رحمه اللّه تعالى بقوله:

بوجه معذّبى آيات حسن فقل ما شئت فيه و لا تحاشى

و نسخة حسنة قرئت و صحّت وها خطّ الكمال على الحواشى

و جمع لحلب تاريخا كبيرا فى غاية الحسن، و مات و بعضه مسودّة.

قلت: و ذيّل عليه القاضى علاء الدين علىّ ابن خطيب الناصريّة قاضى قضاة الشافعية بحلب ذيلا إلّا أنّه قصير إلى الرّكبة، وقفت عليه فلم أجده جال حول الحمى، و لا سلك فيه مسلك المذيّل عليه من الشروط، إلّا أنّه أخذ علم التاريخ بقوّة الفقه، على أنّه كان من

الفضلاء العلماء و لكنّه ليس من خيل هذا الميدان، و كان يقال فى الأمثال: من مدح بما ليس فيه فقد تعرّض للضّحكة. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۰

و محاسن ابن العديم كثيرة و علومه غزيرة، و هم بيت علم و رياسة و عراقة.

يأتى ذكر جماعة من ذرّيّته و أقاربه فى هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى. و من شعر الصاحب كمال الدين المذكور ممّا كتبه على ديوان الشيخ أيدمر مولى وزير الجزيرة، و هو:

و كنت أظنّ التّرك تختصّ أعين لهم إن رنت بالسّحر منها و أجفان

إلى أن أتانى من بديع قريضهم قواف هى السحر الحلال و ديوان

فأيقنت أنّ السحر أجمعه لهم يقرّ لهم هاروت فيه و سحبان

و من شعره أيضا رحمه اللّه و أجاد فيه إلى الغاية:

فواعجبا من ريقها و هو طاهر حلال و قد أمسى علىّ محرّما

هو الخمر لكن أين للخمر طعمه و لذّته مع أنّنى لم أذقهما

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال. و فيها توفّى العلّامة عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمىّ الدّمشقى بالقاهرة فى جمادى الأولى عن ثلاث و ثمانين سنة. و الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة اللّه بن العديم العقيلىّ بعد ابن عبد السلام بأيام، و كان له اثنتان و سبعون سنة. و نقيب الأشراف بهاء الدين علىّ بن محمد بن إبراهيم بن أبى الجنّ الحسينىّ فى رجب عن إحدى و ثمانين سنة.

و ضياء الدين عيسى بن سليمان التّغلبىّ فى رمضان، و له تسعون سنة. و استشهد فى المصافّ المستنصر بالله أحمد ابن الظاهر محمد ابن الناصر فى أوائل المحرّم بالعراق،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۱

و تفرّق جمعه. و قتلت التّتار فى ذى القعدة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل بعد الأمان. و فى شهر ربيع الآخر العزّ الضرير الفيلسوف حسن ابن محمد بن أحمد الإربلى، و له أربع و سبعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۱]

السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة إحدى و ستين و ستمائة.

فيها بايع السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور الخليفة الحاكم بأمر اللّه أبا العباس أحمد ابن الأمير أبى علىّ الحسن؛ و قيل: ابن محمد بن الحسن بن علىّ القبّى ابن الخليفة الراشد، و هو التاسع و الثلاثون من خلفاء بنى العبّاس، و هو أوّل خليفة من بنى العبّاس سكن بمصر و مات بها؛ و بويع يوم الخميس تاسع المحرّم من سنة إحدى و ستين و ستمائة، و كان وصوله إلى الديار المصريّة فى السنة الحاليّة.

و فيها هلك ريدا فرنس، و اسمه بواش المعروف بالفرنسيس ملك الفرنج الذى كان ملك دمياط فى دولة الملك الصالح أيّوب.

و فيها توفّى المحدّث الفاضل عزّ الدين أبو محمد عبد الرّزاق [بن رزق اللّه] ابن أبى بكر بن خلف الرّسعنىّ، كان إماما فاضلا شاعرا محدّثا. و من شعره:

[و] لو أنّ إنسانا يبلّغ لوعتى و شوقى و أشجانى إلى ذلك الرّشا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۲

لأسكنته عينى و لم أرضها له فلو لا لهيب القلب أسكنته الحشا

و فيها توفّى الأمير مجير الدين أبو الهيجاء [بن] عيسى الأزكشىّ الكردىّ الأموىّ، كان عن أعيان الأمراء و شجعانهم، و لمّا ولى الملك المظفّر قطز السلطنة، و ولّى الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ نيابة الشام جعله مشاركا له فى الرأى و التدبير فى نيابة الشام، و كان الملك الأشرف موسى بن العادل سجنه مدّة لأمر اقتضى ذلك. فلمّا كان فى السجن كتب بعض الأدباء يقول:

يا أحمد ما زلت عماد الدين يا أشجع من أمسك رمحا بيمين

لا تيئسنّ إن حصلت فى سجنهمها يوسف قد أقام فى السجن سنين

و كان مولده بمصر فى سنة ثمان و ستين و خمسمائة؛ و مات فى جمادى الأولى بمدينة إربل.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى عبد الغنى بن سليمان ابن بنين البنانىّ فى شهر ربيع الأوّل، و له ستّ و ثمانون سنة، و هو آخر من روى عن عمر. و العلّامة علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسىّ فى رجب بدمشق، و له ستّ و ثمانون سنة. و الإمام تقىّ الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مرهف النّاشرىّ المصرىّ المقرئ فى شعبان، و له إحدى و ثمانون سنة. و الإمام كمال الدين علىّ بن شجاع ابن سالم العبّاسىّ الضّرير فى ذى الحجّة، و له تسعون سنة إلّا شهرا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۳

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۲]

السنة الرابعة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة اثنتين و ستين و ستمائة.

فيها انتهت عمارة مدرسة السلطان الملك الظاهر بيبرس ببين القصرين من القاهرة. و قد تقدّم ذكرها فى ترجمته.

و فيها استدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ إلى القاهرة؛ و أمره أن يجعل نائبه بحلب بعد خروجه الأمير نور الدين علىّ بن مجلّى ففعل ذلك، و قدم القاهرة؛ فلمّا وصل إليها عزله و أقام نور الدين عوضه فى نيابة حلب. و قد تقدّم أنّ علاء الدين أيدكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذى اشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيّوب.

و فيها كان الغلاء بديار مصر فبلغ الإردبّ القمح مائة درهم و خمسة دراهم نقرة، و الشّعير سبعين درهما الإردبّ، و ثلاثة أرطال خبز بالمصرىّ بدرهم نقرة، و رطل اللحم بالمصرىّ و هو مائة و أربعة و أربعون درهما بدرهم؛ و كان هذا الغلاء عظيما بديار مصر. فلمّا وقع ذلك فرّق الملك الظاهر الفقراء على الأغنياء و الأمراء و ألزمهم بإطعامهم، ثم فرّق من شونه القمح على الزوايا و الأربطة، و رتّب للفقراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۴

كلّ يوم مائة اردبّ مخبوزة تفرّق بجامع ابن طولون. و دام على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة و المغلّ الجديد؛ و أبيع القمح فى الإسكندريّة فى هذا الغلاء الإردبّ بثلاثمائة و عشرين درهما.

و فيها أحضر بين يدى السلطان طفل ميّت له رأسان و أربع أعين و أربع أيد و أربع أرجل، فأمر بدفنه.

و فيها توفّى القاضى كمال الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الأسدىّ الحلبىّ الشافعىّ المعروف بابن الأستاذ قاضى حلب، مولده سنة إحدى عشرة و ستمائة، سمع الكثير و حدّث و درّس، و كان فاضلا عالما مشكور السّيرة مات فى شوّال.

و فيها توفّى شيخ الشيوخ الصاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن منصور الأنصارىّ الأوسىّ الدمشقىّ المولد الحموىّ الدار و الوفاة الإمام الأديب العلّامة، مولده يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى سنة ستّ و ثمانين و خمسمائة، و سمع الحديث و تفقّه و برع فى الفقه و الحديث و الأدب، و أفتى و درّس و تقدّم عند الملوك، و ترسّل عنهم غير مرّة. و كانت له الوجاهة

التامّة و له اليد الطّولى فى الترسّل و النظم، و شعره فى غاية الحسن. و من شعره- رحمه اللّه- قوله:

إنّ قوما يلحون فى حبّ سعدى لا يكادون يفقهون حديثا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۵

سمعوا وصفها و لاموا عليها أخذوا طيّبا و أعطوا خبيثا

و له رحمه اللّه:

قلت و قد عقرب صدغا له عن شقّة الحاجب لم يحجب

قدّست يا ربّ الجمال الذى ألّف بين النون و العقرب

و له عفا اللّه عنه:

مرضت ولى جيرة كلّهم عن الرّشد فى صحبتى حائد

فأصبحت فى النقص مثل الذى و لا صلة لى و لا عائد

و له غفر اللّه له:

و لقد عجبت لعاذلى فى حبّه لمّا دجى ليل العذار المظلم

أو ما درى من سنّتى و طريقتى أنّى أميل مع السواد الأعظم

قلت: و قد استوعبنا ترجمة شيخ الشيوخ بأوسع من ذلك فى تاريخنا «المنهل الصافى» و ذكرنا من محاسنه و شعره نبذة كبيرة، و كانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان بحماة رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الملك المغيث فتح الدين أبو الفتح عمر صاحب الكرك ابن السلطان الملك العادل أبى بكر محمد ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيّوب الأيّوبىّ المصرىّ ثم الكركىّ. و قد ذكرنا من أمره نبذة كبيرة فى ترجمة عمّه الملك الصالح ثم من بعده فى عدّة تراجم لا سيما لمّا توجّه إليه الملك الظاهر بيبرس مع جماعة البحريّة، و أقام عنده و حرّكه على ملك مصر حسب ما تقدّم ذكر ذلك كلّه. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۶

قلت: و مولد الملك المغيث هذا بالديار المصريّة و ربّى يتيما عند عمّاته القطبيّات بنات الملك العادل، و القطبيات عرفن بالقطبيات لأنهنّ أشقّاء الملك المفضّل قطب الدين ابن الملك العادل، و بقى المغيث هذا عندهنّ إلى أن أخرج إلى الكرك و اعتقل بها ثم ملكها بعد موت عمّه الملك الصالح نجم الدين أيّوب، و وقع له بها أمور، إلى أن قدم فى العام الماضى على الملك الظاهر بيبرس بمصر، فقبض عليه و قتله فى محبسه، رحمه اللّه تعالى، لما كان فى نفسه منه أيام كان بخدمته فى الكرك مع البحريّة.

و فيها توفّى الأمير حسام الدين لاچين بن عبد اللّه العزيزىّ [الجوكندار]، كان من أكابر الأمراء و أعظمهم، و كان شجاعا جوادا ديّنا له اليد البيضاء فى غزو التّتار، و كان يجمع الفقراء و يصنع لهم الأوقات و السماعات، و كان كبير القدر عظيم الشأن، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الشيخ محيى الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الأنصارىّ الأندلسىّ الشاطبىّ، كان فاضلا محدّثا، سمع الكثير و ولى مشيخة دار الحديث بحلب، ثم ولى مشيخة الحديث بمصر بالمدرسة الكامليّة و حدّث بها.

و من شعره، رحمه اللّه تعالى:

و صاحب كالزّلال يمحو صفاؤه الشكّ باليقين

لم يحص إلّا الجميل منّى كأنّه كاتب اليمين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۷

قلت: و هذا بعكس قول الأديب شهاب الدين المنازىّ، رحمه اللّه تعالى:

و صاحب خلته خليلا و ما جرى غدره ببالى

لم يحص إلّا القبيح منّى كأنّه كاتب الشمال

و فيها توفّى الملك الأشرف مظفّر الدين موسى ابن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شير كوه بن محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شير كوه الكبير، ملك الأشرف هذا حمص بعد وفاة أبيه، و طالت مدّته به و وقع له أمور، و كان فيه مداراة، للتّتار و استمرّ على ذلك إلى أن توفى بحمص فى حادى عشر صفر قبل صلاة الجمعة، و دفن ليلا على جدّه الملك المجاهد أسد الدين شير كوه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى المحدّث ضياء الدين علىّ بن محمد البالسىّ فى صفر، و له سبع و خمسون سنة. و أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم الأنصارىّ البابشرقىّ فى شهر ربيع الأوّل. و الحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى ابن علىّ الأموىّ العطّار المالكىّ فى جمادى الأولى، و له ثمان و سبعون سنة. و أبو الطاهر إسماعيل بن صارم الخيّاط بعده بأيام. و الخطيب عماد الدين عبد الكريم [ابن جمال الدين أبى القاسم عبد الصمد] بن محمد الأنصارىّ بن الحرستانىّ فى جمادى الأولى. و الورع الزاهد أبو القاسم بن منصور فى شعبان. و الإمام محيى الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۸

أبو بكر محمد بن محمد بن سراقة الشاطبىّ بمصر، و له سبعون سنة. و شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارىّ بحماة فى رمضان. و الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد صاحب الكرك، أعدمه الملك الظاهر. و الأمير الكبير حسام الدين لا چين الجوكندار العزيزىّ فى المحرّم، و دفن بقاسيون. و صاحب حمص الملك الأشرف موسى ابن المنصور إبراهيم بن أسد الدين بحمص فى صفر، و له خمس و ثلاثون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۳]

السنة الخامسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ثلاث و ستين و ستمائة.

فيها ولّى الملك الظاهر بيبرس من كلّ مذهب قاضيا و قد تقدّم ذكر ذلك.

و فيها توفّى الأديب البارع شرف الدين محاسن [الكتبىّ] الصّورىّ، كان عالما فاضلا أديبا شاعرا، و مات فى شهر رجب. و من شعره، رحمه اللّه:

عتبت علىّ فقلت إن عاتبتها كان العتاب لوصلها استهلاكا

و أردت أن تبقى المودّة بيننا موقوفة فتركت ذاك لذاك

و فيها توفّى الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك بن بليمان بن عبد اللّه أبو الفتح، مولده فى جمادى الآخرة سنة تسع و تسعين و خمسمائة بالقوب من أعمال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۲۱۸

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۹

قوص بصعيد مصر و سمع الحديث، و تنقّل فى الولايات الجليلة مثل نيابة السلطنة بالقاهرة و نيابة دمشق، و لم يكن فى الأمراء من يضاهيه فى منزلته و شجاعته و قربه من الملوك، و كان أميرا جليلا خبيرا حازما سيوسا مدبّرا جوادا ممدّحا، و كان الملك الظاهر إذا عمل مشورة و تكلّم جمع خشداشيته من الأمراء فلا يصغى إلّا إلى قول ابن يغمور هذا و يفعل ما أشار به عليه. و كانت وفاته فى

مستهلّ شعبان بالقصير من أعمال الفاقوسيّة بين الغرابى و الصالحيّة. و من شعره قوله:

ما أحسن ما جاء كتاب الحبّ يبدى حرقا كأنّه عن قلبى

فازددت بما قرأت شوقا و ضمّا لا يبرّده إلا نسيم القرب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المحدّث معين الدين إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشىّ الزّكوىّ. و الحافظ زين الدين أبو البقاء خالد ابن يوسف بن سعد النابلسىّ بدمشق، و له ثمان و سبعون سنة فى سلخ جمادى الأولى. و الأمير الكبير جمال الدين موسى بن يغمور. و النجيب فراس بن علىّ بن زيد العسقلانىّ التاجر. و قاضى الديار المصريّة بدر الدين يوسف بن الحسن السّنجارىّ فى رجب. و الشيخ أبو القاسم الحوّارىّ الزاهد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۰

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۴]

السنة السادسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة أربع و ستين و ستمائة.

فيها توفّى شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن صالح، كان فاضلا أديبا. و من شعره، رحمه اللّه، فى مكار مليح:

علقته مكاريا شرّد عن عينى الكرى

قد أشبه البدر فلا يملّ من طول السّرى

و فيها توفّى طاغية التّتار و ملكهم هولاكو و قيل هولاوون و قيل هولاو بن تولى خان بن چنكز خان المغلى التّركىّ، ملك مكان أبيه بعد موته و كان من أعظم ملوك التّتار، و كان حازما شجاعا مدبرا، استولى على الممالك و الأقاليم فى أيسر مدّة، و فتح بلاد خراسان و أذربيجان و عراق العجم و عراق العرب و الموصل و الجزيرة و ديار بكر و الشام و الروم و الشرق و غير ذلك. و هو الذى قتل الخليفة المستعصم المقدّم ذكره، و كان على قاعدة المغل لا يتديّن بدين، و إنّما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصّرت، فكانت تعضد النصارى و تقيم شعائرهم فى تلك البلاد. و كان هولاكو سعيدا فى حروبه لا يروم أمرا إلّا و يسهل عليه، و كانت وفاته بعلّة الصّرع، و كان الصّرع يعتريه من عدّة سنين فى كلّ وقت، حتّى إنّه كان يعتريه فى اليوم الواحد المرّة و المرّتين و الثلاث، ثم زاد به فمرض و لم يزل ضعيفا نحو شهرين و هلك، فأخفوا موته و صبّروه حتى حضر ولده أبغا و جلس مكانه فى الملك، و قيل: إنّه لم يدفن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۱

و علّق بسلاسل، و مات و له ستّون سنة أو نحوها. و خلّف من الأولاد الذكور سبعة عشر ولدا: و هم أبغا الذى ملك بعده و أشموط و تمشين و تكشى و كان [تكشى فاتكا] جبّارا، و أجاى و تستر و منكوتمر الذى التقى مع الملك المنصور قلاوون على حمص و انهزم جريحا، كما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى، و باكودر و أرغون و تغاى تمر و الملك أحمد و جماعة أخر.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الفضل إسماعيل ابن إبراهيم بن يحيى القرشى بن الدّرجىّ فى صفر. و الشيخ جمال الدين أحمد بن عبد اللّه بن شعيب التّميمىّ فى شهر ربيع الاخر، و له اثنتان و سبعون سنة.

و رضىّ الدين إبراهيم بن البرهان عمر الواسطىّ التاجر بالإسكندرية فى رجب، و له إحدى و سبعون سنة، و خلّف أموالا عظيمة. و الأمير الكبير جمال الدين أيدغدى العزيزىّ. و الشيخ أحمد بن سالم المصرىّ النحوىّ فى شوّال بدمشق.

و الطاغية هولاكو بمراغة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و سبع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۵]

السنة السابعة من ولايه الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة خمس و ستين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۲

فيها توفّى بركة خان [بن توشى] بن چنكز خان ملك التّتار، هو ابن عمّ هولاكو المقدّم ذكره، و كانت مملكته عظيمة متّسعة جدّا و هى بعيدة عن بلادنا و له عساكر وافرة العدد، و كان بركة هذا يميل إلى المسلمين ميلا زائدا و يعظّم أهل العلم و يقصد الصلحاء و يتبرّك بهم. و وقع بينه و بين ابن عمّه هولاكو، و قاتله بسبب قتله للخليفة المستعصم بالله و غيره من المسلمين؛ و كان بينه و بين الملك الظاهر مودّة و يعظّم رسله، و كان قد أسلم هو و كثير من جنده و بنى المساجد و أقيمت الجمعة ببلاده، و كان جوادا عادلا شجاعا، و مات ببلاده فى هذه السنة و هو فى عشر الستين، و قام مقامه منكوتمر.

و فيها توفّى الأمير ناصر الدين أبو المعالى حسين بن عزيز بن أبى الفوارس القيمرىّ، كان من أكابر الأمراء و أجلّهم قدرا و أكبرهم شأنا، و كان شجاعا كريما عادلا، و كان الملك الظاهر قد جعله مقدّم العساكر بالساحل فتوجّه إليه فمات به مرابطا فى يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأوّل، و هو صاحب المدرسة القيمريّة بدمشق، و كان عالى الهمة يضاهى السلاطين فى موكبه و خيله و مماليكه و حواشيه.

و فيها توفّى القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر أبو محمد العلامىّ الفقيه الشافعىّ المعروف بابن بنت الأعزّ، كان إماما عالما فاضلا و ولى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۳

المناصب الجليلة كنظر الدواوين و الوزارة و قضاء القضاة و درس بالشافعىّ، و كانت له مكانة عند الملك الظاهر، و مولده سنة أربع عشرة و ستمائة، و مات ليلة السابع و العشرين من شهر رجب و دفن من الغد بسفح المقطّم.

و فيها توفّى الشيخ الإمام المحدّث تاج الدين أبو الحسين علىّ بن أحمد بن علىّ ابن محمد بن الحسن بن عبد اللّه بن أحمد بن ميمون القيسى المصرىّ المالكىّ المعروف بابن القسطلانىّ، ولد سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة بمصر، و بها تفقّه و سمع الحديث من جماعة كثيرة و حدّث بالكثير و درّس و أفتى و تولّى مشيخة دار الحديث الكامليّة بالقاهرة إلى أن مات بكرة السابع و العشرين من شوّال و دفن من يومه بسفح المقطّم.

و فيها توفّى الشيخ الإمام الفقيه المحدّث شمس الدين ملكشاه بن عبد الملك ابن يوسف بن إبراهيم المقدسىّ الأصل المصرىّ المولد الدّمشقىّ الدار الحنفىّ المعروف بقاضى بيسان، كان فقيها عالما فاضلا مفتنّا فى علوم، ولد بحارة زويله بالقاهرة سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة و مات فى سادس عشر صفر بدمشق، رحمه اللّه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الحجّاج يوسف ابن مكتوم السّويدىّ الحبّال. و الشيخ الصالح الأثرىّ محمود بن أبى القاسم [اسفنديار ابن بدران بن أيّان] الدّشتىّ بالقاهرة فى رجب. و قاضى القضاة تاج الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۴

عبد الوهاب بن خلف بن بنت الأعزّ فى رجب، و له إحدى و ستون سنة. و العلّامة شهاب الدين أبو شامة أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسىّ ثم الدّمشقىّ فى رمضان، و له ستّ و ستون سنة. و الإمام تاج الدين علىّ ابن الشيخ أبى العبّاس أحمد بن على القسطلانىّ بمصر، و له سبع و سبعون سنة. و السلطان بركة خان بن توشى بن چنكز خان. و الأمير الكبير ناصر الدين حسين بن عزيز بن أبى الفوارس القيمرىّ صاحب القيمريّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۶]

السنة الثامنة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ستّ و ستين و ستمائة.

فيها توفّى الرئيس كمال الدين أبو يوسف أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد اللّه الحلبىّ المعروف بابن العجمىّ، كان شاعرا رئيسا عالما فاضلا حسن الخط و الإنشاء، كتب للملك الناصر صلاح الدين يوسف، و كان من أعيان الكتّاب و أماثلهم، بلغ من العمر ستّا و أربعين سنة، و مات بظاهر صور من بلاد الساحل فى العشر الأوّل من ذى الحجّة و حمل إلى ظاهر دمشق فدفن بها. و من شعره فى خال مليح، قال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۵

و ما خاله ذاك الذى خاله الورى على خده نقطا من المسك فى ورد

و لكنّ نار الخدّ للقلب أحرقت فصار سواد القلب خالا على الخدّ

قلت: يعجبنى قول ابن صابر المنجنيقىّ فى هذا المعنى:

أهلا بوجه كالبدر حسنا صيّرنى حبّه هلالا

قد رقّ حتّى لحظت فيه سواد عينى فخلت خالا

و مثل هذا أيضا قول القائل فى هذا المعنى، و لم أدر لمن هو غير أنّنى أحفظه قديما، و هو فى خال تحت العذار.

له خال تغشّاه هلال يفوت العين إن نظرت إليه

كشحرور تخبّأ فى سياج مخافة جارح من مقلتيه

و فى هذا المعنى للعزّ الموصلىّ و أبدع إلى الغاية:

لحظت من وجنتها شامة فابتسمت تعجب من حالى

قالت قفوا و استمعوا ما جرى قد هام عمّى الشيخ فى خالى

و فى هذا المعنى:

تفاخر الحسن فى انتساب لمّا بدا خاله الأنيق

فقالت العين ذا ابن أختى و قال لى الخدّ ذا شقيق

و قد استوعبنا هذا النوع و غيره فى كتابنا «حلية الصفات فى الأسماء و الصناعات» فلينظر هناك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۶

و فيها توفّى عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان بن حمّاد بن علىّ الموصلىّ النحوىّ المترجم، كان إماما عالما أديبا مفتنّا شاعرا، مات بمصر فى يوم الجمعة تاسع شوّال. و من شعره، رحمه اللّه:

لا تعجبنّ إذا ما فاتك المطلب و عوّد النفس أن تشقى و أن تتعب

إن دام ذا الفقر فى الدنيا فلا تعجب مات الكرام و ما فيهم فتى أعقب

و فيها توفّى السلطان ركن الدين كيقباد ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلمش بن أتسز بن إسرائيل بن سلجوق بن دقماق السّلجوقىّ صاحب الروم، كان ملكا جليلا شجاعا لكنّه كان غير سديد الرأى، كان جعل أمره بيد البرواناه فاستفحل أمر البرواناه، فأراد ركن الدين هذا قتله فعاجله البرواناه و عمل على قتله حتى قتل (و كيقباد بفتح الكاف و سكون الياء آخر الحروف و ضم القاف و فتح الباء ثانية الحروف و بعد

الألف دال مهملة ساكنة). و كيخسرو مثل ذلك غير أن الخاء المعجمة مضمومة و بعدها سين مهملة ساكنة و راء مهملة مضمومة. و قليج أرسلان بكسر القاف و اللام و سكون الياء و الجيم معا.

و أرسلان معروف.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أيّوب بن أبى بكر عمر الحمّامى ابن الفقّاعىّ. و مجد الدين أحمد بن عبد اللّه [بن أبى الغنائم المسلم بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٢٧

حمّاد بن محفوظ] بن ميسرة الأزدىّ ابن الحلوائيّة فى شهر ربيع الأوّل. و الشيخ القدوة إبراهيم بن عبد اللّه ابن الشيخ أبى عمر [محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة] المقدسىّ فى شهر ربيع الأوّل، و له ستون سنة. و أبو بكر عبد اللّه بن أحمد بن ناصر النّحّاس فى ذى القعدة. و فيها قتلت التّتار السلطان ركن الدين كيقباد ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء الدين كيقباد صاحب الروم، و له ثمان و عشرون سنة و أجلسوا ولده كيخسرو على التخت و هو ابن عشر سنين.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۷]

السنة التاسعة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة سبع و ستين و ستمائة.

فيها توفّى الأمير عز الدين أيدمر بن عبد اللّه الحلىّ الصالحىّ النجمىّ، كان من أكبر أمراء الدولة و أعظمهم محلّا عند الملك الظاهر، و كان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية فى غيبته عنها لوثوقه به و اعتماده عليه، و كان قليل الخبرة لكن رزق السعادة.

قلت: له أسوة بأمثاله. قال: و كان محظوظا من الدنيا له الأموال الجمّة و المتاجر الكثيرة و الأملاك الوافرة. و أمّا ما خلّفه من الأموال و الخيول و الجمال و البغال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٢٨

و العدد فيقصر الوصف عنه. و مات بقلعة دمشق فى يوم الخميس سابع شعبان و دفن بتربته بجوار مسجد الأمير موسى بن يغمور. و مات و قد نيّف على الستين.

و فيها توفّى الشيخ المحدّث عماد الدين محمد بن محمد بن علىّ أبو عبد اللّه، كان فاضلا سمع الكثير، و مات بدمشق فى شهر ربيع الأوّل؛ و لما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين سعد يقول:

ما للنّوى رقّة ترثى لمكتئب حرّان فى قلبه و الدمع فى حلب

قد أصبحت حلب ذات العماد بكم و جلّق إرما هذا من العجب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى زين الدين إسماعيل ابن عبد القوىّ بن عزّون الأنصارىّ فى المحرّم. و الإمام مجد الدين علىّ بن وهب القشيرى [والد] ابن دقيق العيد. و الحافظ زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد [بن أبى بكر] الأبيوردىّ الصوفىّ فى جمادى الأولى. و اللغوىّ مجد الدين عبد المجيد بن أبى الفرج [بن محمد] الرّوذراورىّ بدمشق فى صفر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ست عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۸]

السنة العاشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ثمان و ستين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۹

فيها توفّى الشيخ موفّق الدين أبو العبّاس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجىّ المعروف بابن أبى أصيبعة الحكيم الفاضل صاحب المصنّفات منها «طبقات الأطباء». مات بصرخد فى جمادى الأولى، و قد نيّف على سبعين سنة، و كان فاضلا عالما فى الطّبّ و الأدب و التاريخ و له شعر كثير، من ذلك ما مدح به الصاحب أمين الدولة، و هى قصيدة طنّانة أوّلها:

فؤادى فى محبّتهم أسير و أنّى سار ركبهم يسير

يحنّ إلى العذيب و ساكنيه حنينا قد تضمّنه سعير

و يهوى نسمة هبّت سحيرا بها من طيب نشرهم عبير

و إنّى قانع بعد التّدانى بطيف من خيالهم يزور

و معسول اللّمى مرّ التجنّى يجور على المحبّ و لا يجير

تصدّى للصدود ففى فؤادى بوافر هجره أبدا هجير

و قد وصلت جفونى فيه سهدى فما هذى القطيعة و النفور

و هى طويلة كلّها على هذا النّمط.

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الظاهرىّ نائب حمص، كان فيه صرامه مفرطة، و كان موصوفا بالعسف و الظلم و سيرة قبيحة، و مع هذه المساوئ كان أيضا فيه رفض. مات بحمص و فرح بموته أهل بلده.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۰

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه المعروف بالزّرّاد، كان نائب قلعة دمشق، و كان من المماليك الصالحيّة النّجميّة، و كانت حرمته وافرة و سيرته جميلة. و مات فى ذى القعدة.

و فيها توفّى موسى بن غانم بن علىّ بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصارىّ المقدسىّ، كان كبير القدر صدرا كبيرا شجاعا وافر لحرمة، تولّى مشيخة الحرم بالقدس الشريف، و كان كريما و له سمعة وصيت. مات بالقدس فى المحرّم و قد جاوز سبعين سنة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المحدّث زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى فى رجب، و له ثلاث و تسعون سنة. و قاضى القضاة محيى الدين يحيى بن محمد بن الزّكى القرشىّ فى رجب، و له اثنتان و سبعون سنة.

و أبو حفص عمر بن محمد بن أبى سعد الكرمانىّ الواعظ فى شعبان، و له ثمان و تسعون سنة. و فيها قتل فى المصافّ صاحب المغرب الملك أبو دبّوس أبو العلاء [الواثق بالله] إدريس بن عبد اللّه بن محمد المؤمنى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۱

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۹]

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ على مصر، و هى سنة تسع و ستين و ستمائة.

فيها توفّى الشيخ شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن المسلم بن هبة اللّه [المعروف با] بن البارزىّ الفقيه الحموىّ الشافعىّ، مولده سنة ثمانين و خمسمائة، و كان فقيها فاضلا ورعا، و له شعر جيّد و أفتى و درّس بمعرّة النّعمان و غيرها، و مات فى شعبان بحماة.

و من شعره، رحمه اللّه، يصف دمشق:

دمشق لها منظر رائق و كلّ إلى وصلها تائق

و أنّى يقاس بها بلدة أبى اللّه و الجامع الفارق

و فيها توفّى القاضى كمال الدين أبو السعادات أحمد بن مقدام بن أحمد بن شكر المعروف بابن القاضى الأعزّ، كان أحد الأكابر بالديار المصريّة متأهّلا للوزارة و غيرها، و تولّى المناصب الجليلة، و كان له يد فى النظم و معرفة بالأدب و مشاركة فى غيره. و مات فى شهر رمضان بالقاهرة.

و فيها توفّى الأمير علم الدين سنجر بن عبد اللّه الصّيرفىّ، كان من أعيان الأمراء بالديار المصريّة و ممّن يخشى جانبه، فلمّا تمكّن الملك الظّاهر بيبرس أخرجه إلى دمشق ليأمن غائلته و أقطعه بها خبزا جيّدا، فدام به إلى أن مات ببعلبكّ و هو فى عشر الستين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۲

و فيها توفّى الأمير قطب الدين سنجر بن عبد اللّه المستنصرىّ البغدادىّ المعروف بالياغز، كان من مماليك الخليفة المستنصر باللّه، و كان محترما فى الدولة الظاهريّة و عنده معرفة و حسن عشرة و محاضرة بالأشعار و الحكايات.

و فيها توفّى الملك الأمجد تقىّ الدين عبّاس ابن الملك العادل أبى بكر محمد بن أيّوب ابن شادى، و كنيته أبو الفضل، كان محترما عند الملك الظاهر لا يرتفع عليه أحد فى المجالس، و هو آخر من مات من أولاد الملك العادل لصلبه، و كان دمث الأخلاق حسن العشرة لا تملّ مجالسته. و مات بدمشق فى جمادى الآخرة و دفن بسفح قاسيون.

و فيها توفّى قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر ابن محمد بن سبعين أبو محمد المرسىّ الرّقوطىّ الصوفىّ المعروف بابن سبعين.

قال الذهبىّ فى تاريخ الإسلام: كان صوفيّا على قاعدة زهّاد الفلاسفة و تصوّفهم، و له كلام كثير فى العرفان على طريق الاتّحاد و الزّندقة. و قد ذكرنا محطّ هؤلاء الجنس فى ترجمة ابن الفارض و ابن العربىّ و غيرهما، فيا حسرة على العباد! كيف لا يغضبون للّه تعالى و لا يقومون فى الذبّ عن معبودهم، تبارك اللّه و تقدّس فى ذاته عن أن يمتزج بخلقه أو يحلّ فيهم، و تعالى اللّه عن أن يكون هو عين السماوات و الأرض و ما بينهما، فإنّ هذا الكلام شرّ من مقالة من قال بقدم العالم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۳

و من عرف هؤلاء الباطنيّة عذرنى أو هو زنديق مبطن للاتّحاد يذبّ عن الاتّحاديّة و الحلوليّة، و من لم يعرفهم فاللّه يثيبه على حسن قصده. ثم قال بعد كلام طويل:

و اشتهر عنه (يعنى عن ابن سبعين هذا) أنّه قال: لقد تحجّر ابن آمنة واسعا بقوله:

"لا نبىّ بعدى. "ثم ساق الذهبىّ أيضا من جنس هذه المقولة أشياء أضربت عنها إجلالا فى حقّ اللّه و رسوله لا لأجل هذا النّجس.

قلت: إن صحّ عنه ما نقله الحافظ الذهبىّ و هو حجّة فى نقله فهو كافر زنديق مارق من الدين مطرود من رحمة اللّه تعالى. انتهى. و الرّقوطىّ نسبة إلى حصن من عمل مرسية يقال له رقوطة.

و فيها توفى الأمير شرف الدين أبو محمد عيسى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كامل الكردىّ الهكّارى، كان أحد أعيان الأمراء سمع الحديث و حدّث، و مولده سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بالقدس، و كان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة و الإقدام و له وقائع معدودة و مواقف مشهورة مع العدوّ بأرض الساحل؛ ولى الأعمال الجليلة و قدّمه الملك الظاهر بيبرس على العساكر فى الحروب غير مرّة، و مات بدمشق فى شهر ربيع الآخر. و من شعره مما كتبه للوزير شرف الدين بن المبارك وزير إربل:

أ أحبابنا إن غبت عنكم و كان لى إلى غير مغناكم مراح و إيسام

فما عن رضا كانت سليمى بديلة بليلى و لكن للضرورات أحكام

و فيها توفّى محمد بن عبد المنعم بن نصر [اللّه] بن جعفر بن أحمد بن حوارى الفقيه الأديب أبو المكارم تاج الدين التّنوخى المعرّىّ الأصل الحنفىّ الدّمشقى المولد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۴

و الدار و الوفاة المعروف بابن شقير. ولد سنة ست و ستمائة و سمع و حدّث بدمشق و القاهرة، و كان فقيها محدّثا فاضلا بارعا أديبا و عنده رياسة و مكارم و دماثة أخلاق و حسن محاضرة، و هو معدود من شعراء الملك الناصر [صلاح الدين يوسف بن العزيز] و مات فى صفر. و من شعره:

قد أقبل الصيف و ولّى الشّتا و عن قريب نشتكى الحرّا

أما ترى البان بأغصانه قد قلب الفرو إلى برّا

و قال، رحمه اللّه:

وا حيرة القمرين منه إذا بدا و إذا انثنى وا خجلة الأغصان

كتب الجمال و ياله من كاتب سطرين فى خدّيه بالرّيحان

قلت: و يعجبنى قول ابن المعتزّ فى هذا المعنى و قد أبدع فى التشبيه فقال:

كأنّ خطّ عذار شقّ عارضه ميدان آس على ورد و نسرين

و خطّ فوق حجاب الدر شاربه بنصف صاد و دار الصّدغ كالنون

و لمحمد بن يوسف [بن عبد اللّه المعروف با] لخيّاط الدّمشقى فى معنى العذار:

عدار حبّى دقيق معنى تجلّ عن حسنه الصفات

حلا لرائيه و هو نبت هذا هو السكّر النّبات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۵

و لابن نباتة:

و بمهجتى رشأ يميس قوامه فكأنّه نشوان من شفتيه

شغف العذار بخدّه و رآه قد نعست لواحظه فدبّ عليه

و للصّفدىّ:

عيناه قد شهدت بأنّى مخطئ و أتت تخطّ عذاره تذكارا

يا حاكم الحبّ اتّئد فى قتتى فالخطّ زور و الشهود سكارى

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الشيخ حسن ابن أبى عبد اللّه بن صدقة الصّقلّىّ المقرئ فى شهر ربيع الأوّل و قد نيّف على سبعين.

و شيخ السّبعينيّة قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسىّ بمكّة فى شوّال، و له خمس و خمسون سنة. و مجد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان ابن مظفّر بن هبة اللّه بن عساكر فى ذى القعدة. و قاضى حماة شمس الدين إبراهيم ابن المسلم بن البارزىّ فى شعبان، و له تسع و ثمانون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و إحدى و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۰]

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة سبعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۶

فيها توفّى الملك الأمجد مجد الدين أبو محمد الحسن ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب، كان الملك الأمجد هذا من الفضلاء و عنده مشاركة جيّدة فى كثير من العلوم، و له معرفة تامّة بالأدب.

و فيها توفّى الشيخ عماد الدين عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين الحلبىّ الشافعىّ المعروف بابن العجمىّ، كان فاضلا سمع الحديث و تفقّه و حدّث و درّس و تولّى الحكم بمدينة الفيّوم من أعمال مصر و غيرها و ناب فى الحكم بدمشق، و كان مشكور السّيرة.

و مات بحلب فى رابع عشر شهر رمضان. و مولده فى سنة خمس و ستمائة بحلب.

و فيها توفّى الأديب أمين الدين علىّ بن عثمان بن علىّ بن سليمان بن علىّ بن سليمان ابن علىّ أبو الحسن المعروف بأمين الدين السّليمانىّ الصوفى الإربلىّ الشاعر المشهور، ولد سنة اثنتين و ستمائة. و مات بمدينة الفيّوم من أعمال مصر فى جمادى الأولى، و كان فاضلا مقتدرا على النظم، و هو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، و كان أوّلا جنديّا ثم ترك ذلك و تزهّد. و من شعره و قد أرسل إلى بعض الرؤساء هديّة فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۷

هديّة عبد مخلص فى ولائه لها شاهد منها على عدم المال

و ليست على قدرى و لا قدر مالكى و لكنّها جاءت على قدر الحال

و قال رحمه اللّه:

ألا فاحفظ لسانك فهو خير و طرفك و استمع نصحى و وعظى

فربّ عداوة حصلت بلفظ و ربّ صبابة حصلت بلحظ

و فيها توفّى الرئيس الصدر عماد الدين أبو عبد اللّه محمد بن سالم بن الحسن بن هبة اللّه بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين بن صصرّى التّغلبىّ، البلدىّ الأصل الدّمشقى المولد و الدار و الوفاة العدل الكبير، مولده سنة ثمان و تسعين و خمسمائة و سمع الكثير و حدّث، و كان شيخا جليلا من بيت العلم و الحديث، و قد حدّث هو و أبوه و جدّه و جدّ أبيه و جدّ جدّه و غير واحد من بيته.

و مات فى ذى القعدة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العلّامة الكمال سلّار بن الحسن الإربلىّ الشافعىّ فى جمادى الآخرة، و معين الدين أحمد ابن القاضى زين الدين علىّ بن يوسف الدمشقىّ العدل بمصر فى رجب. و الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن سلمان الحرّانىّ البغدادىّ الحنبلىّ فى شعبان، و له خمس و ثمانون سنة.

و القاضى عماد الدين أبو عبد اللّه محمد بن سالم بن الحسن بن هبة اللّه الدّمشقى ابن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۸

صصرىّ فى ذى القعدة. و الملك الأمجد السيد الجليل حسن ابن الناصر داود صاحب الكرك فى جمادى الأولى كهلا. و الصدر وجيه الدين محمد بن علىّ [بن أبى طالب] ابن سويد التّكريتىّ التاجر فى ذى القعدة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۱]

السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة إحدى و سبعين و ستمائة.

فيها توفّى الأديب الفاضل مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة اللّه ابن أحمد بن قرناص الخزاعى الحموىّ الشاعر المشهور، كان أديبا فاضلا و له اليد الطّولى فى النظم، و مات بحماة يوم الأحد رابع شوّال. و من شعره:

ليلى و ليلك يا سؤلى و يا أملى ضدان هذا به طول و ذا قصر

و ذاك أنّ جفونى لا يلمّ بها نوم و جفنك لا يحظى به السّهر

قلت: و هذا يشبه قول القائل و ما أدرى أيهما أسبق إلى هذا المعنى و هو:

ليلى و ليلى نفى نومى اختلافهما بالطّول و الطّول يا طوبى لو اعتدلا

يجود بالطّول ليلى كلّما بخلت بالطّول ليلى و إن جادت به بخلا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۹

و فيها توفّى الشريف شرف الدين أبو عبد اللّه محمد بن رضوان بن علىّ بن أبى المظفّر بن أبى العتاهية المعروف بالشريف الناسخ. مات بدمشق فى شهر ربيع الآخر، و كان من الفضلاء و له مشاركة فى كثير من العلوم و له اليد الطّولى فى النظم و النثر. و من شعره:

عانقته عند الوداع و قد جرت عينى دموعا كالنّجيع القانى

و رجعت عنه و طرفه فى فترة يملى علىّ مقاتل الفرسان

قلت: و ما أحسن قول القاضى ناصح الدين الأرّجانىّ فى هذا المعنى:

إذا رأيت الوداع فاصبر و لا يهمّنك البعاد

و انتظر العود عن قريب فإنّ قلب الوداع عادوا

و أجاد أيضا من قال فى هذا المعنى:

فإن سرت بالجثمان عنكم فإنّنى أخلّف قلبى عندكم و أسير

فكونوا عليه مشفقين فإنّه رهين لديكم فى الهوى و أسير

و فيها توفّى المحدّث شرف الدين أبو المظفّر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن ابن مفرّج بن بكّار النّابلسى الأصل الدّمشقىّ المولد و الدار و المنشأ و الوفاة المحدّث المشهور، كان فاضلا و سمع الكثير و حدّث، و كانت لديه فضيلة و مشاركة و معرفة بالأدب. و من شعره:

عرّج بعيسك و احبس أيّها الحادى عند الكثيب و عرّس يمنة الوادى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۰

و اقر السّلام على سكّان كاظمة منّى و عرّض بتهيامى و تسهادى

و قل محبّ بنار الشّوق محترق أودى به الوجد خلّفناه بالنّادى

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الحافظ شرف الدين أبو المظفّر يوسف بن الحسن بن النابلسى الدّمشقىّ فى المحرّم. و خطيب المقياس أبو الفتح عبد الهادى بن عبد الكريم القيسىّ المقرئ، و له أربع و تسعون سنة فى شعبان. و المحدّث شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن عمّار بن هامل الحرّانىّ فى رمضان. و أبو العبّاس أحمد بن هبة اللّه بن أحمد السّلمىّ الكهفى فى رجب.

و صاحب «التعجيز» الإمام تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن محمد بن محمد ابن يونس الموصلىّ فى جمادى الأولى ببغداد، و له ثلاث و سبعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إحدى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۲]

السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة اثنتين و سبعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۱

فيها ملك الملك الظاهر بيبرس برقة بعد حروب كثيرة.

و فيها توفّى الصاحب محيى الدين أحمد بن علىّ بن محمد بن سليم الصاحب محيى الدين أبو العباس ابن الصاحب بهاء الدين بن حنّا فى ثامن شعبان بمصر و دفن بسفح المقطّم، و وجد عليه والده وجدا شديدا، و عملت له الأعزية و الختم، و كان فاضلا و سمع من جماعة و حدّث و درّس بمدرسة والده التى أنشأها بزقاق القناديل بمصر إلى حين وفاته.

و فيها توفى المحدّث مؤيّد الدين أبو المعالى أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علىّ بن محمد التّميمىّ المعروف بابن القلانسىّ، مولده بدمشق سنة ثمان أو تسع و تسعين و خمسمائة، و سمع الكثير و حدّث بدمشق و مصر، و هو من البيوتات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۲

المشهورة بالحديث و العدالة و التقدّم. و مات فى ثالث [عشر] المحرّم ببستانه ظاهر دمشق، و كان وافر الحرمة متأهّلا للوزارة كثير الأملاك واسع الصدر

و فيها توفّى الأمير فارس الدين أقطاى بن عبد اللّه الأتابكىّ المعروف بالمستعرب الصالحىّ النجمىّ، كان من أكابر الأمراء و أعيانهم، و كان الملك المظفّر قطز قرّبه و جعله أتابكا و علّق جميع أمور المملكة به. فلمّا تسلطن الملك الظاهر قام معه و حلف له و سلطنه فلم يسع الملك الظاهر إلّا أن أبقاه على حاله، و صار الظاهر فى الباطن يتبرّم منه و لا يسعه إلّا تعظيمه لعدم وجود من يقوم مقامه، فإنّه كان من رجال الدهر حزما و عزما و رأيا، فلمّا أنشأ الملك الظاهر بيليك الخازندار أمره بملازمته و الاقتباس منه فلازمه مدّة، فلمّا علم الظاهر منه الاستقلال جعله مشاركا له فى الجيش، و قطع الرواتب التى كانت لأقطاى المذكور؛ فجمع أقطاى نفسه و تعلّل قريب السنة و صار يتداوى إلى أن مات، و كان أظهر أن به طرف جذام و لم يكن به شىء من ذلك، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبى الفتح التّميمىّ المصرىّ الخياط الشاعر المشهور، و كان يعرف بابن أبى الربيع. مات فى جمادى الآخرة بالقرافة الكبرى، و كان بها سكنه و بها دفن، و كان فاضلا أديبا. و من شعره فى أبى الحسين الجزّار و كان بينهما مهاجاة:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۳

أبا الحسين تأدّب ما الفخر بالشّعر فخر

و ما ترشّحت منه بقطرة و هو بحر

و فيه يقول أيضا:

إن تاه جزاركم عليكم بفطنة عنده و كيس

فليس يرجوه غير كلب و ليس يخشاه عير تيس

و من شعره قوله: لغز فى إبرة و كستبان:

ثلاثة فى أمر خصمين إلفين لكن غير إلفين

هما قريبان و إن فرّقت بينهما الأيام فرقين

فواحد يعضده واحد و يعضد الآخر باثنين

تراهما بينهما وقعة إذ تقع العين على العين

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو عبد اللّه محمد بن سليمان [بن محمد بن سليمان] بن عبد الملك بن علىّ المعافرىّ الشاطبىّ المقرئ الزاهد نزيل الإسكندرية، قرأ بالسّبع فى الأندلس و برع فى القراءات و التفسير و له تفسير صغير. و مات فى العشرين من شهر رمضان، و له سبع و ثمانون سنة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة فريد عصره جمال الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه [بن عبد اللّه] بن مالك النحوىّ الجيّانىّ الشافعىّ الطائىّ العالم المشهور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۴

صاحب التصانيف فى النحو و العربيّة نزيل دمشق مولده سنة إحدى و ستمائة، و سمع الحديث و تصدّر بحلب لإقراء العربيّة، و صرف همّته إلى النحو حتى بلغ فيه الغاية، و صنّف التصانيف المفيدة، و كان إماما فى القراءات، و صنّف فيها أيضا قصيدة مرموزة فى مقدار الشاطبيّة، و كان إماما فى اللّغة.

قلت: و شهرته تغنى عن الإطناب فى ذكره. و مات فى ثانى عشر شعبان و قد نيّف على السبعين، رحمه اللّه تعالى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى مؤيّد الدين أسعد ابن المظفّر التّميمىّ ابن القلانسىّ عن ثلاث و سبعين سنة فى المحرّم، و السيد تجيب الدين عبد اللطيف بن أبى محمد عبد المنعم [بن علىّ بن نصر بن منصور بن هبة اللّه أبو الفرج ابن الإمام الواعظ أبى محمد] بن الصّيقل الحرانىّ فى صفر، و له خمس و ثمانون سنة. و المسند تقىّ الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليسر [شاكر بن عبد اللّه] التّنوخىّ الكاتب فى صفر، و له ثلاث و ثمانون سنة. و أبو عيسى عبد اللّه بن عبد الواحد ابن محمد [بن عبد الواحد] بن علّاق الأنصارىّ الرزاز فى شهر ربيع الأوّل عن ستّ و ثمانين سنة. و القاضى كمال الدين عمر بن بندار التّفليسىّ بمصر فى شهر ربيع الأوّل و قد جاوز السبعين. و المحدّث نجم الدين علىّ بن عبد الكافى الرّبعىّ الشافعىّ فى شهر ربيع الآخر شابّا. و الشيخ كمال الدين عبد العزيز بن عبد المنعم فى شعبان عن ثلاث و ثمانين سنة. و العلّامة جمال الدين محمد بن عبد اللّه [بن عبد اللّه] بن مالك الطائى الجيّانىّ فى شعبان عن نحو سبعين سنة. و الأمير الكبير أتابك المستعرب، و اسمه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۵

فارس الدين أقطاى الصالحىّ، و قد ولى نيابة المظفر قطز؛ توفى فى جمادى الأولى، و الزاهد الكبير الشيخ محمد بن سليمان [بن محمد بن سليمان] الشاطبىّ بالإسكندريّة و خواجا [محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد اللّه] نصير [الدين] الطّوسىّ فى ذى الحجة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و إحدى و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ست أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۳]

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ثلاث و سبعين و ستمائة.

فيها كانت أعجوبة فى السابع و العشرين من شعبان و هو أنّه وقع رمل بمدينة الموصل ظهر من القبلة و انتشر يمينا و شمالا حتى ملأ الآفاق و عمّيت الطّرق، فخرج العالم إلى ظاهر البلد، و لم يزالوا يبتهلون إلى اللّه تعالى بالدعاء إلى أن كشف اللّه ذلك عنهم.

و فيها توفّى الأمير شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن موسى بن يغمور بن جلدك.

و قد تقدّم ذكر والده الأمير جمال الدين موسى، كان شهاب الدين هذا، مروفا بالشجاعة و الشهامة و الصّرامة و الحرمة، ولّاه الملك الظاهر المحلّة و أعمالها من الغربيّة من إقليم مصر، فهذّبها و مهّد قواعدها و أباد المفسدين بها بحيث إنّه قطع من الأيدى و الأرجل ما لا يحصى كثرة، و شنق و وسّط فخافه البرىء و السقيم. و مات بالمحلّة فى الرابع و العشرين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۶

من جمادى الأولى، و كان عنده رياسة و حشمة و برّ لمن يقصده؛ و له نظم و عنده فضيلة.

و من شعره يخاطب الأمير علم الدين الدّوادارى:

إن صددتم عن منزلى فلكم فى ه ثناء كنشر روض بهىّ

أو رددتم فأنا المحبّ الذى من آل موسى فى الجانب الغربىّ

و له:

خطب أتى مسرعا فآذى أصبح جسمى به جداذا

خضّد قلبى و عمّ غيرى يا ليتنى متّ قبل هذا

و له فى مليح نحوىّ:

و مليح تعلّم النحو يحكى مشكلات له بلفظ و جيز

ما تميزت حسنه قطّ إلّا قام أيرى نصبا على التمييز

و فيها هلك بيمند الفرنجىّ متملّك طرابلس بها فى العشر الأوّل من شهر رمضان و دفن فى كنيسة بها، و نملّك بعده ابنه، و كان حسن الشكل مليح الصورة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو محمد شمس الدين عبد اللّه ابن شرف الدين محمد بن عطاء الأذرعىّ الأصل الدّمشقىّ الوفاة الحنفىّ، كان إماما فقيها مفتيا عالما مفتّنا، أفتى و درّس بعدّة مدارس، و هو أوّل قاض ولى القضاء استقلالا بدمشق من الحنفيّة فى العصر الثانى. و أمّا أوّل الزمان فوليها جماعة كثيرة من العلماء فى أوائل الدولة العبّاسيّة. و حسنت سيرته فى القضاء إلى الغاية؛ و قصّته مع الملك الظاهر بيبرس مشهورة لمّا أوقع الظاهر الحوطة على الأملاك و البساتين بدمشق، و قعد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۷

الظاهر فى دار العدل بدمشق و جرى الحديث فى هذا المعنى بحضور القضاة الأربعة و العلماء و غيرهم، فكلّ من القضاة ألان له القول و خشى سطوة الملك الظاهر إلّا شمس الدين هذا، فإنّه صدع بالحقّ و قال: ما يحلّ لمسلم أن يتعرّض لهذه الأملاك و البساتين! فإنّها بيد أربابها و يدهم ثابتة عليها. فغضب الملك الظاهر من هذا القول و قام من دار العدل و قال: إذا كنّا ما نحن مسلمون إيش قعودنا! فشرع الأمراء يتألّفوه و لا زالوا به حتى سكن غضبه؛ فلمّا رأى الظاهر صلابة دينه حظى عنده و قال: أثبتوا كتبنا عند هذا القاضى الحنفىّ و عظم فى عينه و هابه.

و كان من العلماء الأعيان تامّ الفضيلة وافر الديانة كريم الأخلاق حسن العشرة كثير التواضع عديم النظير، و انتفع بعلمه جمّ غفير، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد ابن محمد التّكريتىّ الجدّ، الموصلىّ الأب، الدمشقىّ المولد، المحلىّ الوفاة المعروف- بابن الطحّان الشهير بالحافظ اليغمورىّ، كان فاضلا سمع الكثير بعدّة بلاد، و كان له مشاركة فى فنون، و كان أديبا شاعرا. و من شعره:

رجع الودّ على رغم الأعادى و أتى الوصل على وفق مرادى

ما على الأيام ذنب بعد ما كفّر القرب إساءات البعاد

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفّر منصور بن سليم الهمدانى بالإسكندريّة فى شوّال. و قاضى القضاة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۸

شمس الدين عبد اللّه بن محمد بن عطاء الحنفىّ فى جمادى الأولى و هو فى عشر الثمانين.

و أبو الفتح عمر بن يعقوب الإربلىّ الصوفىّ فى يوم النحر.

أمر النيل فى هذه السنة المباركة- الماء القديم خمس أذرع و أربع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۴]

السنة السادسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة أربع و سبعين و ستمائة.

فيها توفّى الأمير عزّ الدين أبو محمد أيبك بن عبد اللّه الإسكندرانىّ الصالحىّ النجمىّ، كان أستاذه الملك الصالح نجم أيّوب يبق به و يعتمد عليه و ولّاه الشّوبك، و جعل عنده جماعة كثيرة من خواصّه: منهم الأمير عزّ الدين أيدمر الحلّىّ، و الأمير سنجر الحصنىّ، و الأمير أيبك الزرّاد؛ و كان عنده كفاية و خبرة تامّة و صرامة شديدة و مهابة عظيمة يقيم الحدود على ما تجب، ثم نقل فى عدّة وظائف إلى أن مات فى شهر رمضان بقلعة الرّحبة و دفن بظاهرها.

و فيها توفّى الحسن بن علىّ بن الحسن بن ماهك بن طاهر أبو محمد فخر الدين الحسينى نقيب الأشراف و ابن نقيبهم، مولده سنة ثمان و ستمائة، و مات يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأوّل ببعلبكّ، و كان عنده فضيلة و معرفة بأنساب العلويّين و نظم نظما متوسّطا و كان مبذّرا للأموال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۹

و فيها توفّى الأمير الكبير ركن الدين خاص ترك بن عبد اللّه الصالحىّ النجمىّ، و كان شجاعا مقداما مقدّما عند الملوك. مات فى شهر ربيع الأوّل بدمشق.

و فيها توفى الشيخ زين الدين أبو المظفّر عبد الملك بن عبد اللّه بن عبد الرحمن ابن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر الحلبىّ الشافعىّ المعروف بابن العجمىّ، مولده بحلب سنة إحدى و تسعين و خمسمائة، و سمع الحديث و حدّث و كان شيخا فاضلا.

مات فى ذى القعدة بالقاهرة، و دفن بسفح المقطّم و هو خال قاضى القضاة كمال الدين أحمد بن الأستاذ.

و فيها توفّى الشيخ بهاء الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبيد اللّه [بن جبريل] كان صدرا كبيرا عالما فاضلا شاعرا. مات بالقاهرة و دفن بالفرافة و هو فى عشر الستين، و من شعره، رحمه اللّه تعالى:

و لقد شكوت لمتلفى حالى و لطّفت العباره

فكأنّنى أشكو إلى حجر و إنّ من الحجارة

و له:

يا راحلا قد كدت أقضى بعده أسفا و أحشائى عليه تقطّع

شطّ المزار فما القلوب سواكن لكنّ دمع العين بعدك ينبع

و فيها توفّى الشيخ الإمام تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد [بن] الحسين بن جعفر بن عمارة بن عيسى بن علىّ بن عمارة التميمى الصّرخدىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۰

الحنفىّ، مولده سنة ثمان و سبعين و خمسمائة بصرخد. و مات ليلة الجمعة السادس و العشرين من شهر ربيع الآخر بدمشق، و دفن بمقابر الصوفيّة عند قبر شيخه جمال الدين الحصيرىّ، كان من الصلحاء العلماء العاملين، كان كثير التواضع قنوعا من الدنيا معرضا عنها، و كانت له وجاهة عظيمة عند الملوك و انتفع به جم غفير من الطلبة، و كانت له اليد الطّولى فى النظم و النثر. و من شعره قوله:

ما نلت من حبّ من كلفت به إلّا غراما عليه أو ولها

و محنتى فى هواه دائرة آخرها ما يزال أوّلها

قلت: و أرشق من هذا من قال:

محبّتى ما تنقضى لجفوة تبطلها

كأنّها دائرة آخرها أوّلها

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المحدّث مكين الدين أبو الحسن بن عبد العظيم الحصنىّ المصرىّ فى رجب، و له أربع و سبعون سنة.

و سعد الدين أبو الفضل محمد بن مهلهل بن بدران الأنصارىّ الجبتى المصرى سمع الأرتاحىّ. و توفى تاج الدين محمود بن عابد التميمىّ الصّرخدى الحنفى الشاعر المشهور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۱

فى شهر ربيع الآخر عن نيّف و تسعين سنة. و سعد الدين الخضر بن شيخ الشيوخ تاج الدين عبد اللّه [بن شيخ الشيوخ أبى الفتح عمر] بن حمّويه الجوينى فى ذى الحجّة عن ثلاث و ثمانين سنة. و أبو الفتح عثمان بن هبة اللّه بن عبد الرحمن [بن مكّى ابن إسماعيل] بن عوف الزهرى آخر أصحاب ابن موقا فى شهر ربيع الآخر بالإسكندرية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم القاعدة لم تحرّر لاختلاف المؤرّخين.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۵]

السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة خمس و سبعين و ستمائة.

فيها توفّى إبراهيم بن سعد [اللّه] بن جماعة بن علىّ بن جماعة بن حازم بن صخر أبو إسحاق الحموىّ الكنانىّ المعروف بابن جماعة، سمع الفخر بن عساكر و غيره و حدّث. و مولده يوم الاثنين منتصف رجب سنة ستّ و تسعين و خمسمائة بحماة، و هو والد القاضى بدر الدين بن جماعة. مات يوم عيد النّحر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۲

و فيها توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن أيبك [بن عبد اللّه بن] الإسكندرىّ، و كان ممّن جمع بين حسن الصورة و حسن السّيرة و وفور العقل و الرياسة و مكارم الأخلاق. مات غريقا، مرّ بفرسه على جسر حجر فزلق الفرس و وقع به فى النهر و خرج الفرس سباحة و مات هو. فكأنّ الجلال بن الصفّار المارديىّ عناه بقوله:

يأيّها الرّشأ المكحول ناظره بالسّحر حسبك قد أحرقت أحشائى

إنّ انغماسك فى التّيار حقّق أنّ الشمس تغرب فى عين من الماء

أو بقوله أيضا. و قيل إنهما لأبى إسحاق الشّيرازىّ، و اللّه أعلم:

غريق كانّ الموت رقّ لحسنه فلان له فى صفحة الماء جانبه

أبى اللّه أن يسلوه قلبى فإنّه توفّاه فى الماء الذى أنا شاربه

و فيها توفّى الشيخ المعتقد الصالح أبو الفتيان أحمد بن علىّ بن إبراهيم [بن محمد] ابن أبى بكر المقدسىّ الأصل البدوىّ المعروف بأبى اللّثامين السطوحىّ. مولده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۳

سنة ستّ و تسعين و خمسمائة، و توفّى فى سنة خمس و سبعين فى شهر ربيع الأوّل، و دفن بطندتا و قبره يقصد للزيارة هناك، و كان من الأولياء المشهورين، و سمّى بأبى اللّثامين لملازمته اللّثامين صيفا و شتاء، و كان له كرامات و مناقب جمة، رحمه اللّه تعالى و نفعنا ببركاته.

و فيها توفّى العلّامة بدر الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حفّاظ السّلمىّ الحنفىّ المعروف بابن الفويرة. مات بدمشق فى يوم السبت حادى عشرين جمادى الأولى و قال الحافظ عبد القادر فى طبقاته:

رأيت بخط الحافظ الدّمياطىّ فى مشيخته أنّه توفّى ليلة الجمعة فجأة منتصف شهر ربيع الآخر سنة أربع و سبعين و ستمائة. و كان إماما عالما متبحّرا فى العلوم، درّس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۴

بالشّبليّة [بجبل] الصالحيّة و أفتى سنين و برع فى الفقه و العربيّة و سمع الكثير، و كان يكتب خطّا حسنا، و له معرفة أيضا بالأصول و الأدب و له نظم رائق، و كان رئيسا و عنده ديانة و مروءة و مكارم أخلاق. و من شعره [فى مليح شاعر]:

و شاعر يسحرنى طرفه و رقّة الألفاظ من شعره

أنشدنى نظما بديعا فما أحسن ذاك النظم من ثغره

و له فى معذّر:

عاينت حبّة خاله فى روضة من جلّنار

فغدا فؤادى طائرا فاصطاده شرك العذار

و له:

كانت دموعى حمرا يوم بينهم فمذ نأوا قصّرتها لوعة الحرق

قطفت باللّحظ وردا من خدودهم فاستقطر البعد ماء الورد من حدقى

و قيل إنّه رئى فى المنام بعد موته فسئل عمّا لقى بعد موته فكان جوابه.

ما كان لى من شافع عنده إلّا اعتقادى أنّه واحد

و فيها توفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحرّانىّ الحنبلىّ، كان فقيها إماما عالما عارفا بعلم الأصول و الخلاف و الفقه و درّس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۵

و أفتى و اشتغل [على الشيخ علم الدين القاسم فى الأصول و العربيّة] و مات فى جمادى الأولى. و من شعره قوله:

طار قلبى يوم ساروا فرقا و سواء فاض دمعى أورقا

حار فى سقمى من بعدهم كلّ من فى الحىّ داوى أورقى

بعدهم لاطلّ وادى المنحنى و كذا بان الحمى لا أورقا

و فيها توفى الأديب الشاعر شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود ابن بركة الشيبانى التّلعفرىّ الشاعر المشهور، مولده سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بالموصل، و مات بحماة فى شوّال. كان أديبا فاضلا حافظا للأشعار و أيّام العرب و أخبارها، و كان يتشيّع، و كان من شعراء الملك الأشرف موسى شاه أرمن، و كان التّلعفرىّ هذا مع تقدّمه فى الأدب و براعته ابتلى بالقمار، و وقع له بسبب القمار أمور منها: أنه نودى بحلب من قبل السلطان: من فامر مع الشّهاب التلعفرىّ قطعنا يده، فضاقت عليه الأرض، فجاء إلى دمشق و لم يزل يستجدى و يقامر حتى بقى فى اتون من الفقر.

قلت: و ديوان شعره لطيف فى غاية الحسن و هو موجود بأيدى الناس. و من شعره قصيدته المشهورة:

أىّ دمع من الجفون أساله إذ أتته مع النسيم رساله

حمّلته الرياح أسرار عرف أودعتها السحائب الهطّاله

يا خليلى و للخليل حقوق واجبات الأداء فى كلّ حاله

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۶

سل عقيق الحمى و قل إذ تراه خاليا من ظبائه المختاله

أين تلك المراشف العسلىّ ات و تلك المعاطف العسّاله

و ليال قضيتها كلأل بغزال تغار منه الغزاله

بابلىّ الألحاظ و الريق و الأل فاظ كلّ مدامة سلساله

من بنى التّرك كلّما جذب القو س رأينا فى برجه بدر هاله

أوقع الوهم حين يرمى فلم ند ر يداه أم عينه النّبّاله

قلت لمّا لوى ديون وصالى و هو مثر و قادر لا محاله

بيننا الشرع قال سربى فعندى من صفاتى لكلّ دعوى دلاله

و شهودى من خال حدّى و [من] قد ى شهود معروفة بالعداله

أنا وكلت مقلتى فى دم الخل ق فقالت قبلت هذى الوكاله

و له موشّحة مدح بها شهاب الدين الأعزازىّ، ثم وقع بينهما و تهاجيا.

و أوّل الموشّحة:

ليس يروى ما بقلبى من ظما غير برق لائح من إضم

إن تبدّى لك بان الأجرع و أثيلات النّقا من لعلع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۷

يا خليلى قف على الدّار معى و تأمّل كم بها من مصرع

و احترز و احذر فأحداق الدّمى كم أراقت فى رباها من دم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۲۵۷

حظّ قلبى فى الغرام الوله فعذولى فيك ما لى و له

حسبى الليل فما أطوله لم يزل آخره أوّله

فى هوى أهيف معسول اللّمى ريقه كم قد شفى من ألم

و له فى القمار:

ينشرح الصدر لمن لاعبنى و الأرض بى ضيّقة فروجها

كم شوّشت شيوشها عقلى و كم عهدا سقتنى عامدا بنوجها

و من شعره و أجاد، عفا اللّه عنه:

أحبّ الصالحين و لست منهم رجاء أن أنال بهم شفاعه

و أبغض من به أثر المعاصى و إن كنّا سواء فى البضاعه

الـذين ذكر الـذهبىّ وفاتهم فى هـذه السـنة، قال: و فيها توفّى القاضـى شـمس الدين علىّ بن محمود الشـهرزورىّ مدرّس القيمريّة فى شوّال. و الشيخ قطب الدين أحمد بن عبد السلام [بن المطهّر بن عبد اللّه بن محمد بن هبة اللّه بن علىّ] بن أبى عصرون بحلب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٥٨

فى جمادى الآخرة. و الإمام شمس الدين محمد بن عبد الوهّاب بن منصور الحرّانىّ الحنبلىّ فى جمادى الأولى. و الشهاب محمد بن يوسف بن مسعود التّلعفرىّ الشاعر بحماة فى شوّال، و له ثلاث و ثمانون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٥٩

[ما وقع من الحوادث سنة ۶٧۶]

ذكر ولاية السلطان الملك السعيد محمد ابن الملك الظاهر بيبرس على مصر

هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد المدعو بركة خان ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ الصالحىّ النّجمىّ، الخامس من ملوك التّرك بمصر. سمّى بركة خان على اسم جدّه لأمّه بركة خان بن دولة خان الخوارزمىّ.

تسلطن الملك السعيد هذا فى حياة والده حسب ما ذكرناه فى ترجمة والده فى يوم الخميس ثالث عشر شوّال سنة اثنتين و ستّين و ستمائة. و أقام على ذلك سنين، و ليس له من السلطنة إلّا مجرّد الاسم، إلى أن توفّى أبوه الملك الظاهر بيبرس فى يوم الخميس بعد صلاة الظهر التاسع و العشرين من المحرّم من سنة ستّ و سبعين و ستمائة بدمشق. اتفق رأى الأمراء [على] إخفاء موت الظاهر، و كتب الأمير بيليك الخازندار عرّف الملك السعيد هذا بذلك على يد الأمير بدر الدين بكتوت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢۶٠

الجوكندار الحموىّ، و على يد الأمير علاء الدين أيدغمش الحكيمىّ الجاشنكير.

فلمّا بلغ الملك السعيد موت والده الملك الظاهر أخفاه أيضا، و خلع عليهما و أعطى كلّ واحد منهما خمسين ألف درهم، على أنّ ذلك بشارة بعود السلطان إلى الديار المصريّة. و سافرت العساكر من دمشق إلى جهة الديار المصريّة فدخلوها يوم الخميس سادس عشرين صفر من سنة ستّ و سبعين و ستمائة، و مقدّمهم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار؛ و دخلوا مصر و هم يخفون موت الملك الظاهر فى الصورة الظاهرة، و فى صدر الموكب مكان تسيير السلطان تحت العصائب، محفّة وراءها السّلحدارية و الجمداريّة و غيرهم من أرباب الوظائف توهم أنّ السلطان فى المحفّة مريض، هذا مع عمل جدّ فى إظهار ناموس السلطنة و الحرمة للمحفّة و التأدّب مع من فيها حتى تمّ لهم ذلك.

قلت: للّه درّهم من أمراء و حاشية! و لو كان ذلك فى عصرنا هذا ما قدر الأمراء على إخفاء ذلك من الظهر إلى العصر.

و لمّا وصلوا إلى قلعة الجبل، ترجّل الأمراء و العساكر بين يدى المحفّة، كما كانت العادة فى الطريق فى كل منزلة من حين خروجهم من دمشق إلى أن وصلوا إلى قلعة الجبل من باب السرّ، و عند دخولها إلى القلعة اجتمع الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بالملك السعيد هذا، و كان الملك السعيد لم يركب لتلقّيهم، و قبّل الأرض و رمى بعمامته ثم صرخ، و قام العزاء فى جميع القلعة، و لوقتهم جمعوا الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢۶١

و المقدّمين و الجند و حلّفوهم بالإيوان المجاور لجامع القلعة للملك السعيد، و استتبت له الأمر على هذه الصورة، و خطب له يوم الجمعة [سابع عشرين صفر] بجوامع القاهرة و مصر، و صلّى على والده صلاة الغائب.

و مولد الملك السعيد هذا فى صفر سنة ثمان و خمسين و ستمائة؛ و قيل: سنة سبع و خمسين بالعشّ من ضواحى مصر، و نشأ بديار

مصر تحت كنف والده إلى أن سلطنه فى حياته؛ كما تقدّم ذكره.

و أمّا الأمير بدر الدين بيليك الخازندار فإنّه لم تطل مدّته، و مات فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأوّل. و خلع الملك السعيد على الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانىّ بنيابة السلطنة عوضا عن بيليك الخازندار المذكور.

و فى سادس عشر شهر ربيع الأوّل [يوم الأربعاء] ركب السلطان الملك السعيد من القلعة تحت العصائب على عادة والده و سار إلى تحت الجبل الأحمر، و هذا أوّل ركوبه بعد قدوم العسكر، ثم عاد و شقّ القاهرة و سرّ الناس به سرورا زائدا، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۲

عمره يومئذ تسع عشرة سنة، و طلع القلعة و أقام إلى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور قبض على الأمير سنقر الأشقر و على الأمير بدر الدين بيسرى و حبسهما بقلعة الجبل. ثم فى يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الآخر قبض الملك السعيد على الأمير آق سنقر الفارقانىّ نائب السلطنة بديار مصر المقدّم ذكره.

ثم فى تاسع عشر الشهر المذكور أفرج الملك السعيد عن الأمير سنقر الأشقر و بيسرى و خلع عليهما و أعادهما إلى مكانتهما.

و فى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت المدرسة التى أنشأها الأمير آق سنقر الفارقانىّ المجاورة للوزيريّة بالقاهرة و جعل شيخها على مذهب أبى حنيفة رضى اللّه عنه.

و فى يوم الجمعة [رابع عشر جمادى الآخرة] قبض الملك السعيد على خاله الأمير بدر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمىّ و حبسه بقلعة الجبل لأمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۳

نقمه عليه، ثم أفرج عنه فى ليلة خامس عشرينه، و خلع عليه و أعاده إلى منزلته.

و كان الملك السعيد هذا أمر ببناء مدرسة لدفن أبيه فيها، حسب ما أوصى به والده، فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس فى ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق إلى التربة المذكورة بدمشق داخل باب الفرج قبالة المدرسة العادليّة، و التربة المذكورة كانت دار الشريف العقيقى فاشتريت و هدمت، و بنى موضع بابها قبّة الدفن و فتح لها شبابيك على الطريق و جعل بقبّة الدار مدرسة على فريقين:

حنفيّة و شافعيّة. و كان دفنه بها فى نصف الليل و لم يحضره سوى الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهرىّ نائب الشام، و من الخواصّ دون العشرة لا غير.

ثم وقع الاهتمام إلى السّفر للبلاد الشامية و تجهّز السلطان و العساكر. فلمّا كان يوم السبت سابع ذى القعدة برز الملك السعيد بالعساكر من قلعة الجبل إلى مسجد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۴

التّبن خارج القاهرة فأقام به إلى يوم السبت حادى عشرينه، انتقل بخواصّه إلى الميدان الذى أنشأه بين مصر و القاهرة، و دخلت العساكر إلى منازلهم، و بطلت حركة السفر بعد أن أعاد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلّكان إلى قضاء دمشق و أعمالها من العريش الى سلمية، و توجّه ابن خلكان إلى الشام، و طلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل و أبطل حركة السفر بالكليّة إلى وقت يريده حسب ما وقع الاتفاق عليه، و استمرّ بالقلعة إلى أن أمر العساكر بالتأهب إلى السفر و تجهّز هو أيضا لأمر اقتضى ذلك.

و خرج من الديار المصريّة فى العشر الأوسط من ذى القعدة من سنة سبع و سبعين و ستمائة و خرج من القاهرة بعساكره و أمرائه، و سار حتى وصل إلى الشام فى خامس ذى الحجّة، فخرج أهل دمشق إلى ملتقاه و زيّنوا له البلد و سرّوا بقدومه سرورا زائدا. و عمل عيد النّحر بقلعة دمشق و صلّى العيد بالميدان الأخضر.

و ورد عليه الخبر بموت الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنّا بالقاهرة، فقبض السلطان على حفيده الصاحب تاج الدين

محمد، و ضرب الحوطة على موجوده بسبب موت جدّه الصاحب بهاء الدين المذكور.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۵

ثم أرسل السلطان الملك السعيد إلى برهان الدين الخضر بن الحسن السّنجاريّ باستقراره وزيرا بالديار المصرية ثم خلع السلطان على الصاحب فتح الدين عبد اللّه [ابن محمد بن أحمد بن خالد بن نصر] بن القيسرانيّ بوزارة دمشق، و بسط يده فى بلاد الشام و أمر القضاة و غيرهم بالركوب معه.

ثم جهّز السلطان العساكر إلى بلاد سيس للنّهب و الإغارة، و مقدّمهم الأمير سيف الدين قلاوون الألفيّ. و أقام الملك السعيد بدمشق فى نفر يسير من الأمراء و الخواصّ، فصار فى غيبة العسكر يكثر التردّد الى الربعية من قرى المرج يقيم فيها أيّاما ثمّ يعود. ثم أسقط السلطان ما كان قرّره والده الملك الظاهر على بساتين دمشق فى كلّ سنة، فسرّ الناس بذلك و تضاعفت أدعيتهم له و استمرّ السلطان بدمشق إلى أن وقع الخلف فى العشر الأوسط من شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان و سبعين بين المماليك الخاصّكية الملازمين لخدمته و بين الأمراء لأمور يطول شرحها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۶

و عجز الملك السعيد عن تلافى ذلك، و خرج عن طاعته الأمير سيف الدين كوندك الظاهرىّ نائب السلطنة و مقدّم العساكر مغاضبا للسلطان الملك السعيد، و خرج معه نحو أربعمائة مملوك من الظاهريّة: منهم جماعة كثيرة مشهورة بالشجاعة و نزلوا بمنزلة القطيفة فى انتظار العساكر التى ببلاد سيس ففى العشر الأخير من شهر ربيع الأوّل عادت العساكر من بلاد سيس إلى جهة دمشق فنزلوا بمرج عذراء إلى القصير؛ و كان قد اتّصل بهم سيف الدين كوندك و من معه و استمالوهم فلم يدخل العسكر دمشق، و أرسلوا إلى الملك السعيد فى معنى الخلف الذى حصل بين الطائفتين، و كان كوندك مائلا إلى الأمير بيسرى. و لمّا اجتمع بالأمير سيف الدين قلاوون الألفى و الأمير بدر الدين بيسرى و الأمراء الكبار أوحى إليهم عن السلطان ما غلّت صدورهم، و خوّفهم من الخاصّكية و عرّفهم أنّ نيّتهم لهم غير جميلة، و أنّ الملك السعيد موافق على ذلك و أكثر من القول المختلق؛ فوقع الكلام بين الأمراء الكبار و بين السلطان الملك السعيد، و تردّدت الرّسل بينهم، فكان من جملة ما اقترح الأمراء على الملك السعيد إبعاد الخاصّكية عنه، و ألّا يكون لهم فى الدولة تدبير و لا حديث، بل يكونوا على أخبازهم و وظائفهم مقيمين؛ فلم يجب الملك السعيد إلى ذلك؛ فرحل العسكر من مرج عذراء إلى ذيل عقبة الشّحورة بأسرهم و لم يعبروا المدينة بل جعلوا طريقهم من المرج، و أقاموا بهذه المنزلة ثلاثة أيام، و الرّسل تتردّد بينهم و بين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۷

الملك السعيد؛ ثم رحلوا و نزلوا بمرج الصّفّر و عند رحيلهم رجع الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهرى نائب الشام و أكثر عسكر دمشق، و قدموا مدينة دمشق و دخلوا فى طاعة السلطان. و فى يوم رحيلهم من مرج الصّفّر سيّر الملك السعيد والدته بنت بركة خان فى محفّة و فى خدمتها الأمير شمس الدين قرا سنقر، و كان من الذين لم يتوجّهوا إلى بلاد سيس و لحقوا العسكر؛ فلمّا سمعوا بوصولها خرج الأمراء الأكابر المقدّمون لملتقاها، و ترجّلوا بأجمعهم و قبّلوا الأرض أمام المحفّة، و بسطوا الحرير العتّابى و غيره تحت حوافر بغال المحفّة و مشوا أمام المحفّة حتى نزلت فى المنزلة، فلمّا استقرّت بها تحدّثت معهم فى الصلح و الانقياد و اجتماع الكلمة، فذكروا ما بلغهم من تغيّر السلطان عليهم، و موافقته الخاصّكية على ما يرومونه من إمساكهم و إبعادهم؛ فحلفت لهم على بطلان ما نقل إليهم، فاشترطوا شروطا كثيرة التزمت لهم بها، و عادت إلى ولدها و عرّفته الصورة؛ فمنعه من حوله من الخاصّكية من الدخول تحت تلك الشروط، و قالوا: ما القصد إلّا إبعادنا عنك حتّى يتمكنوا منك و ينزعوك من الملك، فمال إلى كلامهم و أبى قبول تلك الشروط.

فلمّا بلغ العسكر ذلك رحل من مرج الصّفّر قاصدا الديار المصريّة؛ فخرج السلطان الملك السعيد بنفسه فيمن معه من الخاصّكية جريدة، و ساق فى طلبهم ليتلافى الأمر إلى أن بلغ رأس الماء، فوجدهم قد عدوه و أبعدوا، فعاد من يومه و دخل قلعة دمشق فى الليل

و هى ليلة الخميس سلخ شهر ربيع الأوّل سنة ثمان و سبعين و ستمائة. و أصبح فى يوم الجمعة مستهلّ شهر ربيع الآخر خرج السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۸

الملك السعيد بجميع من تحلّف معه من العساكر المصريّة و الشاميّة إلى جهة الديار المصريّة بعد أن صلّى الجمعة بها، و سار بمن معه فى طلب العساكر المقدّم ذكرهم، و جهّز والدته و خزائنه إلى الكرك؛ و سار حتّى وصل إلى بلبيس يوم الجمعة خامس عشر شهر ربيع الآخر المذكور، فوجد العسكر قد سبقه إلى القاهرة؛ فأمر بالرحيل من بلبيس؛ فلمّا أخذت العساكر فى الرحيل من بلبيس بعد العصر فارق الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهرىّ نائب الشام و صحبته أكثر أمراء دمشق السلطان الملك السعيد، و انضاف إلى المصريّين، و بلغ الملك السعيد ذلك فلم يكترث؛ و ركب بمن بقى معه من خواصّه و عساكره و سار بهم حتّى وصل ظاهر القاهرة؛ و كان نائبه بالديار المصريّة الأمير عز الدين أيبك الأفرم، و هو بقلعة الجبل و العساكر محدقة بها، فتقدّم الملك السعيد بمن معه لقتال العساكر، و كان الذى بقى مع السلطان الملك السعيد جماعة قليلة بالنسبة إلى من يقاتلونه، و وقع المصافّ بينهم و تقاتلوا فحمل الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ من جهة الملك السعيد و شقّ الأطلاب و دخل إلى قلعة الجبل بعد أن قتل من الفريقين نفر يسير، و ملك القلعة و شال علم السلطان، ثم نزل و فتح للملك السعيد طريقا و طلع به إلى القلعة.

و أمّا سنقر الأشقر فإنّه بقى فى المطريّة وحده و صار لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء.

و لمّا طلع السلطان إليها أحاطت العساكر بها و حاصروها و قاتلوا من بها قتالا شديدا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۹

و ضايقوها و قطعوا الماء الذى يطلع إليها و زحفوا عليها فجدّوا فى القتال، و رأى الملك السعيد تخلّى من كان معه و تخاذل من بقى معه من الخاصّكيّة، و علم أنّه لا طاقة له بهم، و كان المشار إليه فى العسكر المخامر الأمير سيف الدين قلاوون الألفىّ، و هو حمو الملك السعيد فإنّ الملك السعيد كان تزوّج ابنته قبل ذلك بمدّة، فجرت المراسلات بينهم و كثر الكلام و تردّدت الرّسل غير مرّة، حتّى استقرّ الحال على أن الملك السعيد يخلع من السلطنة و ينصّبون فى السلطنة أخاه بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس، و يقطعون الملك السعيد هذا و أخاه نجم الدين خضرا الكرك و الشّوبك و أعمالهما؛ فسيّر الملك السعيد الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ و القاضى تاج الدين محمد بن الأثير إلى الأمير سيف الدين قلاوون و أعيان الأمراء ليستوثق لنفسه منهم، فحلفوا له على الوفاء بما التزموه من إعطاء الكرك و الشّوبك له و لأخيه.

و خرج من قلعة الجبل يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور و نزل إلى دار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۰

العدل التى على باب القلعة، و كانت مركز الأمير قلاوون فى حال المصافّ و القتال، و كان الحصار ثلاثة أيام بيوم القدوم لا غير.

و لمّا حضر الملك السعيد إلى عند قلاوون أحضر أعيان القضاة و الأمراء و المفتين و خلعوا الملك السعيد هذا من السلطنة و سلطنوا مكانه أخاه بدر الدين سلامش و لقّبوه بالملك العادل سلامش، و عمره يومئذ سبع سنين و جعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحىّ النّجمىّ. و استمرّت بنت قلاوون عند زوجها الملك السعيد المذكور إلى ما سيأتى ذكره.

ثم أخذ قلاوون فى تحليف الأمراء للملك العادل فحلفوا له بأجمعهم على العادة، و ضربت السّكّة فى أحد الوجهين: اسم الملك العادل و الآخر اسم قلاوون، و خطب لهما أيضا معا على المنابر، و استمرّ الأمر على ذلك؛ و تصرّف قلاوون فى المملكة و الخزائن، و عامله الأمراء و الجيوش بما يعاملون به السلطان. ثم عمل قلاوون بخلع الملك السعيد محضرا شرعيّا و وضع الأمراء خطوطهم عليه و شهادتهم فيه، و كتب فيه المفتون و القضاة و أعطوا الملك السعيد الكرك و عملها، و أخاه نجم الدين خضرا الشّوبك و عملها. و خرج الملك السعيد من قلعة الجبل إلى بركة الحجّاج متوجّها إلى الكرك فى يوم الاثنين ثامن عشر شهر ربيع الآخر المذكور من سنة ثمان و سبعين (أعنى ثانى يوم من خلعه) و معه جماعة من العسكر صورة ترسيم، و مقدّمهم الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٧١

سيف الدين بيدغان الرّكنى، ثم بدا لهم أن يرجعوا به إلى القلعة فعادوا إليها فى نهار الاثنين لأمر أرادوه و قرّروه معه ثم أمروه بالتوجّه؛ فخرج و سافر ليلة الثلاثاء إلى الكرك بمن معه فوصلها يوم الاثنين خامس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، و تسلّم أخوه نجم الدين خضر الشّوبك، و كان الأمير بيدغان و من معه قد فارقوا الملك السعيد من غزّة و رجعوا إلى الديار المصريّة؛ و أقام الملك السعيد بالكرك و زال ملكه؛ فكانت مدّة حكمه و سلطنته بعد موت أبيه الملك الظاهر بيبرس إلى يوم خلعه سنتين و شهرين و خمسة عشر يوما، و استمرّ بالكرك مع مماليكه و عياله، و قصده الناس و الأجناد، فصار ينعم على من يقصده، و استكثر من استخدام المماليك.

ثم رسم الأمير سيف الدين قلاوون بانتقال الملك خضر من الشّوبك إلى عند أخيه الملك السعيد بالكرك، و تسلّم نوّاب قلاوون الشّوبك؛ و دام الملك السعيد على ذلك حتى خلع سلامش من السلطنة و تسلطن قلاوون حسب ما يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمتهما.

فلمّا تسلطن قلاوون بلغه عن الملك السعيد أنّه استكثر من استخدام المماليك و أنّه ينعم على من يقصده فاستوحش منه، و تأثّر من ذلك. فمرض الملك السعيد بعد ذلك بمدّة يسيرة و توفّى، رحمه اللّه تعالى، فى يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة سنة ثمان و سبعين و ستمائة بالكرك، و دفن من يومه بأرض مؤتة عند جعفر بن أبى طالب، رضى اللّه عنه، ثم نقل بعد ذلك إلى دمشق فى سنة ثمانين و ستمائة فدفن إلى جنب والده الملك الظاهر بيبرس بالتّربة التى أنشأها قبالة المدرسة العادليّة السّيفيّة، و ألحده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٧٢

قاضى القضاة عزّ الدين محمد بن الصائغ. و كانت مدة إقامته بالكرك بعد أن خلع من السلطنة ستة أشهر و خمسة و عشرين يوما. و وجد الناس عليه كثيرا و عمل عزاؤه بسائر البلاد، و خرجت الخوندات حاسرات بجواريهنّ يلطمن بالملاهى و الدّفوف أياما عديدة، و يسمعن الملك المنصور قلاوون الكلام الخشن و أنواع السبّ و هو لا يتكلّم، فإنّه نسب اليه أنه اغتاله بالسمّ لمّا سمع كثرة استخدامه للمماليك و غيرهم.

قلت: و لا يبعد ذلك عن الملك المنصور قلاوون لكثرة تخوّفه من عظم شوكته و كثرة مماليك والده و حواشيه. و أبغض الناس الملك المنصور قلاوون سنينا كثيرة إلى أن أرضاهم بكثرة الجهاد و الفتوحات؛ و أبغض الملك المنصور قلاوون حتى ابنته زوجة الملك السعيد المذكور، فإنّها وجدت على زوجها الملك السعيد وجدا عظيما و تألّمت لفقده؛ و لم تزل باكية عليه حزينة لم تتزوّج بعده إلى أن توفّيت بعد زوجها الملك السعيد بمدّة طويلة فى مستهلّ شهر رجب سنة سبع و ثمانين و ستمائة.

و كانت شقيقة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، و دفنت فى تربة معروفة بوالدها بين مصر و القاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٧٣

و صلّى على الملك السعيد بدمشق صلاة الغائب يوم الجمعة رابع و عشرين ذى الحجّة. ثم أنعم الملك المنصور بالكرك بعد موته على أخيه خضر و لقّب بالملك المسعود خضر.

و كان الملك السعيد، رحمه اللّه، سلطانا جليلا كريما سخىّ الكفّ، كثير العدل فى الرعيّة، محسنا للخاصّ و العامّ، لا يردّ سائلا و لا يخيّب آملا، و كان متواضعا بشوشا، حسن الأخلاق ليس فى طبعه عسف و لا ظلم، كثير الشفقة و الرحمة على الناس، ليّن الكلمة محبّا لفعل الخير، قليل الحجاب على الناس يتصدّى للأحكام بنفسه، و كان لا يميل لسفك الدماء مع قدرته على ذلك، و كان يوم دخوله إلى قلعة الجبل ولد له مولود ذكر من بعض حظاياه فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة.

و كان يحبّ التجمّل و يكثر من الإنعام على الناس و يخلع حتّى فى الأعزبة. و لمّا مات خاله الأمير بدر الدين محمد بن بركة خان بن دولة خان، و كان من أعيان الأمراء بالديار المصريّة فى الدولة الظاهريّة، و كان حصل له عند إفضاء الملك لابن أخته الملك السعيد

تقدّم كبير و مكانة عالية، و توجّه معه إلى دمشق فمرض بها إلى أن توفّى ليلة الخميس تاسع شهر ربيع الأوّل، و دفن بسفح قاسيون بالتّربة المجاورة لرباط الملك الناصر صلاح الدين يوسف؛ و مقدار عمره خمسون سنة، عمل له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۴

عدّة أعزية و قرئ بالتّربة عدّة ختمات، حضر إحداها ابن أخته الملك السعيد، و مدّ خوان فيه من عظيم فاخر الأطعمة و الحلاوات، فأكل من حضر، و خلع الملك السعيد على والدته و مماليكه و خواصّه و هو فى العزاء فلبسوا الخلع و قبّلوا الأرض، و كانت الخلع خارجة عن الحدّ. فهذا أيضا ممّا يدلّ على كرمه و وسع نفسه و كثرة إنعامه حتّى فى الأعزية، رحمه اللّه تعالى. انتهت ترجمة الملك السعيد.

و يأتى ذكر حوادث سنين سلطنته على عادة هذا الكتاب، إن شاء اللّه تعالى.

السنة الأولى من ولاية الملك السعيد محمد بركة خان على مصر، و هى سنة ستّ و سبعين و ستمائة.

فيها توفى الشيخ كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل [بن إبراهيم ابن فارس] الإسكندرى المقرئ، كان عارفا بالقراءات، و انتفع به خلق كثير، و تولّى نظر حبس دمشق، و نظر بيت المال بها مضافا إلى نظر الحبس، و باشر عدّة وظائف دينيّة. و مات فى صفر. و كان رئيسا فاضلا.

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه المحمّدىّ الصالحىّ النّجمىّ، كان من أعيان الأمراء و من أكابرهم، و كان الملك الظاهر بيبرس يخافه، فحبسه مدّة طويلة ثم أفرج عنه فمات فى شهر ربيع الأوّل، و دفن بتربته بالقرافة الصغرى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۵

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الموصلىّ الظاهرىّ نائب السلطنة بحمص، و كان ولى حمص مدّة ثم عزله الملك الظاهر عنها و نفاه إلى حصن الأكراد، و كان شجاعا مقداما.

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الدّمياطىّ الصالحىّ النّجمىّ أحد أكابر الأمراء المقدّمين على الجيوش، كان قديم الهجرة [بينهم] فى علوّ المنزلة و سموّ المكانة، و كان الملك الظاهر أيضا حبسه مدّة طويلة ثم أطلقه و أعاده إلى مكانته.

و مات بالقاهرة فى شعبان و دفن بتربته التى أنشأها بين القاهرة و مصر فى القبّة المجاورة لحوض السبيل المعروف به.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۶

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيدمر بن عبد اللّه العلائىّ نائب قلعة صفد، حضر بعد موت الملك الظاهر إلى القاهرة و مات بها و دفن بالقرافة الصغرى، و كان ديّنا عفيفا أمينا، و هو أخو الأمير علاء الدين أيدكين الصالحىّ.

و فيها توفّى الأمير بدر الدين بيليك بن عبد اللّه الظاهرىّ الخازندار نائب السلطنة بالديار المصريّة بل بالممالك كلّها. قد تقدّم من ذكره نبذة جيّدة فى عدّة مواطن، و هو الذى أخفى موت الملك الظاهر حتى قدم به إلى مصر حسب ما تقدّم ذكره، و كانت وفاته بالقاهرة فى سادس شهر ربيع الأوّل بقلعة الجبل و دفن بتربته التى أنشأها بالقرافة الصغرى، و حزن الناس عليه حزنا شديدا حتى شمل مصابه الخاصّ و العامّ، و عمل عزاؤه بالقاهرة ثلاثة أيام، فى الليل بالشّموع و أنواع الملاهى. و صدّع موته القلوب و أبكى العيون؛ و قيل: إنّه مات مسموما، و كان عمره خمسا و أربعين سنة، و محاسنه كثيرة يطول الشرح فى ذكرها.

و فيها توفّى الشيخ المعتقد خضر بن أبى بكر [محمد] بن موسى أبو العبّاس المهرانىّ العدوىّ، كان أصله من قرية المحمّديّة من أعمال جزيرة ابن عمر، و هو شيخ الملك الظاهر بيبرس، و صاحب الزاوية التى بناها له الملك الظاهر بالحسينيّة على الخليج بالقرب من جامع الظاهر. و قد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الظاهر ما يغنى عن الإعادة هاهنا. و كان الشيخ خضر بشّر الملك الظاهر قبل سلطنته بالملك، فلمّا تسلطن صار له فيه العقيدة العظيمة حتّى إنّه كان ينزل إليه فى الجمعة المرّة و المرّتين،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۷

و كان يطلعه على غوامض أسراره، و يستشيره فى أموره، و يستصحبه فى أسفاره، و فيه يقول الشريف محمد بن رضوان الناسخ.

ما الظاهر السلطان إلا مالك الد نيا بذاك لنا الملاحم تخبر

و لنا دليل واضح كالشمس فى وسط السماء بكلّ عين تنظر

لمّا رأينا الخضر يقدم جيشه أبدا علمنا أنّه الإسكندر

و كان الشيخ يخبر الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع على ما يخبره، ثم تغيّر الملك الظاهر عليه لأمور بلغته عنه و أحضر السلطان من حاققه، و ذكروا عنه من القبائح ما لم يصدر عن مسلم! و اللّه أعلم بصحّة ذلك؛ فآستشار الملك الظاهر الأمراء فى أمره، فمنهم من أشار بقتله، و منهم من أشار بحبسه، فمال الظاهر إلى قتله ففهم خضر؛ فقال للظاهر: اسمع ما أقول لك، إنّ أجلى قريب من أجلك، و بينى و بينك مدّة أيّام يسيرة، فمن مات منّا لحقه صاحبه عن قريب! فوجم الملك الظاهر و كفّ عن قتله، فحبسه فى مكان لا يسمع له فيه حديث، و كان حبسه فى شوّال سنة إحدى و سبعين و ستمائة، و توفّى يوم الخميس أو فى ليلة الجمعة سادس المحرّم سنة ست و سبعين و ستمائة، و دفن بزوايته بالحسينيّة. و كان الملك الظاهر بدمشق، فلمّا بلغه موته اضطرب و خاف على نفسه من الموت لما كان قال له الشيخ خضر: إنّ أجله من أجله قريب، فمرض الظاهر بعد أيام يسيرة و مات، فكان بين الشيخ خضر و بين الملك الظاهر دون الشهر. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۸

و فيها توفّى شيخ الإسلام محيى الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف بن مرى بن الحسن ابن الحسين النّووىّ الفقيه الشافعىّ الحافظ الزاهد صاحب المصنّفات المشهورة.

ولد فى العشر الأوسط من المحرّم سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة، و مات ليلة الأربعاء رابع عشرين شهر رجب بقرية نوى.

قلت: و فضله و علمه و زهده أشهر من أن يذكر. و قد ذكرنا من أمره نبذة كبيرة فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى»؛ إذ هو كتاب تراجم يحسن الإطناب فيه. انتهى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الملك القاهر عبد الملك بن المعظّم [عيسى] بن العادل [أبى بكر بن أيّوب] فى المحرّم مسموما.

و السلطان الملك الظاهر ركن الدين الصالحىّ بيبرس فى أواخر المحرّم بالقصر الأبلق،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۹

و له بضع و خمسون سنة. و كمال الدين إبراهيم بن الوزيرى نجيب الدين [أحمد] بن إسماعيل [بن إبراهيم] بن فارس التّميمىّ الكاتب المقرئ فى صفر، و له ثمانون سنة.

و الواعظ نجم الدين علىّ بن علىّ بن إسفنديار بدمشق فى رجب، و له خمس و أربعون سنة و أشهر. و بيليك الظاهرىّ الخازندار نائب مصر. و الصاحب معين الدين سليمان بن علىّ [بن محمد بن حسن] البرواناه الرومىّ، قتله أبغا فى المحرّم. و الشيخ خضر بن أبى بكر العدوىّ شيخ السلطان. و الشيخ الإمام شمس الدين محمد [بن إبراهيم ابن عبد الواحد بن علىّ بن سرور قاضى القضاة أبو بكر و أبو عبد اللّه المعروف ب] ابن العماد الحنبلىّ فى المحرّم بمصر. و القاضى تقىّ الدين محمد بن حياة الرّقّىّ قاضى حلب بتبوك فى المحرّم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۷]

اشارة

السنة الثانية من ولاية الملك السعيد على مصر، و هى سنة سبع و سبعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۰

فيها توفّى الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس إبراهيم بن أحمد بن أبى الفرج الدّمشقىّ الحنفىّ المعروف بابن السّديد إمام مقصورة الحنفيّة شمالى جامع دمشق و ناظر وقفها. كان إماما فقيها ديّنا كثير الخير غزير المروءة. مات فى جمادى الأولى ببستانه بالمزّة و دفن بسفح قاسيون.

و فيها توفّى الأمير شمس الدّين آق سنقر بن عبد اللّه الفارقانىّ، كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، ثم انتقل إلى ملك السلطان الملك الظاهر بيبرس، و تقدّم عنده و جعله أستادارا كبيرا. و كان للملك الظاهر عدّة أستادارية، و كان الملك الظاهر كثير الوثوق به فى أموره و يستنيبه فى غيبته و يقدّمه على عساكره، و لمّا صار الأمر إلى الملك السعيد جعله نائبه لسائر الممالك بعد بيليك الخازندار، فلمّا ثارت الخاصّكيّة قبضوا عليه و قتلوه، و قيل إنّه بقى فى هذه السنة، و الأصحّ أنّهم قبضوا عليه و سجنوه إلى أن مات فى جمادى الأولى من هذه السنة. و كان أميرا كبيرا جسيما شجاعا مقداما مهابا ذا رأى و تدبير و عقل و دهاء، كثير البرّ و الصدقات عالى الهمّة، و له مدرسة عند داره داخل باب سعادة بالقاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۱

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه النّجيبىّ الصالحىّ النّجمىّ الأيّوبىّ، كان مقرّبا عند أستاذه الملك الصالح و ولّاه أستادارا، و كان كثير الاعتماد عليه. ثم ولّاه الملك الظاهر بيبرس نيابة دمشق فأقام بها تسع سنين، ثم عزله و تركه بطّالا بالقاهرة إلى أن مات بها فى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بداره بدرب ملوخيّا من القاهرة، و دفن يوم الجمعة بتربته بالقرافة الصغرى.

و فيها توفّى الشيخ جمال الدين طه بن إبراهيم بن أبى بكر بن أحمد بن بختيار الهذبانى الإربلىّ، كان عنده فضيلة و أدب و رياسة، و له يد فى النظم. و مات فى جمادى الأولى. و من شعره فى النهى عن النظر فى النجوم:

دع النجوم لطرقىّ يعيش بها و بالعزيمة فانهض أيّها الملك

إنّ النّبىّ و أصحاب النّبىّ نهوا عن النجوم و قد أبصرت ما ملكوا

و فيها توفّى قاضى القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة اللّه العقيلىّ الحلبىّ الحنفىّ ابن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم. كان إماما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۲

عالما فاضلا كبير الديانة و الورع، كان جمع بين العلم و العمل و الرياسة، ولى قضاء دمشق مع عدّة تداريس، و لم يزل قاضيا إلى أن توفّى بظاهر دمشق بجوسقه الذى على الشّرف [الأعلى] القبلى فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الاخر، و دفن فى تربة أنشأها قبالة الجوسق المذكور. و من شعره ما كتبه لخاله عون الدين سليمان ابن العجمىّ بسبب ابن مالك، فقال:

أمولاى عون الدين يا راويا لنا حديث المعالى عن عطاء و نافع

بعيشك حدّثنى حديث ابن مالك فأنت له يا مالكى خير شافع

و فيها توفّى الشيخ موفّق الدين أبو محمد عبد اللّه بن عمر بن نصر اللّه الأنصارىّ، كان أديبا فاضلا. قال الشيخ قطب الدين اليونينىّ فى الذيل على المرآة: «صاحبنا [كان أديبا فاضلا مقتدرا على النظم]، و له مشاركة فى علوم كثيرة، منها: الكحل و الطبّ، و غير ذلك من الفقه و النحو و الأدب، و يعظ الناس، حلو النادرة حسن المحاضرة». انتهى كلام قطب الدين. قلت و من شعره:

قلبى و طرفى فى ديارهم هذا يهيم بها و ذا يهمى

رسم الهوى لما وقفت بها للدمع أن يجرى على الرسم

و فيها توفّى الأديب نجم الدين أبو المعالى محمد بن سوّار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشّيبانىّ الدمشقىّ المولد و الدار و الوفاة، كان أديبا فاضلا قادرا على النظم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۳

صوفيّا. و قد ذكرنا حكايته مع الشّهاب الخيمىّ لمّا ادّعى كلّ منهما القصيدة البائية التى أوّلها:

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب

و تداعيا عند الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض فأمر ابن الفارض أن يعمل كل منهما قصيدة على الوزن و القافية فعملا ذلك، فحكم ابن الفارض بالقصيدة للشهاب الخيمىّ. و قد ذكرنا القصائد الثلاث فى «المنهل الصافى» فى ترجمة شهاب الدين الخيمىّ. و ابن إسرائيل هذا ممّن تكلّموا فيه و رموه بالاتّحاد.

و اللّه أعلم بحاله. و من شعر ابن إسرائيل هذا على مذهب القوم:

خلا منه طرفى و امتلا منه خاطرى فطرفى له شاك و قلبى شاكر

و لو أنّنى أنصفت لم تشك مقلتى بعادا و دارات الوجود مظاهر

و له أيضا:

يا من تناءى و فؤادى داره مضناك قد أقلقه تذكاره

صددت عنه قبل ما وصلته و كان قبل سكره خماره

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة مجد الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عمر ابن أحمد بن أبى شاكر الإربلىّ الأديب الفقيه الحنفىّ المعروف بابن الظّهير. مولده بإربل فى ثانى صفر سنة اثنتين و ستمائة و نشأ بها، و طلب العلم و تفقّه و برع فى الفقه و الأصول و العربيّة، و قدم دمشق و تصدّى بها للإقراء و التدريس و درّس بالقايمازيّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۴

بدمشق؛ و هو من أعيان شيوخ الأدب و فحول المتأخرين و له ديوان شعر، و سمع الحديث ببغداد من أبى بكر بن الخازن و الكاشغرىّ [و] بدمشق من السّخاوىّ و كريمة و تاج الدين بن حمّويه؛ و روى عنه أبو شامة و القوصىّ و الدّمياطى و الشهاب محمود، و عليه تدرّب فى الأدب، و [أبو الحسين] اليونينىّ و الحافظ جمال الدين المزّىّ.

و لمّا مات رثاه تلميذه الشّهاب محمود بقصيدة أوّلها:

تمكّن ليلى و اطمأنّت كواكبه و سدّت على صبح الغداة مذاهبه

بكته معاليه و لم ير قبله كريم مضى و المكرمات نوادبه

و من شعر ابن الظّهير:

قلبى و طرفى ذا يسيل دما و ذا دون الورى أنت العليم بقرحه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۵

و هما بحبّك شاهدان و إنّما تعديل كلّ منهما فى جرحه

و القلب منزلك القديم فإن تجد فيه سواك من الأنام فنحّه

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الأديب نجم الدين محمد [بن سوّار] بن إسرائيل الحريرى الشاعر المشهور فى شهر ربيع الآخر. و الإمام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن الظّهير الحنفىّ الأديب فى شهر ربيع الآخر أيضا.

و الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانىّ فى الحبس فى جمادى الأولى. و الأمير جمال الدين آقوش النّجيبىّ بالقاهرة فى شهر ربيع الآخر. و شيخ الحنفية و قاضيهم الصّدر سليمان بن أبى العزّ بن وهيب الحنفى فى شعبان، و له ثلاث و ثمانون سنة.

و الصاحب مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة اللّه العقيلىّ قاضى الحنفية فى شهر ربيع الآخر، و له ثلاث و ستون سنة. و الوزير بهاء الدين علىّ بن محمد بن سليم المصرىّ بن حنّا فى ذى القعدة. و المحدّث ناصر الدين محمد ابن عربشاه الهمذانىّ فى جمادى الأولى. و المحدّث شهاب الدين أحمد بن محمد بن عيسى الجزرىّ. و أبو المرجىّ المؤمّل بن محمد بن علىّ [بن محمد بن علىّ بن منصور عزّ الدين] البالسىّ فى رجب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و خمس أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۶

ذكر سلطنة الملك العادل سلامش على مصر

هو السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارىّ الصالحىّ النجمىّ السادس من ملوك الترك بمصر.

تسلطن بعد خلع أخيه الملك السعيد أبى المعالى ناصر الدين محمد بركة خان باتّفاق الأمراء على سلطنته، و جلس على سرير الملك فى يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان و سبعين و ستمائة و عمره يوم تسلطن سبع سنين. و جعلوا أتابكه و مدبّر مملكته الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى النّجمىّ. و ضربت السّكّة على أحد الوجهين باسم الملك العادل سلامش هذا، و على الوجه الآخر اسم الأمير قلاوون؛ و خطب لهما أيضا على المنابر. و استمرّ الأمر على ذلك و صار الأمير قلاوون هو المتصرّف فى الممالك و العساكر و الخزائن، و لم يكن لسلامش فى السلطنة مع قلاوون إلّا مجرّد الاسم فقط. و أخذ قلاوون فى الأمر لنفسه. فلمّا استقام له الأمر دخل إليه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر و وافقه على السلطنة و أخفى ذلك لكونه كان خشداشه، و كان الأمير عزّ الدين أيدمر نائب الشام عاد إلى الشام بمن معه بعد خلع الملك السعيد، فوصل إلى دمشق يوم الأحد مستهلّ جمادى الأولى، فخرج لتلقّيه من كان تخلّف بدمشق من الأمراء و الجند، و المقدّم عليهم الأمير جمال الدين آقوش الشمسىّ. و كان قلاوون قد كاتب آقوش فى أمر أيدمر هذا و القبض عليه، فلمّا وصلوا إلى مصلّى العيد بقصر حجّاج احتاط الأمير جمال الدين آقوش الشمسى و الأمراء الذين معه على الأمير أيدمر نائب الشام و أخذوه بينهم، و فرّقوا بينه و بين عسكره الذين حضروا معه من الديار المصريّة، و دخلوا إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۷

دمشق من باب الجابية، و رسموا عليه بدار فى دمشق؛ ثمّ نقلوه إلى قلعة دمشق و اعتقلوه بها. و كان الملك السعيد قبل أن يخرج من الشام سلّم قلعة دمشق للأمير علم الدين سنجر الدّويدارىّ و جعله النائب عنه أيضا فى البلد. ثمّ أرسل قلاوون جمال الدين آقوش الباخلى و شمس الدين سنقر جاه [الكنجىّ] إلى البلاد الشاميّة و على يدهم نسخة الأيمان بالصورة التى استقرّ الحال عليها بمصر، و أحضروا الأمراء و الجند و القضاة و العلماء و أكابر البلد للحلف، و كان معهم نسخة بالمكتوب المتضمّن خلع الملك السعيد و تولية الملك العادل سلامش، فقرئ ذلك على الناس و حلفوا و استمرّ الحلف أيّاما. ثمّ إنّ الأمير قلاوون ولّى خشداشه الذى اتّفق معه على السلطنة، و هو الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، نيابة الشام و أعمالها فتوجّه سنقر الأشقر إليها، و دخلها يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة من سنة ثمان و سبعين المذكورة بتجمّل زائد، فكان موكبه يضاهى موكب السلطان، و عند وصوله إلى دمشق أمر الأمير علم الدين سنجر الدّويدارىّ بالنزول من قلعة دمشق فنزل فى الحال. و صفا الوقت للأمير قلاوون بمسك أيدمر نائب الشام، و بخروج سنقر الأشقر من الديار المصريّة و انبرم أمره مع الأمراء و الخاصّكيّة، و اتّفقوا معه على خلع الملك العادل سلامش من السلطنة و توليته إيّاها. فلمّا كان يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رجب سنة ثمان و سبعين و ستمائة اجتمع الأمراء و القضاة و الأعيان بقلعة الجبل و خلعوا الملك العادل بدر الدين سلامش من السلطنة لصغر سنّه، و تسلطن عوضه أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحىّ النّجمىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۸

و نعت بالملك المنصور، على أنّه كان هو المتصرّف فى المملكة منذ خلع الملك السعيد و تسلطن الملك العادل سلامش، و لم يكن لسلامش فى أيام سلطنته غير الاسم، و قلاوون هو الكلّ! و كان عدم سلطنة قلاوون قبل سلامش أنّه خاف ثورة المماليك الظاهريّة عليه، فإنّهم كانوا يوم ذاك هم معظم عسكر الديار المصريّة، و أيضا كانت بعض القلاع فى يد نوّاب الملك السعيد فلمّا مهّد أمره تسلطن. و لمّا بلغ سنقر الأشقر سلطنة قلاوون داخله الطّمع فى الملك و أظهر العصيان، على ما سيأتى ذكره فى ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء اللّه تعالى.

و كانت مدّة سلطنة الملك العادل بدر الدين سلامش على مصر ثلاثة أشهر و ستّة أيام. و لزم الملك العادل سلامش داره عند أمّه إلى أن أرسله الملك المنصور قلاوون إلى الكرك، فأقام به عند أخيه الملك خضر مدّة؛ ثم رسم الملك المنصور بإحضاره إلى القاهرة فحضر إليها، و بقى خاملا إلى أن مات الملك المنصور قلاوون و تسلطن من بعده ولده الملك الأشرف خليل بن قلاوون، جهزه و أخاه الملك خضرا و أهله إلى مدينة اسطنبول بلاد الأشكرى، فأقام هناك إلى أن توفّى بها فى سنة تسعين و ستمائة. و كان شابّا مليحا جميلا تامّ الشكل رشيق القدّ طويل الشّعر ذا حياء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۹

و وقار و عقل تامّ. مات و له من العمر قريب من عشرين سنة؛ قيل: إنّه كان أحسن أهل زمانه، و به افتتن جماعة من الناس، و شبّب به الشعراء و صار يضرب به المثل فى الحسن حتى يقول القائل: «ثغر سلامسىّ». انتهت ترجمة الملك العادل سلامش، رحمه اللّه.

ما وقع من الحوادث سنة السنة التى حكم فيها الملك السعيد إلى سابع عشر شهر ربيع الآخر، ثم حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى حادى عشرين شهر رجب الملك العادل سلامش، ثم فى باقيها الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفىّ، و هى سنة ثمان و سبعين و ستمائة.

فيها كان خلع ولدى الملك الظاهر بيبرس من السلطنة: الملك السعيد محمد بركة خان، و الملك العادل بدر الدين سلامش، و تسلطن بعد سلامش الأمير قلاوون.

و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه.

و فيها توفّى الفقيه المحدّث صفىّ الدين أبو [محمد] إسحاق [بن] إبراهيم بن يحيى الشّقراوىّ الحنبلى، ولد بشقراء من ضياع برزة من عمل دمشق سنة خمس و ستمائة.

و مات بدمشق فى ذى الحجّة، و كان فاضلا فقيها سمع الكثير و حدّث.

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه الرّكنىّ المعروف بالبطاح أحد أكابر أمراء دمشق، عاد من تجريدة سيس مريضا و مات بحلب و نقل إلى حمص فدفن عند قبر خالد بن الوليد، رضى اللّه عنه. و الركنى: نسبة الى أستاذه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۰

الأمير ركن الدين بيبرس الصالحىّ النّجمىّ الذى لقى الفرنج بأرض غزّة و كسرهم، و هو غير الملك الظاهر بيبرس.

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه الشّهابىّ السّلحدار، كان أيضا فى تجريدة سيس و عاد مريضا، و توفّى بحماة ثم نقل إلى دمشق و دفن عند خشداشه أيدكين [بن عبد اللّه] الشهابى، نسبة إلى الطّواشى شهاب الدين رشيد الخادم الصالحىّ الكبير و هو أستاذهما.

و فيها توفّى الأمير نور الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن مجلّى الهكّارىّ، كان من أجل الأمراء و أعظمهم، ولى نيابة حلب، و كان حسن السيرة عالى الهمة كريم الأخلاق شجاعا مقداما عارفا مدبّرا معظّما فى الدّول. مات بعد عزله عن نيابة حلب فى مرض موته باستعفائه عنها بها فى شهر ربيع الآخر و دفن بها، و قد نيّف على السبعين سنة، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الشيخ جمال الدين أبو زكريّا يحيى بن أبى المنصور بن أبى الفتح ابن رافع بن علىّ الحرّانىّ الحنبلىّ المعروف بابن الصّيرفىّ، كان إماما فقيها عالما مفتنّا فى الفقه متبحّرا فيه كثير الإفادة، و أفتى و درّس و انتفع به الطلبة، و مات فى صفر.

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بن الظاهر بالكرك فى ذى القعدة، و له عشرون سنة و أشهر.

و المسند أبو العبّاس أحمد بن أبى الخير سلامة بن إبراهيم الحدّاد الحنبلىّ يوم عاشوراء.

و الإمام جمال الدين يحيى بن أبى المنصور بن الصّيرفىّ الحرّانىّ فى صفر، و له خمس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۱

و تسعون سنة. و صفىّ الدين إسحاق بن إبراهيم الشّقراوىّ. و فاطمة بنت الملك المحسن ببزاعة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع سواء. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۲

ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون على مصر

السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالى و أبو الفتح قلاوون بن عبد اللّه الألفىّ التركىّ الصالحىّ النّجمىّ السابع من ملوك الترك بالديار المصرية، و الرابع ممن مسّه الرّقّ.

ملك الديار المصرية بعد خلع الملك السعيد و صار مدبّر مملكة الملك العادل بدر الدين سلامش إلى أن خلع سلامش و تسلطن الملك المنصور قلاوون هذا من بعده فى حادى عشرين، و قيل عشر شهر رجب سنة ثمان و سبعين و ستمائة، و جلس على سرير الملك بأبّهة السلطنة و شعار الملك و تمّ أمره. و لمّا استقل بالمملكة أمسك جماعة كثيرة من المماليك و الأمراء الظاهريّة و غيرهم، و استعمل مماليكه على البلاد و القلاع، فلم يبلغ ريقه حتّى خرج عليه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب دمشق، فإنّه لمّا وصل إليه البريد إلى دمشق بسلطنة المنصور قلاوون فى يوم الأحد سادس عشرى رجب، و على يده نسخة يمين التّحليف للأمراء و الجند و أرباب الدولة و أعيان الناس، فأحضروا إلى دار السعادة بدمشق و حلفوا إلّا الأمير سنقر الأشقر نائب الشام، فإنّه لم يحلف و لا رضى بما جرى من خلع سلامش و سلطنة قلاوون،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۳

فلم يلتفت أهل دمشق إلى كلامه. و خطب بجامع دمشق للملك المنصور قلاوون و جوامع الشام بأسرها خلا مواضع يسيرة توقّفوا، ثم خطبوا بعد ذلك.

و أمّا الملك المنصور قلاوون فإنّه فى شهر رمضان عزل الصاحب برهان الدين السّنجارىّ عن الوزارة بالديار المصريّة، و أمره بلزوم مدرسة أخيه قاضى القضاة بدر الدين السّنجارىّ بالقرافة الصغرى، و استقرّ مكانه فى الوزاره الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصريّة، و تولّى عوضه صحابة الديوان القاضى فتح الدين محمد ابن القاضى محيى الدين [عبد اللّه] بن عبد الظاهر، و هو أوّل كاتب سرّ كان فى الدولة التّركية و غيرها، و إنما كانت هذه الوظيفة فى ضمن الوزارة، و الوزير هو المتصرّف فى الديوان، و تحت يده جماعة من الكتاب الموقّعين، و فيهم رجل كبير كنائب كاتب السّر الآن، سمّى فى الآخر صاحب ديوان الإنشاء. و من الناس من قال: إنّ هذه الوظيفة قديمة. و استدلّ بقول صاحب صبح الأعشى و غيره ممّن كتب للنبىّ، صلى اللّه عليه و سلم، و من بعده.

و ردّ على من قال ذلك جماعة أخر، و قالوا: ليس فى ذكر من كتب للنبىّ، صلّى اللّه عليه و سلّم، و غيره من الخلفاء دلاله على وظيفة كتابة السّر، و إنّما هو دليل لكلّ كاتب كتب لملك أو سلطان أو غيرهما كائنا من كان، فكلّ كاتب كتب عند رجل يقول: هو أنا

ذاك الكاتب، و إذا الأمر احتمل و احتمل سقط الاحتجاج به. و من قال: إنّ هذه الوظيفة ما أحدثها إلّا الملك المنصور قلاوون فهو الأصح، و نبيّن ذلك، إن شاء اللّه تعالى، فى أواخر هذه الترجمة، و تذكر من ذكره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۴

صاحب صبح الأعشى و غيره من الكتّاب من عهد النّبيّ، صلّى اللّه عليه و سلّم، إلى يومنا هذا على سبيل الاختصار. انتهى. و قد خرجنا عن المقصود.

و أمّا سنقر الأشقر فإنّه فى يوم الجمعة رابع عشرى ذى القعدة من السنة ركب من دار السعادة بدمشق بعد صلاة العصر و معه جماعة من الأمراء و الجند، و هم رجّالة و هو راكب وحده و قصد القلعة من الباب الذى يلى المدينة فهجمها بمن كان معه، و طلعها و جلس بها من ساعته و حلّف الأمراء و الجند و من حضر و تسلطن و تلقب «بالملك الكامل»، و نادت المنادية فى المدينة بسلطنته و استقلاله بالممالك الشاميّة، و فى بكرة يوم السبت خامس عشرين ذى القعدة طلب القضاة و العلماء و رؤساء البلد و أكابره و أعيانه إلى مسجد أبى الدّرداء، رضى اللّه عنه، بقلعة دمشق و حلّفهم و حلّف بقيّة الناس على طاعته؛ ثم وجّه العساكر فى يوم الأربعاء تاسع عشرينه إلى بلاد غزّة لحفظ البلاد و مغلّها و دفع من يأتى إليها من الديار المصريّة. و خرجت سنة ثمان و سبعين و ليس للملك المنصور قلاوون حكم إلّا على الديار المصرية و أعمالها فقط.

و لمّا استهلت سنة تسع و سبعين و الملك المنصور سلطان مصر، و الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر سلطان دمشق و ما والاها، و صاحب الكرك الملك المسعود خضر ابن الملك الظاهر بيبرس، و صاحب حماة و المعرّة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك تقى الدين محمود الأيّوبيّ؛ و العراق و الجزيرة و الموصل و إربل و أذربيجان و ديابكر و خلاط و خراسان و العجم و ما وراء ذلك بيد التّتار و الروم؛ و صاحب اليمن الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر [بن علىّ بن رسول]، و صاحب مكّة، شرّفها اللّه تعالى، الشريف نجم الدين أبو نميّ الحسنيّ، و صاحب المدينة الشريفة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۵

على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، الأمير عزّ الدين جمّاز بن شيحة الحسينيّ؛ ذكرنا هؤلاء تنبيها للناظر فى الحوادث الآتية، ليكون فيما يأتى على بصيرة. انتهى.

ثم إنّ السلطان الملك المنصور قلاوون فى أوّل سنة تسع و سبعين و ستّمائة المذكورة جهّز عسكرا لغزّة، فلمّا قاربوها لقيهم عسكر الملك الكامل سنقر الأشقر و قاتلوهم حتّى نزحوهم عنها، و انكسر العسكر المصرىّ و قصد الرّمل و اطمأنّ الشاميّون بغزّة و نزلوا بها ساعة من النهار، و كانوا فى قلّة، فكرّ عليهم عساكر الديار المصريّة ثانيا و كبسوهم و نالوا منهم منالا كبيرا، و رجع عسكر الشام منهزما إلى مدينة الرّملة.

و أمّا الملك الكامل سنقر الأشقر فإنّه قدم عليه بدمشق الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنّا ملك العرب بالبلاد الشرقيّة و الشماليّة؛ و دخل على الكامل و هو على السّماط فقام له الكامل، فقبّل عيسى الأرض و جلس عن يمينه فوق من حضر.

ثم وصل إلى الملك الكامل أيضا الأمير شهاب الدين أحمد بن حجّىّ بن بريد ملك العرب بالبلاد الحجازيّة فأكرمه الملك الكامل غاية الإكرام.

و أمّا الملك المنصور لما بلغه ما وقع لعسكره بغزّة جهّز عسكرا آخر كثيفا إلى دمشق لقتال الملك الكامل سنقر الأشقر، و مقدّمهم الأمير علم الدين سنجر الحلبيّ، و خرجوا من مصر و ساروا إلى جهة الشام، فصار عسكر دمشق الذى بالرّملة كلّما تقدّم العسكر المصرىّ منزلة تأخّر هو منزلة إلى أن وصل أوائلهم إلى دمشق فى أوائل صفر. و فى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر المذكور خرج الملك الكامل من دمشق بنفسه بجميع من عنده من العساكر، و ضرب دهليزه بالجسورة و خيّم هناك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۶

بجميع الجيش، و استخدم المماليك و أنفق الأموال، و جمع خلقا عظيما و حضر عنده عرب الأميرين: ابن مهنّا و ابن حجّيّ و نجدة حلب و نجدة حماة، مقدّمهما الملك الأفضل نور الدين عليّ أخو صاحب حماة؛ و رجّالة كثيرة من جبال بعلبكّ، و رتّب العساكر و الأطلاب بنفسه وصفّ العساكر ميمنة و ميسرة و وقف هو تحت عصائبه؛ و سار العسكر المصرى أيضا بترتيب هائل و عساكر كثيرة، و الأطلاب أيضا مرتّبة، و التقى الجيشان فى يوم الأحد [سادس عشر صفر] وقت طلوع الشمس فى المكان المذكور و تقاتلا أشدّ قتال، و ثبت كلّ من الطائفتين ثباتا لم يسمع بمثله إلّا نادرا لا سيّما الملك الكامل سنقر الأشقر، فإنّه ثبت و قائل بنفسه قتالا شديدا، و استمرّ المصافّ بين الطائفتين إلى الرابعة من النهار و لم يقتل من الفريقين إلا نفر يسير جدّا، و أمّا الجراح فكثيرة. فلمّا كانت الساعة الرابعة من النهار خامر أكثر عسكر دمشق على الملك الكامل سنقر الأشقر و غدروا به و انضافوا إلى العسكر المصرىّ، و كان لما وقع العين على العين قبل أن يلتحم القتال انهزم عساكر حماة و تخاذل عسكر الشام على الكامل، فمنهم: من دخل بساتين دمشق و اختفى بها، و منهم من دخل دمشق راجعا، و منهم من ذهب إلى طريق بعلبكّ، فلم يلتفت الملك الكامل لمن ذهب منه من العساكر و قاتل، فلمّا انهزم عنه من ذكرنا فى حال القتال ضعف أمره و مع هذا استمرّ يقاتل بنفسه و مماليكه إلى أن رأى الأمير عيسى بن مهنّا الهزيمة على الملك الكامل أخذه و مضى به إلى الرّحبة، و أنزله عنده و نصب له بيوت الشّعر.

و أمّا الأمير شهاب الدين أحمد بن حجّيّ فإنّه دخل إلى دمشق بالأمان، و دخل و طاعة الملك المنصور قلاوون.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۷

و أمّا عساكر الشام فإنهم اجتمعوا على القصب من عمل حمص، ثم عاد أكثر الأمراء إلى جهة دمشق و طلبوا الأمان من مقدّم العساكر المصرية الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ.

و أمّا العساكر المصرية فإنّهم ساقوا من وقتهم إلى مدينة دمشق و أحاطوا بها، و نزلوا بخيامهم و لم يتعرّضوا للزحف، و راسلوا من بالقلعة إلى العصر من ذلك النهار، و فتح من المدينة باب الفرج و دخل منه إلى دمشق بعض مقدّمى الجيش؛ ثم طلب من بالقلعة الأمان فأمّنهم سنجر الحلبى، ففتحت القلعة فدخلوا إليها من الباب الذى داخل المدينة و تسلّموها بالأمان و أفرجوا عن جماعة كثيرة من الأمراء و غيرهم، كان اعتقلهم سنقر الأشقر، منهم: الأمير ركن الدين بيبرس العجمىّ المعروف بالجالق، و الجالق: اسم للفرس الحادّ المزاج باللغة التركية، و الأمير حسام الدين لاچين المنصورىّ، و القاضى تقىّ الدين توبة التّكريتىّ و غيرهم.

و كتب الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ بالنصر إلى الملك المنصور قلاوون فسرّ المنصور بذلك، و دقّت البشائر لذلك أياما بالديار المصرية و زيّنت القاهرة و مصر.

و أما سنجر الحلبىّ فإنه لما ملك دمشق و قلعتها جهز فى الحال قطعة جيّدة من الجيش المصرىّ تقارب ثلاثة آلاف فارس فى طلب سنقر الأشقر و من معه من الأمراء و الجند. ثم حضر جواب الملك المنصور قلاوون بسرعة يتضمّن: بأننا قد عفونا عن جميع الناس الخاصّ و العام أرباب السيوف و الأقلام، و أمّنّاهم على أنفسهم و أهليهم و أموالهم؛ و حضر التشريف للأمير حسام الدين لاچين المنصورى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۸

السّلحدار بنيابة دمشق، فلبس الخلعة و قبّل الأرض؛ ثم أردف الأمير سنجر الحلبىّ العسكر الذى كان توجّه لقتال سنقر الأشقر بعسكر آخر، مقدّمه الأمير عزّ الدين الأفرم، فلحق بمن كان توجّه قبله و سار الجميع فى طلب سنقر الأشقر. فلّما بلغ سنقر ذلك رحل عن عيسى بن مهنّا و توجّه فى البريّة إلى الحصون التى كانت بقيت فى يد نوّابه، فتحصّن هو و من معه بها فى أواخر الشهر المذكور و هى: صهيون، كان بها أولاده و خزائنه و دخلها هو أيضا، و بلاطنس و حصن برزيه و حصن عكّار و جبلة و اللّاذقيّة و غيرها؛ ثم عادت العساكر إلى دمشق و تردّدت الرسل بينهم و بين سنقر الأشقر.

و بينما هم فى ذلك وردت الأخبار فى أوائل جمادى الآخرة أنّ التّتار قصدوا البلاد الشاميّة، فخرج من كان بدمشق من العساكر

الشاميّة و المصريّة، و مقدّمهم الأمير ركن الدين اياجى، و لحقهم العساكر الذين كانوا فى طلب سنقر الأشقر، و نزل الجميع بظاهر حماة؛ و كانوا كاتبوا الملك المنصور قلاوون بمجيء التّتار. فجهّز إليهم فى الحال عسكرا عليه الأمير بدر الدين بكتاش النّجمىّ، فلحق بهم الأمير بكتاش المذكور بمن معه من العسكر المصرىّ، و اجتمع الجميع على حماة و أرسلوا كشّافة فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة إلى بلاد التّتار. هذا و قد جفل غالب من بالبلاد الشاميّة و خرجوا عن دورهم و منازلهم و لم يبق هناك إلّا من عجز عن الحركة. و كان سبب حركة التّتار أنّهم لمّا سمعوا اختلاف الكلمة، و ظنّوا أنّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٢٩٩

سنقر الأشقر بمن معه يتّفق معهم على قتال الملك المنصور قلاوون. فأرسل أمراء العساكر المصريّة إلى سنقر الأشقر يقولون له: هذا العدوّ قد دهمنا و ما سببه إلا الخلف بيننا! و ما ينبغى هلاك الإسلام، و المصلحة أنّنا نجتمع على دفعه؛ فامتثل سنقر ذلك و أنزل عسكره من صهيون و أمر رفيقه الحاج أزدمر أن يفعل كذلك من شيزر، و خيّمت كلّ طائفة تحت قلعتها، و لم يجتمعوا بالمصريين، غير أنهم اتّفقوا على اجتماع الكلمة و دفع العدوّ المخذول عن الشام؛ و استمرّوا على ذلك إلى يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الآخرة. وصل طائفة كبيرة من عساكر التّتار إلى حلب و دخلوها من غير مانع يمنعهم عنها، و أحرقوا الجوامع و المساجد و المدارس المعتبرة و دار السلطنة و دور الأمراء، و أفسدوا إفسادا كبيرا على عادة أفعالهم القبيحة، و أقاموا بها يومين على هذه الصورة؛ ثم رحلوا عنها فى يوم الأحد ثالث عشرينه راجعين إلى بلادهم بعد أن تقدّمتهم الغنائم التى كسبوها و كان شيئا كثيرا. و كان سبب رجوعهم لمّا بلغهم اتّفاق الطائفتين على قتالهم؛ و قيل فى رجوعهم وجه آخر، و هو أن بعض من كان استتر بحلب يئس عن نفسه من الحياة؛ فطلع منارة الجامع و كبّر بأعلى صوته على التّتار، و قال: جاء النّصر من عند اللّه و أشار بمنديل كان معه إلى ظاهر البلد، و أوهم أنّه أشار به إلى عسكر المسلمين، و جعل يقول فى خلال ذلك: اقبضوهم من البيوت مثل النّساء! فتوهّم التّتار من ذلك و خرجوا من البلد على وجوههم و سلم الذى فعل ذلك.

و أمّا سنقر الأشقر فإنّ جماعة من الأمراء و الأعيان الذين كانوا معه فرّوا إلى العسكر المصرىّ و دخلوا تحت طاعة الملك المنصور قلاوون.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٠

و أمّا الملك المنصور قلاوون فإنّه لما طال عليه أمر سنقر الأشقر و أمر التّتار جمع أعيان مملكته فى هذا الشهر بقلعة الجبل، و جعل ولده الأمير علاء الدين عليّا وليّ عهده، و لقبه «الملك الصالح»، و خطب له على المنابر. ثم تجهّز السلطان و خرج من الديار المصريّة بعساكره، و سار حتى وصل إلى غزّة بلغه رجوع العدو المخذول، فأقام بالرّملة و توقّف عن التوجّه إلى دمشق لعدم الحاجة إلى ذلك، و قصد تخفيف الوطأة عن البلاد و أهلها. ثم رحل يوم الخميس عاشر شعبان راجعا من الرّملة إلى الديار المصريّة، فدخلها و أقام بها أقلّ من أربعة أشهر. ثم بدا له التوجّه إلى الشام ثانيا، فتجهّز و تجهّزت عساكره و خرج بهم من مصر فى يوم الأحد مستهلّ ذى الحجّة قاصدا الشام، و ترك ولده الملك الصالح عليّا يباشر الأمور عنه بالديار المصريّة.

و سار الملك المنصور قلاوون حتى وصل إلى الرّوحاء من عمل الساحل، و نزل عليها فى يوم الثلاثاء سابع عشر ذى الحجّة، و أقام قبالة عكّا، فراسلته الفرنج من عكّا فى تجديد الهدنة، فإنّها كانت انقضت مدّتها، و أقام بهذه المنزلة حتى استهلّت سنة ثمانين و ستّمائة رحل عنها يوم الخميس عاشر المحرّم. و نزل اللّجّون، و حضر رسل الفرنج بها بحضرة الأمراء، و سمعوا رسالة الفرنج، فآستشارهم السلطان فحصل الاتّفاق على الهدنة، و حلف لهم الملك المنصور على الصورة التى وقع الاتّفاق عليها، و انبرم الصلح و انعقدت الهدنة فى يوم الأحد ثالث عشر المحرّم. ثم قبض الملك المنصور على الأمير كوندك الظاهرىّ و على جماعة من الأمراء الظاهريّة لمصلحة اقتضاها الحال، و عند قبضهم هرب الأمير سيف الدين بلبان الهارونىّ و معه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠١

جماعة و قصدوا صهيون إلى عند سنقر الأشقر، و ركبت الخيل فى طلبهم فلم يدركوهم، ثم هرب الأمير أيتمش السّعدىّ أيضا و معه جماعة إلى صهيون من منزلة خربة اللّصوص.

ثم سار الملك المنصور إلى دمشق فدخلها فى يوم السبت تاسع عشره، و أقام بدمشق الى أن قدم عليه فى صفر الملك المنصور محمد صاحب حماة، فخرج الملك المنصور قلاوون لتلقّيه و أكرمه. ثم تردّدت الرسل بين السلطان الملك المنصور قلاوون و بين سنقر الأشقر فى تقرير قواعد الصلح. فلمّا كان يوم الأحد رابع شهر ربيع الأوّل من سنة ثمانين و ستمائة وصل من جهة سنقر الأشقر الأمير علم الدين سنجر الدّويدارىّ و معه خازندار سنقر الأشقر فى معنى الصلح و الوقوف على اليمين، فحلف الملك المنصور قلاوون يوم الاثنين خامسه، و نادت المنادية فى دمشق بانتظام الصلح و اجتماع الكلمة، فرجع رسل سنقر الأشقر و معهم الأمير فخر الدين اياز المقرئ ليحضر يمين سنقر الأشقر، فحلفه و عاد إلى دمشق يوم الاثنين ثانى عشره، فضربت البشائر بالقلعة و سرّ الناس بذلك غاية السرور. و صورة ما انتظم الصلح عليه أنّ سنقر الأشقر يرفع يده عن شيزر و يسلّمها إلى نوّاب الملك المنصور قلاوون، و عوّضه قلاوون عنها فامية و كفر طاب و أنطاكية و السّويديّة و بكاس و دركوش بأعمالها كلّها و عدّة ضياع معروفة، و أن يقيم على ذلك، و على ما كان استقرّ بيده عند الصلح، و هو صهيون و بلاطنس و حصن برزة و جبلة و اللّاذقيّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٢

بستمائة فارس، و أنه يسلّم الأمر إلى الملك المنصور قلاوون؛ و خوطب سنقر الأشقر فى مكاتباته «بالمقرّ العالى المولوى السّيّدىّ العالمىّ العادلىّ الشمسىّ» و لم يصرح فى مخاطباته بالملك و لا بالأمير، و كان يخاطب قبل ذلك فى مكاتباته من الملك المنصور قلاوون إلى الجناب العالى الأميرى الشمسىّ. انتهى.

و بينما السلطان فى ذلك ورد عليه مجىء التّتار إلى البلاد الشامية و هو بدمشق، فتهيّأ لقتالهم و أرسل يطلب العساكر المصرية، و بعد قليل حضرت عساكر مصر إلى دمشق و اجتمعت العساكر عند السلطان، و لم يتأخر أحد من التّركمان و العربان و سائر الطوائف. و وصل الخبر بوصول التّتار إلى أطراف بلاد حلب، فخلت حلب من أهلها و جندها و نزحوا إلى جهة حماة و حمص، و تركوا الغلال و الحواصل و الأمتعة، و خرجوا جرائد على وجوههم؛ ثم ورد الخبر بوصول منكوتمر بن هولاكو ملك التّتار إلى عينتاب و ما جاورها فى يوم الأحد سادس عشرين جمادى [الآخرة] فخرج الملك المنصور قلاوون بعساكره فى يوم الأحد المذكور و خيّم بالمرج، و وصل التتار الى بغراس، فقدّم الملك المنصور عسكره أمامه، ثم سافر هو بنفسه فى سلخ جمادى الآخرة المذكور، و سار حتى نزل السلطان بعساكره على حمص فى يوم الأحد ثالث عشرين شهر رجب، و راسل سنقر الأشقر بالحضور إليه بمن معه من الأمراء و العساكر، و كذلك الأمير أيتمش السّعدىّ الذى كان هرب من عند السلطان لما قبض على الأمراء الظاهريّة؛ فامتثل سنقر الأشقر أمر السلطان بالسمع و الطاعة و ركب من وقته بجماعته، و حضر إلى عند الملك المنصور قلاوون، و استحلفه لأيتمش السّعدىّ يمينا ثانية ليزداد طمأنينة، ثم أحضره و تكامل حضورهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٣

عند السلطان، و عامل السلطان سنقر الأشقر بالاحترام التامّ و الخدمة البالغة و الإقامات العظيمة و الرّواتب الجليلة. و شرعت التّتار تتقدّم قليلا قليلا بخلاف عادتهم، فلمّا وصلوا حماة أفسدوا بنواحيها، و شعّثوا و أحرقوا بستان الملك المنصور صاحب حماة و جوسقه و ما به من الأبنية. و استمرّ عسكر السلطان بظاهر حمص على حاله إلى أن وصلت التّتار إليه فى يوم الخميس رابع عشر شعبان، فركب الملك المنصور بعساكره و صافف العدوّ، و التقى الجمعان عند طلوع الشمس، و كان عدد التّتار على ما قيل مائة ألف فارس أو يزيدون، و عسكر المسلمين على مقدار النّصف من ذلك أو أقلّ، و تواقعوا من ضحوة النهار إلى آخره، و عظم القتال بين الفريقين و ثبت كلّ منهم.

قال الشيخ قطب الدين اليونينىّ: «و كانت وقعة عظيمة لم يشهد مثلها فى هذه الأزمان و لا من سنين كثيرة، و كان الملتقى فيما بين

مشهد خالد بن الوليد، رضى اللّه عنه، إلى الرّستن و العاصى، و اضطربت ميمنة المسلمين، و حملت التّتار على ميسرة المسلمين فكسروها و انهزم من كان بها، و كذلك انكسر جناح القلب الأيسر و ثبت الملك المنصور سيف الدين قلاوون، رحمه اللّه تعالى، فى جمع قليل بالقلب ثباتا عظيما، و وصل جماعة كثيرة من التّتار خلف المنكسرين من المسلمين إلى بحيرة حمص، و أحدق جماعة من التّتار بحمص، و هى مغلقة الأبواب، و بذلوا نفوسهم و سيوفهم فيمن وجدوه من العوامّ و السّوقة و الغلمان و الرّجّالة المجاهدين بظاهرها، فقتلوا منهم جماعة كثيرة، و أشرف الإسلام على خطّة صعبة! ثم إنّ أعيان الأمراء و مشاهيرهم و شجعانهم: مثل سنقر الأشقر المقدّم ذكره، و بدر الدين بيسرى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٤

و علم الدين سنجر الدّويدارىّ، و علاء الدين طيبرس الوزيرى، و بدر الدين بيليك أمير سلاح، و سيف الدين أيتمش السّعدىّ، و حسام الدين لاچين المنصورىّ، و الأمير حسام الدين طرنطاى و أمثالهم لمّا رأوا ثبات السلطان ردّوا على التّتار و حملوا عليهم حملات حتّى كسروهم كسرة عظيمة، و جرح منكوتمر مقدّم التّتار، و جاءهم الأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا فى عربه عرضا فتّمت هزيمتهم، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة تجاوز الوصف، و اتّفق أنّ ميسرة المسلمين كانت انكسرت كما ذكرنا، و الميمنة ساقت على العدوّ و لم يبق مع السلطان إلّا النّفر اليسير، و الأمير حسام الدّين طرنطاى قدّامه بالسناجق، فعادت الميمنة الذين كسروا ميسرة المسلمين فى خلق عظيم و مرّوا به، و هو فى ذلك النّفر تحت السناجق (يعنى الملك المنصور قلاوون) و الكوسات تضرب. قال: و لقد مررت به فى ذلك الوقت و ما حوله من المقاتلة ألف فارس إلا دون ذلك، فلمّا مرّوا به (يعنى ميمنة التّتار التى كانت كسرت ميسرة المسلمين) ثبت لهم ثباتا عظيما، ثم ساق عليهم بنفسه فانهزموا أمامه لا يلوون على شىء، و كان ذلك تمام النّصر؛ و كان انهزامهم عن آخرهم قبل الغروب، و افترقوا فرقتين: فرقة أخذت جهة سلمية و البرّيّة، و فرقة أخذت جهة حلب و الفرات.

و لمّا انقضى الحرب فى ذلك النهار عاد السلطان إلى منزلته، و أصبح بكرة يوم الجمعة سادس عشر رجب جهّز السلطان وراءهم جماعة كثيرة من العسكر و العربان، و مقدّمهم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرىّ، و كان لمّا لاحت الكسرة على المسلمين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٥

نهب لهم من الأقمشة و الأمتعة و الخزائن و السلاح ما لا يحصى كثرة، و ذهب ذلك كلّه أخذته الحرافشة من المسلمين مثل الغلمان و غيرهم. و كتبت البشائر بهذا النصر العظيم إلى سائر البلاد، و حصل للناس السرور الذى لا مزيد عليه، و عملت القلاع و زيّنت المدن».

و أمّا أهل دمشق فإنّه كان ورد عليهم الخبر أوّلا بكسرة المسلمين، و وصل إليهم جماعة ممّن كان انهزم؛ فلمّا بلغهم النصر كان سرورهم أضعاف سرور غيرهم.

و كان أهل البلاد الشامية من يوم خرج السلطان من عندهم إلى ملتقى التّتار و هم يدعون اللّه تعالى فى كلّ يوم و يبتهلون إليه، و خرج أهل البلاد بالنساء و الأطفال إلى الصّحارى و الجوامع و المساجد، و أكثروا من الابتهال إلى اللّه، عزّ و جلّ، فى تلك الأيام لا يفترون عن ذلك حتى ورد عليهم هذا النصر العظيم و للّه الحمد، و طابت قلوب الناس، و ردّ من كان نزح عن بلاده و أوطانه و اطمأنّ كلّ أحد و تضاعف شكر الناس لذلك. و قتل فى هذه الوقعة من التّتار ما لا يحصى كثرة؛ و كان من استشهد من عسكر المسلمين دون المائتين على ما قيل؛ و ممّن قتل الأمير الحاج أزدمر، و سيف الدين بلبان الرّومىّ، و شهاب الدين توتل الشّهرزورىّ، [و ناصر الدين بن جمال الدين الكاملىّ]، و [عزّ الدين بن النّصرة] من بيت الأتابك صاحب الموصل و كان أحد الشّجعان المفرطين فى الشجاعة، رحمهم اللّه تعالى أجمعين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٦

ثم إن السلطان انتقل من منزلته بظاهر حمص إلى البحيرة التى بحمص ليبعد عن الجيف، ثم توجّه عائدا إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة الثانى و العشرين من شعبان قبل الصلاة، و خرج الناس إلى ظاهر البلد للقائه، فدخل دمشق و بين يديه جماعة من أسرى التّتار و

بأيديهم رماح عليها رءوس القتلى من التّتار، فكان يوما مشهودا. و دخل السلطان الشام و فى خدمته جماعة من الأعيان، منهم: سنقر الأشقر الذى كان تسلطن و تلقّب بالملك الكامل، و أيتمش السعدىّ، و [الأمير علم الدين سنجر] الدّوادارىّ، و بلبان الهارونىّ؛ ثم قدم بعد ذلك [الأمير بدر الدين] الأيدمرىّ بمن معه من العسكر عائدا من تتبع التّتار بعد ما أنكى فيهم نكاية عظيمة، و وصل إلى حلب و أقام بها، و سيّر أكثر من معه يتبعونهم، فهلك من التّتار خلق كثير غرقوا بالفرات عند عبورهم. و عند ما عدوه نزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة و أسروا منهم جمعا كثيرا، و تفرّق جمع التّتار و أخذت أموالهم.

و أقام السلطان بدمشق إلى ثانى شهر رمضان خرج منه عائدا إلى الديار المصريّة، و خرج الناس لوداعه مبتهلين بالدعاء له، و سار حتى دخل الديار المصريّة يوم ثانى عشرين الشهر بعد أن احتفل أهل مصر لملاقاته، و زيّنت الديار المصرية زينة لم ير مثلها من مدّة سنين، و عملت بها القلاع، و شقّ القاهرة فى مروره إلى قلعة الجبل حتى طلع إليها؛ فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة، و تضاعف سرور الناس بسلامته و بنصر المسلمين على العدوّ المخذول.

ثمّ إنّ السلطان عقيب دخوله إلى مصر قبض على الأمير ركن الدين اياجى الحاجب، و بهاء الدين يعقوب مقدّم الشّهرزوريّة بقلعة الجبل. و استمرّ السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٧

بمصر إلى خامس ذى القعدة من السنة قبض على الأمير أيتمش السّعدىّ بقلعة الجبل و حبسه بها، ثم أرسل إلى نائب دمشق بالقبض على الأمير بلبان الهارونىّ بدمشق فقبض عليه.

و فى هذه السنة (أعنى سنة ثمانين و ستمائة) تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٨

و اللّوق، و انقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المكس و ساحل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣٠٩

باب البحر، و الرّملة [و] بين جزيرة الفيل و هو المار تحت منية السّيرج، و انسدّ هذا البحر و نشف بالكلّية، و اتصل ما بين المقس و جزيرة الفيل بالمشى، و لم يعهد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣١٠

فيما تقدّم، و حصل لأهل القاهرة مشقّة من نقل الماء الحلو لبعد البحر، فأراد السلطان حفره فنهوه عن ذلك، و قالوا له: هذا ينشف إلى الأبد، فتأسّف السلطان و غيره على ذلك.

قلت: و كذا وقع، و نحن الآن لا نعرف أين كان جريان البحر المذكور إلّا بالحدس، لإنشاء الأملاك و البساتين و العمائر و الحارات فى محلّ مجرى البحر المذكور، فسبحان القادر على كلّ شىء!

ثم فى أوّل سنة إحدى و ثمانين و ستمائة ورد الخبر على السلطان أنّه تسلطن فى مملكة التّتار مكان أبغا بن هولاكو أخوه لأبيه أحمد بن هولاكو، و هو مسلم حسن الإسلام و عمره يومئذ مقدار ثلاثين سنة، و أنّه وصلت أوامره إلى بغداد تتضمّن إظهار شعائر الإسلام و إقامة مناره، و أنّه أعلى كلمة الدين، و بنى الجوامع و المساجد و الأوقاف و رتّب القضاة، و أنه انقاد إلى الأحكام الشرعية، و أنّه ألزم أهل الذّمّة بلبس الغيار، و ضرب الجزية عليهم، و يقال إنّ إسلامه كان فى حياة والده هولاكو، فسرّ السلطان بذلك سرورا عظيما. و بعد مدّة قبض السلطان على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ٣١١

الأمير بدر الدين بيسرى، و على علاء الدين كشتغدى الشّمسىّ و اعتقلهما بقلعة الجبل، و ذلك فى يوم الأحد مستهلّ صفر من السنة. و استمرّ السلطان على ذلك إلى يوم الأربعاء ثانى عشرين شعبان طافوا بكسوة البيت العتيق التى عملت برسم الكعبة، عظّمها اللّه

تعالى، بمصر و القاهرة على العادة، و لعبت مماليك السلطان الملك المنصور قلاوون أمام الكسوة بالرّماح و السلاح.

قلت: و أظنّ هذا هو أوّل ابتداء سوق المحمل المعهود الآن، فإنّنا لم نقف فيما مضى على شيء من ذلك مع كثرة التفاتنا إلى هذا المعنى، و لهذا غلب على ظنّى من يوم ذاك بدأ السوق المعهود الآن، و لم يكن إذ ذاك على هيئة يومنا هذا، و إنّما ازداد بحسب اجتهاد المعلّمين، كما وقع ذلك فى غيره من الفنون و الملاعيب و العلوم، فإن مبدأ كلّ أمر ليس كنهايته، و إنّما شرع كلّ معلّم فى اقتراح نوع من أنواع السّوق إلى أن انتهى إلى ما نحن عليه الآن، و لا سبيل إلى غير ذلك.

يعرف ما قلته من له إلمام بالفنون و العلوم إذا كان له ذوق و عقل. و على هذه الصيغة أيضا اللعب بالرمح فإنّ مماليك قلاوون هم أيضا أحدثوه، و إن كانت الأوائل كانت تلعبه، فليس كان لعبهم على هذه الطريقة؛ و أنا أضرب لك مثلا لمصداق قولى فى هذا الفنّ، و هو أنّ مماليك الملك الظاهر برقوق كان أكثرهم قد حاز من هذا الفنّ طرفا جيّدا، و صار فيهم من يضرب بلعبه المثل، و هم جماعة كثيرة يطول الشرح فى ذكرهم، و مع هذا أحدث معلّمو زماننا هذا أشياء لم يعهدوها أولئك من تغيير القبض على الرمح فى مواطن كثيرة فى اللّعب، حتى إنّ لعب زماننا هذا يكاد أنّه يخالف لعب أولئك فى غالب قبوضاتهم و حركاتهم. و هذا أكبر شاهد لى على ما نقلته من أمر المحمل، و تعداد فنونه، و كثرة ميادينه، و اختلاف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۲

أسمائها لتغيير لعب الرمح فى هذه المدّة اليسيرة من صفة إلى أخرى، فكيف و هذا الذى ذكرناه من ابتداء السوق من سنة إحدى و ثمانين و ستمائة! فمن باب أولى تكون زيادات أنواع سوق المحمل أحقّ بهذا لطول السنين، و لكثرة من باشره من المعلّمين الأستاذين، و لتغير الدّول، و لمحبّة الملوك و تعظيمهم لهذا الفن، و لإنفاق سوق من كان حاذقا فى هذا الفن. و قد صنّفت أنا ثمانية ميادين كلّ واحد يخالف الآخر فى نوعه لم أسبق إلى مثلها قديما و لا حديثا، لكنّنى لم أظهرها لكساد هذا الفنّ و غيره فى زماننا هذا، و لعدم الإنصاف فيه و كثرة حسّاده ممّن يدّعى فيه المعرفة و هو أجنبىّ عنها، لا يعرف اسم نوع من أندابه على جليّته بل يدّعيه جهلا، و يقوى على دعواه بالشّوكة و العصبيّة. و للّه درّ القائل:

أيّها المدّعى سليمى كفاحا لست منها و لا قلامة ظفر

إنّما أنت من سليمى كواو ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

و شاهدى أيضا قول العلّامة جار اللّه محمود الزّمخشرىّ و أجاد، رحمه اللّه تعالى:

و أخّرنى دهرى و قدّم معشرا على أنّهم لا يعلمون و أعلم

و مذ أفلح الجهّال أيقنت أنّنى أنا الميم و الأيام أفلح أعلم

قلت: و تفسير الأفلح هو مشقوق الشّفة العليا، و الأعلم مشقوق الشّفة السّفلى، و فائدة ذلك أن مشقوق الشفتين العليا و السّفلى لا يقدر أن يتلفّظ بالميم و لا ينطق بها. فانظر إلى حسن هذا التخيّل و الغوص على المعانى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۳

و ما أحسن قول الإمام العلّامة القاضى الفاضل عبد الرحيم وزير السلطان صلاح الدّين، و هو:

ما ضرّ جهل الجاهلى ن و لا انتفعت أنا بحذقى

و زيادة فى الحذق فه ى زيادة فى نقص رزقى

و قول الشّريف الرّضى فى المعنى:

ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه ليس الحظوظ على الأقدار و المهن

قد كنت قبلك من دهرى على حنق فزاد ما بك فى غيظى على الزمن

و فى المعنى:

كم فاضل فاضل أعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الألباب حائرة و صيّر العالم النّحرير زنديقا

قلت: و يعجبنى المقالة السادسة عشرة من كتاب «أطباق الذهب» للعلّامة شرف الدين عبد المؤمن الأصفهانىّ المعروف بشوروة، و هى: «طبع الكريم لا يحتمل حمة الضّيم، و هواء الصيف لا يقبل غمّة الغيم؛ و النّبيل يرضى النّبال و الحسام، و يأبى أن يسام؛ و لأن يقتل صبرا، و يودع قبرا؛ أحبّ إليه من أن يصيبه نشّاب الجفاء، من جفير الأكفاء؛ يهوى المنيّة، و لا يرضى الدّنيّة؛ يستقبل السيف، و لا يقبل الحيف؛ إن سيم أخذته الهزّة، و إن ضيم أخذته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۴

العزّة؛ إن عاشرته سال عذبا، و إن عاسرته سلّ عضبا؛ إن شاربته تخمّر، و إن حاربته تنمّر؛ يرى العزّ مغنما، و الذّل مغرما، و كان كأنف اللّيث لا يشتمّ مرغما!.

فيا هذا كن فى الدنيا مىّ الأنف منيع الجناب، أبىّ النفس طرير النّاب؛ و لا تصحب الدنيا صحبة بعال، و لا تنظر إلى أبنائها إلّا من عال؛ و لا تخفض جناحك لبنيها، و لا تضعضع ركنك لبانيها؛ و لا تمدّن عينيك إلى زخارفها، و لا تبسط يدك إلى مخارفها؛ و كن من الأكياس، و اتل على اللّئام سورة الناس، و لا تصعّر خدّك للناس». انتهى.

قلت: و قد خرجنا عن المقصود غير أنّنا وجدنا المقال فقلنا. و لنعد إلى ما نحن فيه من ترجمة الملك المنصور قلاوون.

و دام السلطان الملك المنصور بديار مصر إلى سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة، توفّى صاحب حماة الملك المنصور محمد الأيّوبىّ، فأنعم السلطان الملك المنصور على ولده بسلطنة حماة، و ولّاه مكان والده المنصور. ثم تجهّز السلطان فى السنة المذكورة و خرج من الديار المصريّة بعسكره متوجّها إلى الشام فى أواخر جمادى الأولى، و سار حتى دخل دمشق فى ثانى عشر جمادى الآخرة، و أقام بدمشق إلى أن عاد إلى جهة الديار المصريّة فى الثّلث الأخير من ليلة السبت ثالث عشرين شعبان، و سار حتى دخل مصر فى النصف من شهر رمضان، و أقام بديار مصر إلى أوّل سنة أربع و ثمانين و ستمائة تجهّز و خرج منها بعساكره إلى جهة الشام، و سافر حتى دخل دمشق يوم السبت ثانى عشرين المحرّم من السنة المذكورة، و عرض العسكر الشامى عدّة أيّام، و خرجوا جميعا قاصدين المرقب فى يوم الاثنين ثانى صفر. و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۵

قد بقى فى يد سنقر الأشقر قطعة من البلاد، منها: بلاطنس و صهيون و برزيه و غير ذلك، و كان عمل السلطان فى الباطن انتزاع ما يمكن انتزاعه من يد سنقر الأشقر المذكور و إفساد نوّابه. فاتّفق الحال بين نوّاب السلطان و بين نوّاب سنقر الأشقر على تسليم بلاطنس فسلّمت فى أوّل صفر. و وافى السلطان البشرى بتسليمها و هو على عيون القصب فى توجّهه إلى حصار المرقب فسرّ بذلك و استبشر بنيل مقصوده من المرقب؛ و كان فى نفس السلطان من أهل المرقب لما فعلوا مع عسكره ما فعلوا فى السنين الماضية، فنازل السلطان حصن المرقب فى يوم الأربعاء عاشر صفر، و شرع العسكر فى عمل الستائر و المجانيق. فلمّا انتهت الستائر التى للمجانيق حملتها المقاتلة لباب الحصن، فسقطت السّتارة إلى بركة كبيرة كان عليها جماعة من أصحاب الأمير علم الدين سنجر الدّويدارىّ، منهم شمس الدين سنقر أستاداره و عدّة من مماليكه فاستشهدوا جميعهم، رحمهم اللّه تعالى.

ثمّ فى يوم الأحد رابع عشره، حضر رسل الفرنج من عند ملكهم الإسبتار، و سألوا السلطان الصّلح و الأمان لأهل المرقب على نفوسهم و أموالهم و يسلّمون الحصن المذكور، فلم يجبهم السلطان إلى ذلك، و كمل نصب المجانيق و رمى بها و شعّث الحصن و هدم معظم أبراجه و استمرّ الحال إلى سادس عشر شهر ربيع الأوّل، زحف السلطان على الحصن فأذعن من فيه بالتسليم؛ و حصلت المراسلة فى معنى ذلك.

فلمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأوّل المذكور سلّم، و رفعت عليه الأعلام الإسلاميّة و نزل من به بالأمان على أرواحهم

فركبوا، و جهّز معهم من أوصلهم إلى أنطرطوس. [و] بالقرب من هذا الحصن [مرقيّة] و هى بلدة صغيرة على البحر، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۶

صاحبها قد بنى فى البحر برجا عظيما لا يرام و لا تصله النّشّاب و لا حجر المنجنيق و حصّنه؛ و اتفق حضور رسل صاحب طرابلس إلى السلطان بطلب مراضيه، فآقترح عليه خراب هذا البرج و إحضار من كان فيه أسيرا من الجبيليّين الذين كانوا مع صاحب جبيل فأحضر من بقى منهم فى قيد الحياة و اعتذر عن هدم البرج بأنّه ليس له، و لا هو تحت حكمه؛ فلم يقبل السلطان اعتذاره و صمّم على طلبه منه، فقيل: إنّه اشتراه من صاحبه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۷

بعدّة قرى و ذهب كثير، و دفعه إلى السلطان، فأمر بهدمه فهدم و استراح الناس منه. و حصل الاستيلاء فى هذه الغزوة على المرقب و أعماله و مرقيّة. و المرقب هو من الحصون المشهورة بالمنعة و الحصانة و هو كبير جدا، و لم يفتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح، فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير عليه بهدمه، و رمّم شعثه و استناب فيه بعض أمرائه و رتّب أحواله. و كتبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار.

و لمّا كان السلطان الملك المنصور على حصار المرقب جاءته البشرى بولادة ولده «الملك الناصر محمد بن قلاوون»، فمولد الملك الناصر محمد هذه السنة، فيحفظ إلى ما يأتى ذكره فى ترجمته، إن شاء اللّه تعالى، فإنّه أعظم ملوك الترك بلا مدافعة.

و لمّا فتح السلطان الملك المنصور المرقب عملت الشعراء فى ذلك عدّة قصائد، فمن ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثّناء محمود، و هى قصيدة طنّانة أوّلها:

اللّه أكبر هذا النّصر و الظّفر هذا هو الفتح لا ما تزعم السّير

هذا الذى كانت الآمال إن طمحت إلى الكواكب ترجوه و تنتظر

فانهض و سر و املك الدّنيا فقد نحلت شوقا منابرها و ارتاحت السّرر

كم رام قبلك هذا الحصن من ملك فطال عنه و ما فى باعه قصر

و كيف تمنحه الأيّام مملكة كانت لدولتك الغرّاء تدّخر

و كيف يسمو إليها من تأخّر عن إسعاده منجداك القدر و القدر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۸

غرّ العدا منك حلم تحته همم لأشقر البرق من تحجيلها غرر

لها و إن أشبهت لطف النّسيم سرى معنى العواصف لا تبقى و لا تذر

أوردتها المرقب العالى و ليس سوى ماء المجرّة فى أرجائها نهر

كأنّه و كأنّ الجوّ يكنفه و هم تمثّله فى طيّها الفكر

يختال كالغادة العذراء قد نظمت منه مكان اللآلى الأنجم الزّهر

له الهلال سوار و السّها شنف و القلب قلب و مسودّ الدّجى طرر

تعلو الرياح إليه كى تحيط به [خبرا] و تدنو و ما فى ضمنها خبر

و يومض البرق يهفو نحوه ليرى أدنى رباه و يأتى و هو معتذر

و ليس يروى بماء السّحب مصعدة إليه من فيه إلّا و هو منحدر

و منها:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۳۱۸

و أضرمت حوله نار لها لهب من السّيوف و من نبل الوغى شرر

و منها:

كأنّها و مجانيق الفرنج لها فرائس الأسد فى أظفارها الظّفر

و كم شكا الحصن ما يلقى فما اكترثت يا قلبها أ حديد أنت أم حجر

و للنقوب دبيب فى مفاصله تثير سقما و لا يبدو له أثر

أضحى به مثل صبّ لا تبين به نار الهوى و هى فى الأحشاء تستعر

و منها:

ركبت فى جندك الأولى إليه ضحا و النصر يتلوك منه جندك الأخر

قد زال تجلى قواه عن قواعده و خرّ أعلاه نحو الأرض يبتدر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۹

و ساخ و انكشفت أقباؤه و بدا لديك من مضمرات النصر ما ستروا

فمال يهوى إليهم كلّ ليث وغى له من البيض ناب و القنا ظفر

و منها بعد أبيات كثيرة براعة المقطع:

إن لم يوفّ الورى بالشكر ما فتحت يداك فاللّه و الأملاك قد شكروا

ثم سار الملك المنصور قلاوون من المرقب إلى دمشق و أقام بها أياما، ثم خرج منها عائدا إلى نحو الديار المصريّة فى بكرة الاثنين ثانى عشر جمادى الأولى؛ فدخل الديار المصريّة فى أوائل شهر رجب.

و لمّا دخل القاهرة و أقام بها أخذ فى عمل أخذ الكرك من الملك المسعود نجم الدين خضر ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارىّ حتى أخذت، و ورد عليه الخبر بأخذها فى ليلة الجمعة سابع صفر [سنة خمس و ثمانين و ستمائة] و دقّت البشائر بالديار المصريّة ثلاثة أيام.

ثمّ فى سنة ستّ و ثمانين و ستمائة جهّز السلطان طائفة من العسكر بالديار المصريّة صحبة الأمير حسام الدين طرنطاى إلى الشام لحصار صهيون و برزيه و انتزاعهما من يد سنقر الأشقر، فسار حسام الدين المذكور بمن معه حتى وصل دمشق فى أثناء المحرّم، و استصحب معه الأمير حسام الدين لاچين نائب الشام، و توجّه الجميع إلى صهيون بالمجانيق فوصلوها و شرعوا فى حصارها؛ و كان سنقر الأشقر قد استعدّ لهم و جمع إلى القلعة خلقا كثيرا؛ فحاصروه أيّاما، ثم بعد ذلك توجّه الأمير حسام الدين إلى برزيه و حصرها و استولى عليها، و هى ممّا يضرب المثل بحصانتها. و لمّا فتحها وجد فيها خيولا لسنقر الأشقر. و لمّا فتحت برزيه لانت عريكة سنقر الأشقر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۰

و أجاب إلى تسليم صهيون على شروط اشترطها، فأجابه طرنطاى إليها، و حلف له بما وثق به من الأيمان، و نزل من قلعة صهيون بعد حصرها شهرا واحدا، و أعين على نقل أثقاله بجمال كثيرة و حضر بنفسه و أولاده و أثقاله و أتباعه إلى دمشق. ثم توجّه إلى الديار المصريّة صحبة طرنطاى المذكور و وفّى له بجميع ما حلف عليه؛ و لم يزل يذبّ عنه أيام حياته أشدّ ذبّ. و أعطى السلطان لسنقر الأشقر بالديار المصريّة خبز مائة فارس، و بقى وافر الحرمة إلى آخر أيام الملك المنصور قلاوون. و انتظمت صهيون و برزيه فى سلك الممالك المنصورية.

ثم خرج الملك المنصور من الديار المصرية قاصدا الشام فى يوم سابع عشرين شهر رجب سنة ستّ و ثمانين و سار حتى وصل غزّة أقام بتلّ العجول أياما إلى شوّال، ثم رجع إلى الديار المصرية فدخلها يوم الاثنين ثالث عشرين شوّال، و لم يعلم أحد ما كان غرضه

فى هذه السّفرة. و فى شوّال هذا سلطن الملك المنصور ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليلا و جعله مكان أخيه الملك الصالح علاء الدين علىّ بعد موته، و دقّت البشائر لذلك سبعة أيام بالديار المصرية و غيرها، و حلف الناس له و العساكر، و خطب له بولاية العهد.

ثمّ فى سنة ثمان و ثمانين و ستّمائة فتحت طرابلس، و هو أنّ صاحب طرابلس كان وقع بينه و بين سير تلميه الفرنجىّ، و كان من أصحاب صاحب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۱

الحصن الذى أخربه صاحب طرابلس رضاء للملك المنصور قلاوون حسب ما تقدّم ذكره.

فحصلت بينه و بين صاحب طرابلس وحشة بسبب ذلك، و اتّفق موت صاحب الحصن، و سأل سير تلميه من السلطان الملك المنصور المساعدة، و أن يتقدّم للأمير بلبان الطّبّاخى السّلحدار أن يساعده على تملّك طرابلس، على أن تكون مناصفة، و بذل فى ذلك بذولا كثيرة، فسوعد إلى أن تمّ له مراده، و رأى أنّ الذى بذله للسلطان لا يوافقه الفرنج عليه، فشرع فى باب التّسويف و المغالطة و مدافعة الأوقات؛ فلمّا علم السلطان باطن أمره عزم على قتاله قبل استحكام أمره، فتجهّز و خرج من الديار المصريّة بعساكره لحصار طرابلس، و سار حتّى وصل دمشق و أقام بها، ثم تهيّأ و خرج منها، و نازل طرابلس فى مستهلّ شهر ربيع الأوّل، و نصب عليها المجانيق و ضايقها مضايقة شديدة إلى أن ملكها بالسيف فى الرابعة من نهار الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر، و شمل القتل و الأسر لسائر من كان بها، و غرق منهم فى الماء جماعة كثيرة، و نهب من الأموال و الذخائر و المتاجر و غير ذلك ما لا يوصف، ثم أحرقت و خرّب سورها، و كان من أعظم الأسوار و أمنعها. ثم تسلّم حصن أنفة و كان أيضا لصاحب طرابلس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۲

فأمر السلطان بتخريبه، ثم تسلّم السلطان البترون و جميع ما هناك من الحصون.

و كان لطرابلس مدّة طويلة بأيدى الفرنج من سنة ثلاث و خمسمائة إلى الآن.

قلت: و كان فتح طرابلس الأوّل فى زمن معاوية بن أبى سفيان، رضى اللّه عنه، و تنّقلت فى أيدى الملوك، و عظمت فى زمن بنى عمّار قضاة طرابلس و حكّامها. فلمّا كان فى آخر المائة الخامسة ظهرت طوائف الفرنج فى الشام و استولوا على البلاد فامتنعت عليهم طرابلس مدّة حتّى ملكوها بعد أمور فى سنة ثلاث و خمسمائة، و استمرّت فى أيديهم إلى أن فتحها الملك المنصور قلاوون فى هذه السنة.

و قال شرف الدين محمد بن موسى المقدسىّ الكاتب فى «السّيرة المنصوريّة»:

إن طرابلس كانت عبارة عن ثلاثة حصون مجتمعة باللسان الرومى، و كان فتحها على يد سفيان بن مجيب الأزدىّ، بعثه لحصارها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان بن عفّان، رضى اللّه عنه، انتهى كلام شرف الدين باختصار.

قلت: و أما طرابلس القديمة كانت من أحسن المدن و أطيبها، ثمّ بعد ذلك اتخذوا مكانا على ميل من البلدة و بنوه مدينة صغيرة بلا سور، فجاء مكانا ردىء الهوى و المزاج من الوخم. انتهى.

و لمّا فتحت طرابلس كتبت الشائر إلى الآفاق بهذا النصر العظيم، و دقّت البشائر و التهانى و زيّنت المدن و عملت القلاع فى الشوارع و سرّ الناس بهذا النصر غاية السّرور. و أنشأ فى هذا المعنى القاضى تاج الدين ابن الأثير كتابا إلى صاحب اليمن بأمر الملك المنصور يعرّفه بهذا الفتح العظيم و بالبشارة به. و أوّله:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۳

[بسم اللّه الرحمن الرحيم أعزّ اللّه] نصر المقام العالىّ السلطانىّ الملكىّ المظفّرىّ الشمسىّ. ثم استطرد و حكى أمر الفتح و غيره إلى أن قال فأحسن فيما قال: و كانت الخلفاء و الملوك فى ذلك الوقت ما فيهم إلا من هو مشغول بنفسه، مكبّ على مجلس أنسه؛ يرى

السلامة غنيمة، و إذا عنّ له وصف الحرب لم يسأل [منها إلا] عن طرق الهزيمة؛ قد بلغ أمله من الرتبة، و قنع [من ملكه كما يقال با] لسكة و الخطبة؛ أموال تنهب، و ممالك تذهب؛ لا يبالون بما سلبوا، و هم كما قيل:

إن قاتلوا قتلوا أو طاردوا طردوا أو حاربوا حربوا أو غالبوا غلبوا

إلى أن أوجد اللّه من نصر دينه، و أذلّ الكفر و شياطينه. انتهى.

قلت: و الكتاب هذا خلاصته و الذى أعجبنى منه.

و عمل الشعراء فى هذا الفتح عدّة قصائد، فمن ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثّناء محمود كاتب الدّرج المقدّم ذكره يمدح الملك المنصور قلاوون و يذكر فتحه طرابلس، و القصيدة أولها:

علينا لمن أولاك نعمته الشكر لأنّك للإسلام يا سيفه ذخر

و منّا لك الإخلاص فى صالح الدّعا إلى من له فى أمر نصرتك الأمر

و للّه فى إعلاء ملكك فى الورى مراد و فى التأييد يوم الوغى سرّ

ألا هكذا يا وارث الملك فليكن جهاد العدا لا ما توالى به الدّهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۴

و منها:

نهضت إلى عليا طرابلس التى أقلّ عناها أنّ خندقها البحر

و القصيدة طويلة كلّها على هذا المنوال، أضربت عنها خوف الإطالة. انتهى.

ثم عاد الملك المنصور إلى الديار المصريّة فى جمادى الآخرة من السنة، و استمرّ بالقاهرة إلى أوّل سنة تسع و ثمانين و ستمائة، جهّز الأمير حسام الدين طرنطاى كافل الممالك الشاميّة إلى بلاد الصّعيد، و معه عسكر جيّد من الأمراء و الجند، فسكّن تلك النواحى و أباد المفسدين و أخذ خلقا عظيما من أعيانهم رهائن، و أخذ جميع أسلحتهم و خيولهم، و كان معظم سلاحهم السيوف و الحجف و الرماح، و أحضروا إلى السلطان من ذلك عدّة أحمال، ففرّق السلطان من الخيول و السلاح فيمن أراد من الأمراء و الجند و أودع الرهائن الحبوس.

و فى هذه السنة أيضا عاد الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم من غزو بلاد السودان بمغانم كثيرة و رقيق كثير من النساء و الرجال و فيل صغير.

ثم فى هذه السنة أيضا رسم السلطان ألّا يستخدم أحد من الأمراء و غيرهم فى دواوينهم أحدا من النصارى و اليهود و حرّض على ذلك، فامتثل ذلك الأمراء جميعهم.

و فى هذه السنة عزم السلطان الملك المنصور على الحجّ فبلغه خبر فرنج عكّا، ففتر عزمه و تهيّأ للخروج إلى البلاد الشاميّة، و رأى أن يقدّم غزوهم و الانتقام على الحجّ؛ و أخذ فى تجهيز العساكر و البعوث، و ضرب دهليزه خارج القاهرة، و باب الدهليز إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۵

جهة عكّا. و خرج من القاهرة إلى مخيّمه و هو متوعّك لأيام خلت من شوّال، و لا زال متمرّضا بمخيّمه عند مسجد التبن خارج القاهرة إلى أن توفّى به فى يوم السبت سادس ذى القعدة من سنة تسع و ثمانين و ستمائة، و حمل إلى القلعة ليلة الأحد.

و تسلطن من بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل الذى كان عهد له بالسلطنة قبل تاريخه حسب ما ذكرناه. و كثر أسف الناس عليه.

قال الحافظ أبو عبد اللّه شمس الدين محمد الذهبىّ فى «تاريخ الإسلام» بعد ما سماه و لقّبه قال: اشترى بألف دينار، و لهذا كان فى حال إمرته يسمّى بالألفىّ، و كان من أحسن الناس صورة فى صباه، و أبهاهم و أهيبهم فى رجوليّته، كان تامّ الشكل مستدير اللّحية قد

و خطه الشّيب، على وجهه هيبة الملك و على أكتافه حشمة السلطنة، و عليه سكينة و وقار، رأيته مرات آخرها منصرفه من فتح طرابلس. و كان من أبناء الستين. ثم قال: و حدّثنى أبى أنه كان معجم اللسان لا يكاد يفصح بالعربية، و ذلك لأنه أتى به من بلاد التّرك و هو كبير. ثم قال بعد كلام آخر:

و عمل بالقاهرة ببين القصرين تربة عظيمة و مدرسة كبيرة، قال: و بيمارستانا للمرضى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۶

قلت: و من عمارته البيمارستان المذكور و عظم أوقافه تعرّف همّته، و نذكر عمارة البيمارستان إن شاء اللّه تعالى بعد ذلك. انتهى.

و قال غيره: و كان يعرف أيضا قلاوون الآقسنقرىّ الكاملىّ الصالحىّ النّجمىّ، لأن الأمير آق سنقر الكاملى كان اشتراه من تاجره بألف دينار، ثم مات الأمير آق سنقر المذكور بعد مدّة يسيرة، فارتجع هو و خشداشيته إلى الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى سنة سبع و أربعين و ستمائة، و هى السنة التى مات فيها الملك الصالح أيّوب، و هذا القول هو الصحيح فى أصل مشتراه.

قلت: و لمّا طلع الملك المنصور قلاوون إلى قلعة الجبل ميّتا، أخذوا فى تجهيزه و غسله و تكفينه إلى أن تمّ أمره، و حملوه و أنزلوه إلى تربته ببين القصرين فدفن بها. و كانت مدّة ملكه إحدى عشرة سنة و ثلاثة أشهر، رحمه اللّه تعالى، و كان سلطانا كريما حليما شجاعا مقداما عادلا عفيفا عن سفك الدماء مائلا إلى فعل الخير و الأمر بالمعرف، و له مآثر كثيرة:

منها البيمارستان الذى أنشأه ببين القصرين، و تمّم عمارته فى مدة يسيرة، و كان مشدّ عمارته الأمير علم الدين سنجر الشّجاعىّ المنصورى وزير الديار المصرية و مشدّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۷

دواوينها، ثمّ ولى نيابة دمشق و نهض بهذا العمل العظيم و فرغ منه فى أيّام قلائل، و لمّا كمل عمارة الجميع امتدحه معين الدين بن تولوا بقصيدة أوّلها:

أنشأت مدرسة و مارستانا لتصحّح الأديان و الأبدانا

قلت: و هذا البيمارستان و أوقافه و ما شرطه فيه لم يسبقه إلى ذلك أحد قديما و لا حديثا شرقا و لا غربا. و جدّد عمارة قلعة حلب و قلعة كركر و غير موضع.

و أمّا غزواته فقد ذكرناها فى وقتها. و جمع من المماليك خلقا عظيما لم يجمعهم أحد قبله، فبلغت عدّتهم اثنى عشر ألفا، و صار منهم الأمراء الكبار و النوّاب، و منهم من تسلطن من بعده على ما يأتى ذكره. و تسلطن أيضا من ذريّته سلاطين كثيرة آخرهم الملك المنصور حاجّىّ الذى خلعه الملك الظاهر برقوق. و أعظم من هذا أنّه من تسلطن من بعده من يوم مات إلى يومنا هذا، إمّا من ذريته، و إمّا من مماليكه أو مماليك مماليك أولاده و ذريّته، لأنّ يلبغا مملوك السلطان حسن، و حسن ابن محمد بن قلاوون، و برقوق مملوك يلبغا، و السلاطين بأجمعهم مماليك برقوق و أولاده. انتهى. و كان من محاسن الملك المنصور قلاوون أنّه لا يميل إلى جنس بعينه بل كان ميله لمن يتخيّل فيه النّجابة كائنا من كان.

قلت: و لهذا طالت مدّة مماليكه و ذرّيته باختلاف أجناس مماليكه، و كانت حرمته عظيمة على مماليكه لا يستطيع الواحد منهم أن ينهر غلامه و لا خادمه خوفا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۸

منه، و لا يتجاهر أحد منهم بفاحشة، و لا يتزوّج إلا إن زوّجه هو بعض جواريه؛ هذا مع كثرة عددهم.

قلت رحمه اللّه تعالى: لو لم يكن من محاسنه إلّا تربية مماليكه و كفّ شرّهم عن الناس لكفاه ذلك عند اللّه تعالى، فإنّه كان بهم منفعة للمسلمين، و مضرّة للمشركين و قيامهم فى الغزوات معروف، و شرّهم عن الرعيّة مكفوف؛ بخلاف زماننا هذا، فإنّه مع قلّتهم و ضعف بنيتهم و عدم شجاعتهم، شرّهم فى الرّعية معروف، و نفعهم عن الناس مكفوف؛ هذا مع عدم التجاريد و التقاء الخوارج و قلّة

الغزوات، فإنّه لم يقع فى هذا القرن، و هو القرن التاسع، لقاء مع خارجىّ غير وقعة تيمور، و افتضحوا منه غاية الفضيحة، و سلّموا البلاد و العباد و تسحّب أكثرهم من غير قتال.

و أمّا الغزوات فأعظم ما وقع فى هذا القرن فتح قبرس، و كان النصر فيها من اللّه سبحانه و تعالى، انكسر صاحبها و أخذ من جماعة يسيرة، تلقّاهم بعض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۹

عساكره. خذلان من اللّه تعالى! وقع ذلك كلّه قبل وصول غالب عسكر المسلمين.

و أمّا غير ذلك من الغزوات فسفر فى البحر ذهابا و إيابا، فكيف لو كان هؤلاء أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب عند ما غزا الساحل، و غاب عن الديار المصريّة نحو العشر سنين، لا يفارق فيها الخيم و التّشتّت عن الأوطان و اتّصال الغزوة بالغزوة! أو لو كانوا أيّام الملك الكامل محمد لمّا قاتل الفرنج على دمياط نحو الثلاث سنين لم يدخل فيها مصر إلى أن فتح اللّه عليه، أو لو كانوا أيّام الملك الظاهر بيبرس و هو يتجرّد و يغزو فى السنة الواحدة المرّة و المرّتين و الثلاث و هلمّ جرّا! إلى أيّام الملك الأشرف شعبان بن حسين لمّا أخذت الإسكندرية. و هذا شيء معروف لا يشاحّ فيه أحد. و أعجب من هذا كلّه أنّ أولئك كانوا على حظّ وافر من الأدب و الحشمة و التواضع مع الأكابر، و إظهار الناموس و عدم الازدراء بمن هو دونهم، و هؤلاء است فى الماء و أنف فى السماء، لا يهتدى أحدهم لمسك لجام الفرس، و إن تكلّم تكلّم بنفس؛ ليس لهم صناعة، إلّا نهب البضاعة؛ يتقوّون على الضعيف، و يشرهون حتّى فى الرّغيف؛ جهادهم الإخراق بالرئيس، و غزوهم فى التّبن و الدريس؛ و حظّهم منقام، و لا مروءة لهم و السلام. انتهى.

قال ابن كثير فى حقّ الملك المنصور قلاوون المذكور: اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيّوب من الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيّوب بألف دينار، فلذلك سمّى بالألفىّ.

قلت: و هذا بخلاف ما نقله الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدىّ فى أنّ الذى اشتراه بألف دينار إنّما هو الأمير آق سنقر الكاملىّ، و الأرجح عندى ما قاله الصّفدىّ فى أنّ الذى اشتراه بألف دينار إنما هو الأمير آق سنقر من وجوه عديدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۰

قال ابن كثير أيضا: و كان الملك المنصور قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف و سبعمائة مملوك من الأمراء و الجراكسة و جعلهم بالقلعة، و سمّاهم «البرجيّة»، و أقام نوّابه فى البلدان من مماليكه، و هم الذين غيروا ملابس الدولة الماضية.

قال الصلاح الصّفدىّ: و لبسوا أحسن الملابس، لأنّ فى الدولة الماضية الصلاحيّة كان الجميع يلبسون كلّوتات صفر مضرّبة بكلبندات بغير شاشات،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۱

و شعورهم مضفورة ديابيق فى أكياس حرير ملوّنة، و كان فى خواصرهم موضع الحوائص بنود ملوّنة أو بعلبكّية، و أكمام أقبيتهم ضيّقة على زى ملابس الفرنج، و أخفافهم برغالى أو سقامين و من فوق قماشهم كمرات بحلق و إبزيم، و صوالقهم كبار يسع كلّ صولق نصف و يبة أو أكثر، و منديلهم كبير طوله ثلاث أذرع، فأبطل المنصور ذلك كلّه بأحسن منه، و كانت الخلع للأمراء المقدّمين المروزىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۲

فخصّص الملك المنصور من الأمراء بلبس الطّرد وحش أربعة من خشداشيته، و هم: سنقر الأشقر الذى كان تسلطن و لقّب بالملك الكامل و البيسرى و الأيدمرىّ و الأفرم. و باقى الأمراء و الخاصّكيّة و البرّانيّة تلبس المروزىّ و الطبلخانات بالملّون، و العشرات بالعتّابى.

قلت: و هذا أيضا بخلاف زماننا فإنّه لبس فيه أوباش الناس الخلع السّنيّة، و أعجب من هذا أنّه لمّا لبس هؤلاء الخلع السّنيّة زالت تلك

الأبّهة و الحشمة عن الخلع المذكورة و صارت كمن دونها من الخلع فى أعين الناس لمعرفتهم بمقام اللابس. انتهى.

قلت: و الآن نـذكر ما وعدنا بذكره فى أوائل ترجمة الملك المنصور قلاوون من أمر كتّاب السّرّ، لأنّه هو الذى أحدث هذه الوظيفة و سمّى صاحبها بكاتب السّرّ على ما نبيّنه من أقوال كثيرة:

منها أنّه لمّا كان أيّام الملك الظاهر بيبرس كان الدّوادار يوم ذاك بلبان بن عبد اللّه الرومى. قال الشيخ صلاح الدين خليل الصّفدىّ: كان من أعيان الأمراء (يعنى عن بلبان المـذكور) و من نجبائهم، و كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه و يحمّله أسراره إلى القصّاد. و لم يؤمّره إلا الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۳

و استشهد بمصافّ حمص سنة ثمانين و ستمائة، و كان يباشر وظيفة الدّواداريّة و لم يكن معه كاتب سرّ، فاتّفق أنّه قال يوما لمحيى الدين بن عبد الظاهر: اكتب إلى فلان مرسوما أن يطلق له من الخزانة العالية بدمشق عشرة آلاف درهم، نصفها عشرون ألفا، فكتب المرسوم كما قال له و جهّزه إلى دمشق، فأنكروه و أعادوه إلى السلطان، و قالوا: ما نعلم! هل هذا المرسوم بعشرين نصفها عشرة أو بعشرة نصفها خمسة؟ فطلب السلطان محيى الدين و أنكر عليه ذلك، فقال: يا خوند، هكذا قال لى الأمير سيف الدين بلبان الدّوادار؛ فقال السلطان: ينبغى أن يكون للملك كاتب سرّ يتلقّى المرسوم منه شفاها. و كان الملك المنصور قلاوون حاضرا من جملة الأمراء فسمع هذا الكلام. و خرج الملك الظاهر عقيب ذلك إلى نوبة أبلستين، فلمّا توفّى الملك الظاهر و ملك الملك المنصور قلاوون اتّخذ كاتب سرّ. انتهى.

كلام الصّفدىّ باختصار.

قلت: و فى هذه الحكاية دلالة على أن وظيفة كتابة السرّ لم تكن قبل ذلك أبدا، لقوله: ينبغى للملك أن يكون له كاتب سرّ يتلقّى المرسوم منه شفاها. و أيضا تحقيق ما قلناه: أنّ وظيفة كتابة السرّ لم تكن قديما، و إنّما كانت الملوك لا يتلقّى الأمور عنهم إلّا الوزراء. قضية فخر الدين بن لقمان مع القاضى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر فى الدولة الأشرفيّة خليل بن قلاوون، و هو أنه لمّا توزّر فخر الدين بن لقمان قال له الملك المنصور:

من يكون عوضك فى الإنشاء؟ قال: فتح الدين بن عبد الظاهر، فولّى فتح الدين و تمكّن عند السلطان و حظى عنده؛ و فتح الدين هذا هو الذى قلنا عنه فى أوّل الكتاب إنه أوّل كاتب سرّ كان، و ظهر اسم هذه الوظيفة من ثمّ. انتهى. و حظى فتح الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۴

عند السلطان إلى الغاية. فلمّا كان بعض الأيام دخل فخر الدين بن لقمان على السلطان فأعطاه السلطان كتابا يقرؤه، فلمّا دخل فتح الدين أخذ السلطان الكتاب منه و أعطاه لفتح الدين، و قال لفخر الدين: تأخّر! فعظم ذلك على فخر الدين بن لقمان.

قلت: و لو لا أنّ هذه الواقعة خرق العادة ما غضب ابن لقمان من ذلك، لأنّ العادة كانت يوم ذاك لا يقرأ أحد على السلطان كتابا بحضرة الوزير. انتهى.

و منها واقعة القاضى فتح الدين المذكور مع شمس الدين ابن السّلعوس لمّا ولى الوزارة للملك الأشرف خليل بن قلاوون، فإنّه قال لفتح الدين: اعرض علىّ كلّ ما تكتبه عن السلطان كما هى العادة، فقال فتح الدين: لا سبيل إلى ذلك، فلما بلغ الملك الأشرف هذا الخبر من الوزير المذكور، قال: صدق فتح الدين، فغضب من ذلك الوزير ابن السّلعوس.

قلت: و عندى دليل آخر أقوى من جميع ما ذكرته، أنّه لم أقف على ترجمة رجل فى الإسلام شرقا و لا غربا نعت بكاتب السرّ قبل فتح الدين هذا، و فى هذا كفاية. و ما ذكره صاحب صبح الأعشى و غيره ممّن كتبوا للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و من بعده ليس فى ذلك دليل على أنّهم كتّاب السّرّ؛ بل ذلك دليل لكلّ كاتب كتب عن مخدومه كائنا من كان. و نحن أيضا نذكر الذين ذكرهم صاحب صبح الأعشى و غيره من الكتّاب، و نذكر أيضا من ألحقناه بهم من كتّاب السّرّ إلى يومنا هذا، ليعلم بذلك صدق مقالتى بذكرهم و

ألقابهم و زمانهم. انتهى. قال: اعلم أنّ كتّاب النّبيّ، صلّى اللّه عليه و سلّم، كانوا نيّفا على ستة و ثلاثين كاتبا، لكن المشهور منهم: أبو بكر و عمر و عثمان و عليّ و معاوية بن أبى سفيان و مروان بن الحكم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۵

قلت: و فى مروان خلاف، لأنّ الحافظ أبا عبد اللّه الذهبيّ قال فى ترجمة مروان بن الحكم: له رؤية إن شاء اللّه، و لم يعدّه من الصحابة، فكيف يكون من الكتّاب! و أيضا حذف جماعة من كبار الصحابة كتّاب النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم و أثبت مروان هذا، و فى صحبته خلاف. و لو لا خشية الإطالة لذكرنا من ذكره الحافظ العلامة مغلطاى ممّن كتب للنبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم ليعلم بذلك غلط من عدّ مروان من الكتّاب. انتهى. قال: و لمّا توفّى النّبيّ، صلّى اللّه عليه و سلّم و صارت الخلافة إلى أبى بكر كتب عنه عمر بن الخطّاب و عثمان و عليّ رضى اللّه عنهم. فلمّا استخلف عمر كتب عنه عثمان و عليّ و معاوية و عبد اللّه بن خلف الخزاعيّ، و كان زيد بن ثابت و زيد بن أرقم يكتبان على بيت المال. فلمّا استخلف عثمان كتب عنه مروان بن الحكم. فلمّا استخلف عليّ كتب عنه عبد اللّه بن رافع مولى النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم و سعيد بن نمران. فلمّا استخلف الحسن كتب عنه كتّاب أبيه. فلمّا بايعوا معاوية كتب عنه عبد اللّه بن أوس، و كتب عبد اللّه المذكور عن ابنه يزيد أيضا، و ابن أبيه معاوية بن يزيد. فلمّا خلع معاوية ابن يزيد نفسه و تولّى مروان بن الحكم كتب عنه سفيان الأحول و قيل عبيد اللّه بن أوس.

فلمّا استخلف عبد الملك بن مروان كتب عنه روح بن زنباع الجذاميّ. فلما استخلف الوليد كتب عنه قرّة بن شريك، ثم قبيصة بن ذؤيب، ثم الضحّاك ابن زمل. فلما استخلف سليمان كتب عنه يزيد بن المهلّب، ثم عبد العزيز بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۶

الحارث. فلما استخلف الإمام عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه كتب عنه رجاء بن حيوة الكندىّ، ثم ابن أبى رقيّة؛ فلما استخلف يزيد بن عبد الملك كتب عنه سعيد بن الوليد الأبرش، ثم محمد بن عبد اللّه بن حارثة الأنصارىّ.

فلما استخلف هشام بن عبد الملك أبقاهما على عادتهما، و استكتب معهما سالما مولاه. فلما استخلف الوليد بن يزيد كتب عنه العباس بن مسلم. فلما استخلف يزيد بن الوليد كتب عنه ثابت بن سليمان. فلما استخلف إبراهيم بن الوليد كتب عنه أيضا ثابت على عادته. فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد بن مروان كتب عنه عبد الحميد بن يحيى مولى بنى عامر إلى حين انقراض الدول الأمويّة. ثم صارت الخلافة لبنى العباس فاتخذوا كتّابهم وزراء، و كان أوّل خلفاء بنى العباس أبو العباس عبد اللّه ابن محمد السفّاح فاتخذ أبا سلمة [حفص بن سليمان] الخلّال، و هو أوّل وزير وزر فى الإسلام؛ ثم استوزر معه [خالد بن] برمك و سليمان بن مخلد و الربيع بن يونس، فتراكمت عليهم الأشغال، و اتّسعت عليهم الأمور، فأفردوا للمكاتبات ديوانا، و كانوا يعبّرون عنه تارة بصاحب ديوان الرسائل، و تارة بصاحب ديوان المكاتبات، و تفرّقت دواوين الإنشاء فى الأقطار، فكان بكلّ مملكة ديوان إنشاء؛ و كانت الديار المصريّة من حين الفتح الإسلامى و إلى الدولة الطّولونية إمارة، و لم يكن لديوان الإنشاء فيها كبير أمر. فلما استولى أحمد بن طولون عظمت مملكتها و قوى أمرها فكتب عنه أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود. و كتب لولده خمارويه إسحاق بن نصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۷

العبادىّ. و توالت دواوين الإنشاء بذلك إلى حين انقراض الدولة الإخشيدية.

ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم ديوان الإنشاء بها، و وقع الاعتناء به و اختيار بلغاء الكتّاب ما بين مسلم و ذمّىّ، فكتب للعزيز بن المعزّ فى الدولة الفاطمية أبو المنصور بن جورس النّصرانىّ، ثم كتب لابنه الحاكم و مات فى أيامه، و كتب للحاكم بعده القاضى أبو الطاهر النهركىّ. ثم تولى الظاهر بن الحاكم فكتب عنه أبو الطاهر المذكور. ثم تولى المستنصر فكتب عنه القاضى ولى الدين بن خيران، و وليّ الدولة موسى بن الحسن بعد انتقاله إلى الوزارة، و أبو سعيد العميدىّ.

ثم تولى الآمر و الحافظ فكتب عنهما الشيخ أبو الحسن عليّ بن أبى أسامة الحلبىّ إلى أن توفّى فى أيام الحافظ، فكتب بعده ولده أبو

المكارم إلى أن توفّى، و معه الشيخ أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علىّ بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصّيرفىّ، و القاضى كافى الكفاة محمود ابن القاضى الموفّق أسعد بن قادوس، و ابن أبى الدّم اليهودىّ، ثم كتب بعد أبى المكارم القاضى الموفّق بن الخلّال بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم، و به تخرّج القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانىّ.

ثم أشرك العاضد مع الموفّق بن الخلّال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محمودا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۸

الأنصارىّ. ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى الموفّق بن الخلّال فى وزارة صلاح الدين يوسف بن أيّوب. ثم كانت الدولة الأيّوبية، فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القاضى الفاضل المذكور، ثم أضيفت اليه الوزارة. ثم كتب بعد الناصر لابنه العزيز و لأخيه العادل أبى بكر، ثم مات العادل و الفاضل.

قلت: هنا مجازفة لم يكتب القاضى الفاضل للعادل و كان بينهما مشاحنة، و مات الفاضل قبل وصول العادل إلى مصر، و قيل وقت دخول العادل من باب النصر إلى القاهرة كانت جنازة القاضى الفاضل خارجة. و قد ذكرنا ذلك كلّه فى هذا الكتاب، و إنما كتب الفاضل للعزيز عثمان و لولده الملك المنصور محمد، فالتبس المنصور على الناقل بالعادل. انتهى.

قال: ثم تولّى الكامل بن العادل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدّرج إلى أن توفّى، فكتب له بعده الشيخ أمين الدين عبد المحسن [بن حمود] الحلبى مدّة قليلة؛ ثم كتب للصالح نجم الدين أيّوب، ثم ولى ديوان الإنشاء الصاحب بهاء الدين زهير، ثم صرف و ولى بعده الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعردىّ، فبقى إلى انقراض الدولة الأيّوبية. فلما كانت الدولة التركية كتب للمعز أيبك الصاحب فخر الدين المذكور، ثم بعده للمظفر قطز، ثم للظاهر بيبرس، ثم للمنصور قلاوون، ثم نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة، و ولى ديوان الإنشاء مكانه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر فكتب عنه بقية أيامه؛ ثم كتب لابنه الأشرف خليل إلى أن توفّى، فولّى مكانه القاضى تاج الدين [أحمد] بن الأثير فكتب إلى أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۹

توفّى؛ فكتب بعده القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل اللّه فكتب بقية أيام الأشرف. فلما تولّى أخوه الناصر محمد كتب عنه القاضى شرف الدين المذكور فى سلطنته الأولى ثم فى أيام العادل كتبغا ثم أيام المنصور لاچين ثم فى أيام سلطنة الناصر محمد الثانية؛ ثم نقله إلى كتابة السّرّ بدمشق عوضا عن أخيه القاضى محيى الدين، و تولى مكانه بمصر القاضى علاء الدين [بن تاج الدين] بن الأثير فبقى حتى مرض بالفالج فاستدعى الملك الناصر محيى الدين بن فضل اللّه من دمشق و ولده شهاب الدين [أحمد] و ولّاهما ديوان الإنشاء بمصر. ثم ولّى بعدهما القاضى شمس الدين ابن الشهاب محمود فبقى إلى عود السلطان من الحجّ فأعاد القاضى محيى الدين و ولده القاضى شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بمصر فبقيا مدّة. ثم تغيّر السلطان على القاضى شهاب الدين و صرفه عن المباشرة، و أقام أخاه القاضى علاء الدين و كلاهما معين لوالده لكبر سنّه، ثم سأل القاضى محيى الدين السلطان فى العود إلى دمشق فأعاده و صحبته ولده شهاب الدين؛ و استمرّ ولده القاضى علاء الدين بالديار المصريّة فباشر بقيّة أيام الناصر، ثم أيّام ولده الملك المنصور، ثم أيام الأشرف كجك، ثم أيام الناصر أحمد إلى أن خلع نفسه و توجّه إلى الكرك توجه معه القاضى علاء الدين؛ فلمّا تولّى الملك الصالح إسماعيل السلطنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۰

بمصر بعد أخيه الناصر أحمد قرّر القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى محيى الدين بن فضل اللّه عوضا عن أخيه علاء الدين.

قلت: لم يل بدر الدين محمد بعد أخيه علاء الدين الوظيفة استقلالا و إنّما ناب عنه إلى حين حضوره. انتهى.

قال: ثم أعيد علاء الدين أيّام الصالح إسماعيل و أيام الكامل شعبان، ثم أيام المظفّر حاجّى ثم أيّام الناصر حسن فى سلطنته الأولى، ثم فى أيّام الصالح صالح، ثم فى أيّام الناصر حسن فى سلطنته الثانية، ثم أيام المنصور محمد ابن المظفر حاجّى، ثم فى أيّام الأشرف

شعبان و توفّى فى أيّامه.

قلت: و كانت وفاته فى شهر رمضان سنة تسع و ستين و سبعمائة بعد أن باشر كتابة السر نيّفا و ثلاثين سنة لأحد عشر سلطانا.

قال: ثم ولى الوظيفة بعده ولده بدر الدين محمد ابن القاضى علاء الدين، فباشر بقيّة أيام الأشرف شعبان، ثم ولده المنصور علىّ، ثم أخيه الملك الصالح حاجّى بن شعبان إلى أن خلع بالظاهر برقوق، فاستقرّ برقوق بالقاضى أوحد الدين عبد الواحد ابن إسماعيل التّركمانىّ إلى أن توفّى.

قلت: و كانت وفاته فى ذى الحجة سنة ستّ و ثمانين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۱

قال: ثم أعيد بدر الدين فباشر حتى خلع الظاهر برقوق بالمنصور حاجّىّ، فاستمر بدر الدين إلى أن عاد برقوق إلى سلطنته الثانية، صرفه بالقاضى علاء الدين على بن عيسى الكركى، ثم صرف الكركىّ.

قلت: و مات معزولا فى شهر ربيع الأوّل فى سنة أربع و تسعين و سبعمائة.

قال: ثم أعيد القاضى بدر الدين من بعد عزل القاضى علاء الدين فاستمرّ بدر الدين إلى أن عاد برقوق فتوفّى بدمشق.

قلت: و وفاته فى شوّال سنة ست و تسعين و سبعمائة.

قال: و ولى بعده القاضى بدر الدين محمود الكلستانىّ فباشر إلى أن توفّى.

قلت: و كانت وفاته فى عاشر جمادى الأولى سنة إحدى و ثمانمائة.

قال: فتولى بعده القاضى فتح الدين فتح اللّه [التّبريزىّ] فباشر بقية أيام الظاهر، و مدّة من أيام الناصر إلى أن صرفه الناصر فرج بالقاضى سعد الدين بن غراب مدّة يسيرة، ثم صرف ابن غراب و أعيد القاضى فتح اللّه ثانيا، فباشر إلى أن صرف بالقاضى فخر الدين بن المزوّق، فباشر مدة يسيرة، ثم صرف و أعيد فتح اللّه فباشر إلى أن صرفه الملك المؤيّد شيخ و قبض عليه و صادره.

قلت: و مات تحت العقوبة خنقا فى ليلة الأحد خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة ست عشرة و ثمانمائة، و هو فتح اللّه بن مستعصم بن نفيس التّبريزى الحنفى الداوودى، يأتى ذكره هو و غيره من كتّاب السّرّ فى محلهم من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۲

قال: و تولّى بعده القاضى ناصر الدين محمد البارزىّ فباشر إلى أن توفّى.

قلت: و كانت وفاته يوم الأربعاء ثامن شوّال سنة ثلاث و عشرين و ثمانمائة، و مولده بحماة فى يوم الاثنين رابع شوّال سنة تسع و ستين و سبعمائة. و تولى بعده ولده القاضى كمال الدين محمد بن البارزى، فباشر إلى أن صرفه الملك الظاهر ططر و ولّى علم الدين داود [ابن عبد الرحمن] بن الكويز، فباشر إلى أن توفّى سنة ست و عشرين و ثمانمائة فى دولة الملك الأشرف برسباى. و ولّى بعده جمال الدين يوسف بن الصّيرفىّ الكركىّ فباشر قليلا إلى أن صرف بقاضى القضاة شمس الدين محمد الهروىّ، و دام الكركىّ بعد ذلك و باشر عدّة وظائف بالبلاد الشامية إلى أن توفّى فى حدود سنة خمس و خمسين و ثمانمائة، و باشر الهروى إلى أن عزل بقاضى القضاة نجم الدين عمر ابن حجّى، فباشر ابن حجّى إلى أن عزل و توجّه إلى دمشق على قضائها، و دام إلى أن قتل بها فى ذى القعدة سنة ثلاثين و ثمانمائة، و ولّى بعده القاضى بدر الدين محمد [ابن محمد بن أحمد] بن مزهر، و استمرّ إلى أن مات فى ليلة الأحد سابع عشرين جمادى الآخرة من سنة اثنتين و ثلاثين و ثمانمائة. و ولى بعده ابنه جلال الدين؛ و قيل بدر الدين محمد مدّة يسيرة. و صرف بالشريف شهاب الدين أحمد [بن علىّ بن إبراهيم ابن عدنان] الحسينى الدمشقى، فباشر مدة يسيرة و توفّى بالطاعون فى سنة ثلاث و ثلاثين،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۳

و ولى بعده أخوه نحو الجمعة بغير خلعة و توفّى بالطاعون أيضا. و ولى بعدهما شهاب الدين أحمد [ابن صالح بن أحمد بن عمر

المعروف با] بن السّفاح الحلبى فباشر إلى أن مات فى سنة خمس و ثلاثين. و ولى بعده الوزير كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ مضافا للوزارة، فباشر أشهرا و صرف؛ و أعيد القاضى كمال الدين محمد بن البارزىّ فى يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستّ و ثلاثين، فباشر إلى أن صرف يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع و ثلاثين؛ و ولى مكانه الشيخ محبّ الدين محمد ابن الأشقر فباشر إلى أن صرف، و ولى صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر اللّه، فباشر إلى أن توفّى بالطاعون فى سنة إحدى و أربعين، و ولى مكانه والده الصاحب بدر الدين حسن فباشر إلى أن صرف، و أعيد القاضى كمال الدين بن البارزىّ فى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين و أربعين و ثمانمائة، و هى ولايته الثالثة؛ فباشر إلى أن توفّى بكرة يوم الأحد سادس عشرين صفر سنة ستّ و خمسين و ثمانمائة. و لم يخلّف بعده مثله، و ولى بعده القاضى محب الدين محمد بن الأشقر المقدّم ذكره، و باشر إلى أن صرفه الملك الأشرف إينال بالقاضى محب الدين محمد بن الشّحنة الحلبىّ، فباشر ابن الشّحنة أشهرا ثم صرف، و أعيد القاضى محب الدين محمد بن الأشقر و هى ولايته الثالثة. انتهى.

قلت: و غالب من ذكرناه من هؤلاء الكتّاب قد تقدّم ذكر أكثرهم، و يأتى ذكر باقيهم فى محلّهم من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى. و قد استطردنا من ترجمة الملك المنصور إلى غيرها، و لكن لا بأس بالتطويل فى تحصيل الفوائد. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۴

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۹]

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور قلاوون على مصر و قد تقدّم ذكرها فى ترجمة الملك السعيد، و الملك العادل سلامش ولدى الملك الظاهر بيبرس، و هى سنة ثمان و سبعين و ستمائة، فإنه حكم فيها من شهر رجب إلى آخرها.

و هذه السنة الثانية من ولاته الملك المنصور قلاوون المذكور، و هى سنة تسع و سبعين و ستمائة.

فيها توفّى الشيخ محيى الدين أبو العباس أحمد [بن علىّ] بن عبد الواحد بن السابق الحلبى العدل الكبير، كان من أكابر بيوت حلب، و كان عنده فضيلة و رياسة و مات بدمشق فى ذى الحجة.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين، و قيل صارم الدين، أزبك بن عبد اللّه الحلبى العدل الكبير، كان من أعيان أمراء دمشق، و هو منسوب إلى أستاذه الأمير عزّ الدين أيبك الحلبى، و كان قد تجرّد إلى بعلبكّ فتمرّض بها، فحمل فى محفّة إلى دمشق، فمات بها فى شوّال.

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه الشّمسىّ، كان من أعيان الامراء و أماثلهم و شجعانهم، و هو الذى أمسك الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهرى، و هو الذى باشر قتل كتبغا نوين مقدّم التّتار يوم عين جالوت، و كان ولى نيابة حلب فى السنة الخالية؛ و مات بها فى يوم الاثنين خامس المحرّم و دفن بحلب، و هو فى عشر الخمسين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۵

و فيها توفّى الشيخ الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنفىّ الفقيه العدل، كان من أعيان الفقهاء العدول، و كان كثير الديانة و التعبّد، و هو أخو قاضى القضاة شمس الدين الحنفىّ.

و فيها توفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد [بن أيّوب بن أبى رحلة] الحمصى المولد و الدار البعلبكّى الوفاة، كان فاضلا ظريفا أديبا شاعرا، و مما ينسب إليه من الشعر قوله:

و الدهر كالطيف بؤساه و أنعمه عن غير قصد فلا تحمد و لا تلم

لا تسأل الدهر فى البأساء يكشفها فلو سألت دوام البؤس لم يدم

و فيها توفّى الأديب الفاضل الشاعر المفتنّ جمال الدين أبو الحسين يحيى ابن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علىّ المصرىّ المولد و الوفاة، المعروف بالجزّار، الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء فى زمانه. مولده سنة إحدى و ستمائة. و مات يوم الثلاثاء ثانى عشر

شوّال و دفن بالقرافة، و كان من محاسن الدنيا، و له نوادر مستظرفة و مداعبات و مفاوضات مع شعراء عصره، و له ديوان شعر كبير.

قال الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ: لم يكن فى عصره من يقاربه فى جودة النظم غير السّراج الورّاق، و هو كان فارس تلك الحلبة، و منه أخذوا، [و] على نمطه نسجوا، و من مادّته استمدّوا. انتهى كلام الصّفدىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۶

قلت: و نذكر قطعة من شعره فمن ذلك قوله:

أكلّف نفسى كلّ يوم و ليلة هموما على من لا أفوز بخيره

كما سوّد القصار بالشمس وجهه ليجهد فى تبييض أثواب غيره

و قيل: إنه بات ليلة فى رمضان عند الصاحب بهاء الدين بن حنّا، فصلّى عنده التراويح و قرأ الإمام فى تلك الليلة سورة الأنعام فى ركعة واحدة؛ فقال أبو الحسين:

ما لى على الأنعام من قدرة لا سيّما فى ركعة واحده

فلا تسومونى حضورا سوى فى ليلة الأنفال و المائدة

و من شعره:

طرف المحبّ فم يذاع به الجوى و الدمع إن صمت اللسان لسان

تبكى الجفون على الكرى فاعجب لمن تبكى عليه إذا نأى الأوطان

و فيها توفّى الشيخ الإمام عماد الدين أبو بكر بن هلال بن عبّاد الجيلىّ الحنفى معيد المدرسة الشّبليّة. كان إماما عالما صالحا منقطعا عن الناس مشتغلا بنفسه، و كان معدودا من العلماء، أفتى و أعاد و درّس و انتفع به الناس و مات فى تاسع عشر شهر رجب، و قد كمل له مائة سنة و أربع سنين. و روى عنه ابن الزّبيدىّ؛ و روى بالإجازة العامّة عن السّلفىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۷

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الفقيه شمس الدين محمد بن عبد اللّه [بن محمد بن عمر بن مسعود] بن النّنّ. و الأديب البارع أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزّار بمصر. و شيخ الرافضة النّجيب أبو القاسم بن الحسين ابن العود الحلّىّ بجزّين فى شعبان. و الشيخ الزاهد يوسف [بن نجاح بن موهوب] الفقّاعىّ بزاويته بقاسيون.

أمر فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۰]

السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة ثمانين و ستمائة.

فيها تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق و اللّوق، و انقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المقس و ساحل باب البحر و الرّملة و بين جزيرة الفيل؛ و لم يعهد هذا فيما تقدّم، و حصل لأهل القاهرة مشقّة يسيرة من نقل الماء لبعد البحر عنهم؛ و أراد السلطان حفره فمنعوه، و قالوا له: هذا نشف إلى الأبد.

قلت: و كذا وقع، و غالب أملاك باب البحر و البساتين خارج باب البحر و داخله هى مكان البحر الذى نشف، و التصقت المبانى و البساتين بجزيرة الفيل و صارت غير جزيرة، فسبحان القادر على كل شىء!.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۸

و فيها توفّى الشيخ الصالح المولّه المعتقد إبراهيم بن سعيد الشّاغورىّ المعروف بجيعانة فى يوم الأحد سابع جمادى الأولى بدمشق، و دفن بمقبرة المولّهين بسفح قاسيون، و له من العمر نحو سبعين سنة، و كانت له جنازة عظيمة، و كان له أحوال و مكاشفات، رحمه

اللّه.

و فيها توفّى ملك التّتار أبغا بن هولاكو بن تولى خان بن چنكز خان ملك التّتار و طاغيتهم، كان ملكا جليل القدر على الهمّة شجاعا مقداما خبيرا بالحروب، لم يكن بعد والده مثله، و كان على مذهب التّتار و اعتقادهم، و مملكته متّسعة جدّا و عساكره كثيرة، و كان مع ذلك كلمته مسموعة فى جنده مع كثرتهم. و لمّا توجّه أخوه منكوتمر بالعساكر إلى جهة الشام لم يكن ذلك عن رأيه بل أشير عليه فوافق، و نزل فى ذلك الوقت الرّحبة، أو بالقرب منها، فلما بلغ أبغا كسرة منكوتمر رجع الى همذان فمات غمّا و كمدا و مات منكوتمر بعد أخيه أبغا بمدّة يسيرة بين العيدين، و له من العمر نحو خمسين سنة، و قيل: ثلاثين سنة و الثانى أرجح. و مات بعده بيومين أخوه آجاى على ما يأتى ذكر منكوتمر فى القابلة.

و فيها توفّى التاجر نجم الدين أبو العبّاس أحمد بن علىّ بن المظفّر بن الحلّىّ، كان ذا نعمة ضخمة و ثروة ظاهرة، و أموال جمّة، و له التقدّم فى الدولة.

و فيها توفّى الشيخ موفّق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالكواشىّ الإمام العالم المفسّر صاحب التفسير الكبير و التفسير الصغير و هما من أحسن التفاسير، و كانت له اليد الطّولى فى القراءات و مشاركة فى غير ذلك من العلوم، و كان مقيما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۹

بالجامع العتيق بالموصل منقطعا عن الناس مجتهدا فى العبادة لا يقبل لأحد شيئا، و كان يزوره الملك و من دونه فلا يقوم لهم و لا يعبأ بهم، و كان له مجاهدات و كشوف و كرامات، و لأهل تلك البلاد فيه عقيدة. و مات و له تسعون سنة تقريبا، و كانت وفاته فى سابع عشر جمادى الآخرة بالموصل و دفن بها.

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين المعروف بالحاجّ أزدمر بن عبد اللّه الجمدار، كان من أعيان الأمراء، و كان ممن انضاف إلى سنقر الأشقر لمّا تسلطن، و كان سنقر جعله نائبا بدمشق، و وقع له أمور ذكرنا بعضها فى أوّل ترجمة الملك المنصور قلاوون إلى أن استشهد فى واقعة التّتار مع المنصور قلاوون بظاهر حمص مقبلا غير مدبر رحمه اللّه و تقبّل منه.

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الشّجاعىّ الصالحى العمادى والى الولاة بالجهات القبلية، كان ديّنا خيّرا ليّن الجانب شديدا على أهل الرّيب وجيها عند الملوك، و كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه فى أموره؛ ثم إنه ترك الأمر باختياره و لزم داره إلى أن مات بدمشق فى جمادى الآخرة، و قد بلغ خمسا و ثمانين سنة.

و فيها توفّى الأمير بدر الدين بكتوت بن عبد اللّه الخازندار، استشهد أيضا فى وقعة التّتار بحمص و كان أميرا جليلا.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين بلبان الرّومى الدّوادار المقدّم ذكره فى قضيّة كتّاب السرّ، كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه و ولّاه دوادارا، و كان المطّلع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۰

على أسراره، و تدبير أمور القصّاد و الجواسيس و المكاتبات لا يشاركه فى ذلك وزير و لا نائب سلطنة، بل كان هو و الأمير حسام الدين لاچين الأيدمرىّ المعروف بالدّرفيل، فلما توفّى لاچين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده، و كان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة، و قيل جنديا.

قال الصّفدى: لم يؤمّره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بإمرة ستين فارسا بالشام، و بقى بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه اللّه و قد نيّف على ستين سنة.

و فيها توفّى الأمير شمس الدين سنقر بن عبد اللّه الألفى، كان من أعيان الأمراء الظاهريّة، و ولى نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، و باشر النّيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فأعفى، و ولى النيابة عوضه الأمير كوندك، فكان ذهاب الدولة على يده. ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا و اعتقله بالإسكندرية، و قيل بقلعة الجبل، إلى أن مات، و له

من العمر نحو أربعين سنة.

و فيها توفّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن عليّ بن محمود بن الحسن بن نبهان اليشكرى ثم الربعيّ، كان له اليد الطّولى فى علم الفلك، و تفرّد بحلّ الأزياج و عمل التقاويم، و غلب ذلك عليه مع فضلية تامة فى علم الأدب و جودة النظم. و من شعره:

و لما أتانى العاذلون عدمتهم و ما منهم إلا للحمى قارض

و قد بهتوا لما رأونى شاحبا و قالوا به عين فقلت و عارض

و له:

إنى أغار من النّسيم إذا سرى بأريج عرفك خيفة من ناشق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۱

و أودّ لو سهّرت لا من علّة حذرا عليك من الخيال الطارق

قلت: و أجاد الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح فى هذا المعنى حيث قال:

فلو أمسى على تلفى مصرّا لقلت معذّبى بالله زدنى

و لا تسمح بوصلك لى فإنّى أغار عليك منك فكيف منّى

و مثل هذا أيضا قول حفصة المغربية، رحمها اللّه:

أغار عليك من غيرى و منّى و منك و من مكانك و الزمان

و لو أنّى خبأتك فى جفونى إلى يوم القيامة ما كفانى

و فيها توفّى الشيخ الإمام الأديب البارع بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد اللّه الذّهبىّ الشاعر المشهور، كان أبوه لؤلؤ عتيق الأمير بدر الدين صاحب تلّ باشر.

و كان بدر الدين هذا فاضلا شاعرا ماهرا. و من شعره ممّا كتبه للشيخ نجم الدين [محمد] بن إسرائيل و له صاحب يميل إليه يسمّى بالجارح:

قلبك اليوم طائر عنك فى الجوائح

كيف يرجى خلاصه و هو فى كفّ جارح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۲

و من شعره فى دولاب:

و روضة دولابها إلى الغصون قد شكا

من حين ضاع زهرها دار عليه و بكى

و له:

يا عاذلى فيه قل لى إذا بدا كيف أسلو

يمرّ بى كلّ حين و كلما مرّ يحلو

و له:

حلا نبات الشّعر يا عاذلى لمّا بدا فى خدّه الأحمر

فشاقنى ذاك العذار الذى نباته أحلى من السّكّر

و له فى غلام على وجهه حبّ شباب:

تعشّقته لدن القوام مهفهفا شهىّ اللمّى أحوى المراشف أشنبا

و قالوا بدا حبّ الشباب بوجهه فيا حسنه وجها إلىّ محبّبا

و له:

رفقا بصبّ مغرم أبليته صدّا و هجرا

وافاك سائل دمعه فرددته فى الحال نهرا

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العلّامة الزاهد موفّق الدين أحمد بن يوسف الكواشىّ المفسّر بالموصل فى جمادى الآخرة، و قد جاوز التسعين. و القاضى نجم الدين محمد ابن القاضى صدر الدين بن سنىّ الدولة بدمشق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۳

فى المحرّم. و العلّامة قاضى القضاة تقىّ الدين محمد بن الحسين بن رزين العامرىّ بالقاهرة فى رجب، و له سبع و سبعون سنة. و الحافظ المسند جمال الدين أبو حامد محمد بن علىّ بن محمود بن الصابونىّ فى ذى القعدة. و المسند شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن علّان فى ذى الحجّة، و له سبع و ثمانون سنة. و العدل أمين الدين القاسم بن أبى بكر بن القاسم الإربلىّ فى جمادى الأولى. و العارف الزاهد ولىّ الدين علىّ بن أحمد بن بدر الجزرىّ المقيم بجامع بيت لهيا فى شوّال.

و أبغا بن هولاكو ملك التّتار ببلاد همذان. و الحاج أزدمر الأمير بمصافّ حمص شهيدا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ثلاث أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و أربع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۱]

السنة الرابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة إحدى و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلّكان بن باول بن عبد اللّه بن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكىّ الإربلىّ الشافعىّ قاضى قضاة دمشق و عالمها و مؤرّخها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۴

مولده فى ليلة الأحد حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان و ستمائة بإربل و بها نشأ.

ذكره ابن العديم فى تاريخه فقال: من بيت معروف بالفقه و المناصب الدينية. و قال غيره: كان إماما عالما فقيها أديبا شاعرا مفتنّا مجموع الفضائل معدوم النظير فى علوم شتّى، حجّة فيما ينقله محقّقا لما يورده منفردا فى علم الأدب و التاريخ، و كانت وفاته فى شهر رجب و له ثلاث و سبعون سنة.

قلت: و هو صاحب التاريخ المشهور، و قد استوعبنا من حاله نبذة جيّدة فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى». انتهى.

و كان ولى قضاء دمشق مرّتين: الأولى فى حدود الستين و ستمائة و عزل و قدم القاهرة، و ناب فى الحكم بها عن قاضى القضاة بدر الدين السّنجارىّ، و أفتى بها و درّس و دام بها نحو سبع سنين؛ ثم أعيد إلى قضاء دمشق بعد عزّ الدين بن الصائغ، و سرّ الناس بعوده.

و مدحته الشعراء بعدّة قصائد؛ من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن إسماعيل [بن مسعود بن سعد بن سعيد] الفارقىّ فقال:

أنت فى الشام مثل يوسف فى مص ر و عندى أنّ الكرام جناس

و لكلّ سبع شداد و بعد السّب ع عام فيه يغاث الناس

و قال فيه أيضا نور الدين علىّ بن مصعب.

رأيت أهل الشآم طرّا ما فيهم قطّ غير راض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۵

أتاهم الخير بعد شرّ فالوقت بسط بلا انقباض

و عوّضوا فرحة بحزن قد أنصف الدهر فى التقاضى

و سرّهم بعد طول غمّ قدوم قاض و عزل قاض

فكلّهم شاكر و شاك لحال مستقبل و ماض

و من شعر ابن خلّكان المذكور قوله:

تمثّلتم لى و البلاد بعيدة فخيّل لى أنّ الفؤاد لكم مغنى

و ناجا كم قلبى على البعد و النّوى فآنستمو لفظا و أوحشتمو معنى

و له دو بيت:

قاسوك ببدر التّمّ قوم ظلموا لا ذنب لهم لأنّهم ما علموا

من أين لبدر التّمّ يا ويحهم جيد و عيون و قوام و فم

و له:

يا رب إنّ العبد يخفى عيبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه

و لقد أتاك و ما له من شافع لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

قلت و يعجبنى فى هذا المعنى قول القائل:

إن كانت الأعضاء خالفت الّذى أمرت به فى سالف الأزمان

فسلوا الفؤاد عن الذى أودعتم فيه من التوحيد و الإيمان

تجدوه قد أدّى الأمانة فيهما فهبوا له ما خلّ فى الأركان

و فيها توفّى ملك التّتار منكوتمر بن هولاـكو خان بن تولى خان بن چنكز خان، هو أخو أبغا ملك التّتار؛ و منكوتمر هذا هو الذى ضرب المصافّ مع السلطان الملك المنصور قلاوون على حمص حسب ما تقدّم ذكره و انكسرت عساكره، فلمّا وقع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۶

ذلك عظم عليه و حصل عنده غمّ شديد و كمد زائد، و حدّثته نفسه بجمع العساكر من سائر ممالك بيت هولاكو، و استنجد بأخيه أبغا على غزو الشام، فقدّر اللّه سبحانه و تعالى موت أبغا، ثم مات هو بعده فى محرّم هذه السنة، و أراح اللّه المسلمين من شرّهما. و كان منكوتمر شجاعا مقداما و عنده بطش و جبروت و سفك للدّماء، و كان نصرانيّا، و كان جرح يوم مصافّ حمص، و الذى جرحه الأمير علم الدين سنجر الدّويدارىّ.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الإمام زين الدين عبد السلام بن علىّ الزّواوىّ المالكىّ شيخ القرّاء فى رجب، عن اثنتين و تسعين سنة.

و قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الإربلىّ فى رجب، و له ثلاث و سبعون سنة. و نجيب الدين المقداد بن هبة اللّه القيسىّ العدل فى شعبان.

و أبو الطاهر إسماعيل بن هبة اللّه المليجىّ آخر من قرأ القرآن على أبى الجود فى رمضان بالقرافة. و البرهان إبراهيم بن إسماعيل [بن إبراهيم بن يحيى بن علوىّ المعروف ب] ابن الدّرجىّ إمام المدرسة المعزّيّة فى صفر، و له اثنتان و ثمانون سنة.

و العماد إسماعيل بن إسماعيل بن جوسلين البعلبكّىّ. و العلّامة برهان الدين محمود ابن عبد اللّه المراغى فى شهر ربيع الآخر، و له ستّ و سبعون سنة. و الإمام أمين الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۷

أحمد بن عبد اللّه [بن محمد بن عبد الجبّار] بن الأشترىّ الشافعى فى شهر ربيع الأوّل.

و الشيخ الزاهد عبد اللّه [بن أبى بكر بن أبى البدر البغدادىّ و يعرف] بكتيلة ببغداد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۲]

السنة الخامسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة اثنتين و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجّىّ بن بريد البرمكىّ أمير آل مرى، كان من فرسان العرب المشهورين، كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد و بلاد الحجاز و يؤدّون له الخفر، و كذلك صاحب المدينة الشريفة، و كانت له المنزلة العالية عند الظاهر و المنصور قلاوون و غيرهما من الملوك، كانوا يداروه و يتّقون شرّه، و كان يزعم أنّه من نسل الوزير جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكىّ من أخت الخليفة هارون الرشيد الذى امتحن جعفر بسببها و قتل. و كان بين شهاب الدين هذا و بين عيسى بن مهنّا أمير آل فضل منافسة، فكتب إليه شهاب الدين هذا مرّة كتابا و أغلظ فيه، و كان عند عيسى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم فسأله عيسى بن مهنّا المجاوبة، فكتب عنه يقول:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۸

زعموا أنّا هجونا جمعهم بالافتراء

كذبوا فيما ادّعوه و افتروا بالادّعاء

إنّما قلنا مقالا لا كقول السّفهاء

آل فضل آل فضل و انتم آل مراء

و فيها توفّى شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمد النّواوى والد الشيخ محيى الدين النّواوىّ، كان مقتنعا بالحلال يزرع أرضا يقتات منها هو و أهله، و كان يموّن ولده الشيخ محيى الدين منها، و مات فى صفر.

و فيها توفّى الشيخ الإمام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن محمد بن قدامة الحنبلىّ المقدسىّ، كان إماما فقيها ورعا زاهدا كبير القدر جمّ الفضائل، انتهت إليه رياسة مذهب الإمام أحمد بن حنبل، رضى اللّه عنه، فى زمانه، و شرح كتاب «المقنع» فى الفقه تأليف عمّه شيخ الإسلام موفّق الدين، رحمه اللّه:

و فيها توفّى الأمير علاء الدين كشتغدى بن عبد اللّه الشرفىّ الظاهرىّ المعروف بأمير مجلس، كان من أعيان الأمراء و أكابرهم بالديار المصريّة و كان بطلا شجاعا و له مواقف مشهورة و نكايات فى العدوّ المخذول. و مات بقلعة الجبل و قد نيّف على خمسين سنة، و حضر الملك المنصور قلاوون جنازته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۹

و فيها توفّى الكاتب المجوّد عماد الدين أبو عبد اللّه، و قيل أبو الفضل، محمد ابن محمد بن هبة اللّه بن محمد بن هبة اللّه الشّيرازىّ الدمشقىّ صاحب الخطّ المنسوب. انتهت إليه الرياسة فى براعة الخط لا سيّما فى [القلم] المحقّق و [قلم] النّسخ.

سمع الكثير و روى عنه الحافظ جمال الدين المزّىّ و غيره، و تصدّى للكتابة و انتفع به الناس. و قدم القاهرة و اتّفق أنّه ركب النيل مرّة مع الصاحب بهاء الدين بن حنّا، و كان معه جماعة من أصحابه و فيهم شخص معروف بابن الفقّاعى ممّن له عناية بالكتابة، فسأل الصاحب بهاء الدين، و قال: عندى لمولانا الصاحب و هؤلاء الجماعة يوم كامل الدّعوة، و مولانا يدعو المولى عماد الدين يفيدنى قطّة القلم، فقال الصاحب:

و اللّه ما فى هذا شىء، مولانا يتفضّل عليه بذلك، فأطرق عماد الدين مغضبا، ثم رفع رأسه و قال: أو خير لك من ذلك؟ قال: و ما هو؟ قال: أحمل إليك ربعة بخطّى، و يعفينى من هذا، فقال الصاحب: لا و اللّه، الرّبعة بخطّ مولانا تساوى ألفى درهم، و أنا ما آكل

من هذه الضيافة شيئا يساوى عشرة دراهم.

و فيها توفّى الشيخ أبو محمد، و قيل أبو المحاسن، عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة الحرّانىّ أحد علماء الحنابلة و والد الشيخ تقىّ الدين بن تيميّة. مولده بحرّان فى ثانى عشر شوّال سنة سبع و عشرين و ستمائة، و سمع الكثير و تفقه و برع فى الفقه و تميّز فى عدّة فنون، و درّس ببلده و أفتى و خطب و وعظ و فسّر، ولى هذه الوظائف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۰

عقيب موت والده مجد الدين، و عمره خمس و عشرون سنة، و كان أبوه أيضا من العلماء. و مات فى سلخ ذى الحجّة و دفن بمقابر الصوفيّة بدمشق.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الإمام عماد الدين علىّ بن يعقوب [بن شجاع بن علىّ بن إبراهيم بن محمد] بن أبى زهران الموصلىّ الشافعىّ شيخ القرّاء بدمشق فى صفر، و قد قارب الستين. و شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر المقدسى [محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة] فى شهر ربيع الآخر، و له خمس و ثمانون سنة. و الإمام شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميّة الحرّانىّ والد شيخنا فى سلخ السنة، و له ستّ و خمسون سنة. و الشيخ محيى الدين عمر بن محمد بن أبى سعد [عبد اللّه بن محمد بن هبة اللّه بن على بن المطهر] بن أبى عصرون التّميمىّ فى ذى القعدة عن ثلاث و ثمانين سنة. و الإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن نعمة المقدسىّ مدرّس الشاميّة فى ذى القعدة. و خطيب دمشق محيى الدين محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم [ابن القاضى أبى القاسم عبد الصمد] ابن الحرستانىّ فى جمادى الآخرة، و له ثمان و ستون سنة. و الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن عبّاس [بن أبى بكر] بن جعوان الأديب فى جمادى الأولى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۱

و الرئيس محيى الدين يحيى بن على بن القلانسىّ فى شوّال. و الرئيس عماد الدين أبو الفضل محمد [بن محمد] ابن القاضى شمس الدين هبة اللّه بن الشّيرازى فى صفر.

و شرف الدين محمد بن عبد المنعم بن القوّاس فى شهر ربيع الآخر. و المحدّث جمال الدين عبد اللّه بن يحيى الجزائرى فى شوّال. و الرشيد محمد بن أبى بكر بن محمد العامرىّ فى ذى الحجّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۳]

السنة السادسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة ناصر الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن منصور الجذامىّ المالكىّ المعروف بابن المنيّر قاضى الإسكندرية، مولده فى ذى القعدة سنة عشرين و ستمائة، و مات بالإسكندرية ليلة الخميس مستهلّ شهر ربيع الأوّل، و دفن عند تربة والده عند الجامع المغربىّ، و كان إماما فاضلا متبحّرا فى العلوم و له اليد الطّولى فى علم الأدب و النظم و النثر. و من شعره ما كتبه لقاضى القضاة شمس الدين ابن خلّكان فى صدر كتاب:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۲

ليس شمس الضّحا كأوصاف شمس الد ين قاضى القضاة حاشا و كلّا

تلك مهما علت محلّا ثنت ظلّا و هذا مهما علا مدّ ظلّا

و له يهجو القاضى زين الدين بن أبى الفرج لمّا نازعه فى الحكم:

قل لمن يدّعى المناصب بالجه ل تنحّ عنها لمن هو أعلم

إن تكن فى ربيع ولّيت يوما فعليك القضاء أمسى محرّم

و له فى صدر كتاب كتبه إلى الفائزى يسأله رفع التصقيع عن ثغر الإسكندريّة:

إذا اعتلّ الزمان فمنك يرجو بنو الأيام عاقبة الشّفاء

و إن ينزل بساحتهم قضاء فأنت اللّطف فى ذاك القضاء

و فيها توفّى ملك التتار أحمد بن هولاكو قان بن تولى قان بن چنكز قان، كان ملكا شهما خبيرا بأمور الرعيّة سالكا أحسن المسالك، أسلم و حسن إسلامه و بنى بممالكه الجوامع و المساجد، و كان متّبعا دين الإسلام لا يصدر عنه إلّا ما يوافق الشريعة، و كان لمّا حسن إسلامه صالح السلطان الملك المنصور قلاوون، و فرح السلطان بذلك، فمات أحمد بعد مدّة يسيرة، و ملك بعده أرغون بن أبغا.

و فيها توفّى القاضى نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة اللّه بن المسلم ابن هبة اللّه بن حسّان بن محمد بن منصور بن أحمد الجهنىّ الشافعىّ المعروف بابن البارزىّ، ولد بحماة سنة ثمان و ستمائة، و روى الحديث و برع فى الفقه و الحديث و النحو و الأدب و الكلام و الحكمة، و صنّف فى كثير من العلوم، و تولّى القضاء بحماة نيابة عن والده، ثم استقلّ بعده و لم يأخذ على القضاء رزقا، و صرف قبل موته بسنين.

و من شعره تضمينا لأوّل قصيدة البهاء زهير البائية:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۳

و كان الرّضا منى إليه و لم يكن رسول فأخشى أن ينم و يكذبا

و ناديت أهلا بالحبيب و لم أقل رسول الرّضا أهلا و سهلا و مرحبا

و فيها توفّى الأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا أمير آل فضل و ملك العرب فى وقته؛ و كان له منزلة عظيمة عند الملوك لا سيّما عند الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ، ثم تضاعفت عند الملك المنصور قلاوون، و كان كريم الأخلاق حسن الجوار مكفوف الشر مبذول الخير، لم يكن فى العرب و ملوكها من يضاهيه، و كان عنده ديانة و صدق. و لمّا مات ولّى الملك المنصور قلاوون ولده مهنّا عوضه، و كان بين وفاته و وفاة عدوّه الأمير أحمد بن حجّىّ أمير آل مرى دون السنة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن موسى بن النّعمان التّلمسانىّ، سمع الكثير بعدّة بلاد و حدّث، و مولده بتلمسان فى سنة ستّ أو سبع و ستمائة، و مات بمصر و دفن بالقرافة الكبرى، و هو غير شمس الدين محمد بن العفيف التّلمسانىّ.

و فيها توفّى الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن الملك المظفّر محمود ابن الملك المنصور محمد بن تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيّوب صاحب حماة و المعرّة و ابن صاحبهما، ملكهما بعد وفاة أبيه سنة اثنتين و أربعين و ستمائة، و والدته الصاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد صاحب مصر ابن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب. و كان مولده سنة اثنتين و ثلاثين و ستمائة، و ولّى الملك المنصور قلاوون ابنه بعد وفاته.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى القاضى ناصر الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن منصور الجذامىّ ابن المنيّر بالإسكندريّة فى شهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۴

ربيع الأوّل، و له ثلاث و ستون سنة. و الملك أحمد بن هولاكو ملك التّتار.

و قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزىّ الشافعىّ فى ذى القعدة، و حمل و دفن بالبقيع، و له خمس و سبعون سنة.

و قاضى دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصارى بن الصائغ فى شهر ربيع الآخر فى آخر الكهولية.

و صاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن المظفّر محمود عن إحدى و خمسين سنة. و الشيخ العارف أبو عبد اللّه محمد

بن موسى بن النّعمان التّلمسانىّ بمصر فى رمضان، و له سبع و سبعون سنة. و ملك العرب عيسى بن مهنّا فى شهر ربيع الأوّل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عدّة أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۴]

السنة السابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة أربع و ثمانين و ستمائة.

فيها كان فتوح المرقب و غيره من القلاع بالساحل حسب ما ذكرناه فى أوّل الترجمة.

و فيها ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون، و والده على حصار المرقب؛ و قد تقدّم ذكر ذلك أيضا.

و فيها توفّى الشيخ زين الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أحمد الأندلسىّ الإشبيلىّ الأصل المعروف بكتاكت المصرى الواعظ المقرئ الأديب الشاعر، مولده سنة خمس و ستمائة، و قيل غير ذلك، و مات بالقاهرة فى شهر ربيع الأوّل. و كان إماما فى الوعظ ولد به فضيلة و مشاركة. و له شعر جيّد. من ذلك قوله.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۵

من أنت محبوبه ما ذا يغيّره و من صفوت له ما ذا يكدّره

هيهات عنك ملاح الكون تشغلنى و الكلّ أعراض حسن أنت جوهره

و له القصيدة المشهورة عند الفقراء التى أوّلها:

حضروا فمذ نظروا جمالك غابوا و الكلّ مذ سمعوا خطابك طابوا

و فيها توفّى الأمير علاء الدين أيدكين بن عبد اللّه البندقدارىّ الصالحىّ النجمىّ أستاذ الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، كان أصل أيدكين هذا من مماليك الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، ثم انتقل عنه للملك الصالح نجم الدين أيّوب و جعله بندقداره و أمّره ثم نكبه، و أخذ منه الملك الظاهر بيبرس ثم أعاده. ثم ترقّى بعد موت أستاذه و ولى نيابة الشام من قبل مملوكه الملك الظاهر بيبرس، و كان الملك الظاهر بيبرس يعظّمه و يقول له: أنت أستاذى و يعرف له حقّ التربية! و كان هو أيضا يبالغ فى خدمة الملك الظاهر و النّصح له؛ و هو الذى انتزع له دمشق من يد الأمير سنجر الحلبىّ كما تقدّم ذكره. و عاش أيدكين إلى دولة الملك المنصور قلاوون، و هو من أكابر الأمراء و أعيانهم إلى أن مات فى القاهرة فى شهر ربيع الاخر، و دفن بتربته قريب بركة الفيل و قد ناهز السبعين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۶

قلت: و ما العجب أنّ أيدكين هذا كان من جملة أمراء مملوكه الملك الظاهر بيبرس، و العجب أن أستاذ أيدكين هذا الأمير جمال الدين بن يغمور كان أيضا من جملة أمراء الظاهر بيبرس فكان الظاهر أستاذ أستاذه فى خدمته و من جملة أمرائه فانظر إلى تقلبات الدهر بالملوك و غيرها!

و فيها توفّى الشيخ الإمام رشيد الدين أبو محمد سعيد بن علىّ بن سعيد البصراوىّ الحنفىّ مدرّس الشّبليّة؛ كان إماما عالما فاضلا مدرّسا كثير الدّيانة و الورع، عرض عليه القضاء غير مرّة فامتنع، و كانت له اليد الطّولى فى العربيّة و النظم، و كانت وفاته فى شعبان و دفن بقاسيون. و من شعره:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۷

أرى عناصر طيب العيش أربعة ما زال منها فطيب العيش قد زالا

أمنّا و صحّة جسم لا يخالطها مغاير و الشّباب الغضّ و المالا

و له مواليا:

كيف اعتمدت على الدنيا و تجريبك أراك فلك تراها كيف تجرى بك

ما زالت الخادعه تدنو فتغرى بك حتى رمتك بإبعادك و تغريبك

و فيها توفّى الأديب البارع مجير الدين أبو عبد اللّه محمد بن يعقوب بن علىّ المعروف بابن تميم الشاعر المشهور، و هو سبط ابن تميم، كان أصله دمشقيّا و انتقل إلى حماة و خدم صاحبها الملك المنصور جنديّا، و كان له به اختصاص، و كان فاضلا شجاعا عاقلا، و كان من الشعراء المعدودين. و من شعره فى الشجاعة و الإقدام قوله:

دعنى أخاطر فى الحروب بمهجتى إمّا أموت بها و إمّا أرزق

فسواد عيشى لا أراه أبيضا إلّا إذا احمرّ السّنان الأزرق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۸

و له:

لم لا أهيم إلى الرّياض و زهرها و أقيم منها تحت ظل ضافى

و الغصن يلقانى بثغر باسم و الماء يلقانى بقلب صافى

و له:

عاينت ورد الرّوض يلطم خدّه و يقول و هو على البنفسج محنق

لا تقربوه و إن تضوّع نشره ما بينكم فهوا العدوّ الأزرق

قلت: و قريب من هذا قول القائل:

بنفسج الروض تاه عجبا و قال طيبى للجوّ ضمّخ

فأقبل الزهر فى احتفال و البان من غيظه تنفّخ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۳۶۸

ذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّيت أمّ الخير ستّ العرب بنت يحيى بن قيماز الكنديّة فى المحرّم. و المحدّث أبو القاسم علىّ بن بلبان الناصرىّ فى رمضان. و أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد اللّه الأنماطىّ فى ذى الحجّة. و القدوة الشيخ محمد بن الحسن الإخميمىّ بقاسيون فى جمادى الأولى. و الشيخ الزاهد شرف الدين محمد ابن الشيخ عثمان [بن علىّ] الرّومىّ. و الإمام الرشيد سعيد بن علىّ [ابن سعيد] الحنفىّ فى رمضان. و العلّامة رضىّ الدين محمد بن على بن يوسف الشاطبىّ اللغوى بمصر، و له نيّف و ثمانون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم لم يحرّر. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۹

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۵]

السنة الثامنة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة خمس و ثمانين و ستمائة.

فيها استولى الملك المنصور قلاوون على الكرك و انتزعها من يد الملك المسعود خضر ابن الملك الظاهر بيبرس.

و فيها توفّى الشيخ معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن تولوا الفهرىّ، مولده بتنّيس سنة خمس و ستمائة، و مات بمصر فى شهر ربيع الأوّل، و دفن بالقرافة الصغرى، و سمع الحديث و تفقّه و كان له معرفة بالأدب و له يد طولى فى النظم، و شعره فى غاية الجودة. و من شعره و قد أمر قاضى مصر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبى الحسين الجزّار. فقال:

تقدّم القاضى لنوّابه بقطع رزق البرّ و الفاجر

و وفّر الجزّار من بينهم فاعجب للطف التّيس بالجازر

و فيها توفّى الشيخ شهاب الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارىّ الصوفى الفقيه الشافعى، الشاعر المشهور المعروف بابن الخيمىّ، كان إمام عصره فى الأدب و نظم الشعر مع مشاركة فى كثير من العلوم. و مولده سنة اثنتين و ستمائة، و توفى بمشهد الحسين بالقاهرة فى شهر رجب، و قد أوضحنا أمره مع نجم الدين ابن إسرائيل لمّا تداعيا القصيدة التى أوّلها:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۰

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب إليك آل التّقصّى و انتهى الطّلب

فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى» و ذكرنا أمرهما لمّا أمرهما ابن الفارض بنظم قصيدتين فى الرّوىّ و القافية و ذكرنا القصيدتين أيضا بكمالهما، ثم حكم ابن الفارض بالقصيدة لشهاب الدين هذا. و القصيدة التى نظمها شهاب الدين ابن الخيمىّ هذا لمّا أمره ابن الفارض بالنظم أوّلها:

للّه قوم بجرعاء الحمى غيب جنوا علىّ و لمّا أن جنوا عتبوا

و التى نظمها ابن إسرائيل.

لم يقض من حبّكم بعض الذى يجب قلب متى ما جرى تذكاركم يجب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المسند أبو العبّاس أحمد بن شيبان الصالحىّ فى صفر، و قد قارب التسعين. و العلّامة جمال الدين محمد ابن أحمد بن محمد البكرىّ. و الشهاب محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارىّ ابن الخيمىّ الشاعر فى رجب، و له ثلاث و ثمانون سنة. و الشيخ عبد الرحيم بن محمد ابن أحمد بن فارس العلثىّ بن الزّجّاج فى المحرّم. و أمة الحقّ شاميّة ابنة صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد البكرىّ فى رمضان. و الإمام صفىّ الدين خليل بن أبى بكر ابن محمد المراغىّ فى ذى القعدة. و قاضى القضاة بهاء الدين يوسف ابن القاضى محيى الدين [يحيى] بن الزكى فى ذى الحجّة، و له ستّ و أربعون سنة. و المقرئ برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن المظفّر الوريرىّ فى ذى الحجّة قافلا من الحجّ. و خطيب كفر بطنا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۱

جمال الدين محمد بن عمر الدّينورىّ فى رجب، و له اثنتان و سبعون سنة.

و المقرئ الشيخ حسن بن عبد اللّه بن ويحيان الرّاشدىّ فى صفر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع، و قيل خمس، و ست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۶]

السنة التاسعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة ست و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى الشيخ الإمام العارف باللّه تعالى قطب زمانه شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن عمر المرسىّ الأنصارىّ الإسكندرىّ المالكىّ الصالح المشهور، كان علّامة زمانه فى العلوم الإسلاميّة، و له القدم الراسخة فى علم التحقيق، و له الكرامات الباهرة، و كان يقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، و لم يشاركونا فيما نحن فيه. و قال الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ: أبو العبّاس بطرق السماء أعلم منه بطرق الأرض. انتهى.

قلت: و كان لديه فضيلة و مشاركة، و له كرامات و أحوال مشهورة عنه، و للناس فيه اعتقاد كبير لا سيّما أهل الإسكندرية، و قد شاع ذكره و بعد صيته بالصلاح و الزّهد، و كان من جملة الشهود بالثّغر، و بها توفّى و دفن و قبره يقصد للزيارة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۲

و فيها توفّى الشيخ شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بليمان بن أبى الجيش ابن عبد الجبّار بن بليمان الهمذانىّ الأصل الرّعبانىّ المولد، الإربلىّ المنشأ، الشاعر المشهور صاحب النوادر، كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد صاحب الشام، و كان

أبوه صائغا و تعانى هو أيضا الصّياغة، قيل إنّه جاء إليه مملوك مليح من مماليك الملك الأشرف موسى، و قال له: عندك خاتم لإصبعى؟ فقال له: لا، إلا عندى إصبع مليح لخاتمك. و مات بدمشق فى ليلة عاشر صفر. و من شعره:

و ما زالت الرّكبان تخبر عنكم أحاديث كالمسك الذّكىّ بلامين

إلى أن تلاقينا فكان الذى وعت من القول أذنى دون ما أبصرت عينى

و لمّا قامر التّلعفرىّ بثيابه و أخفافه قال فيه شرف الدين هذا قصيدة و أنشدها للملك الناصر بحضرة التّلعفرىّ. فلمّا فرغ من إنشادها قال له التّلعفرىّ: ما أنا جندىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۳

حتى أقامر بأخفافى. فقال له شرف الدين: بخفاف امرأتك. فقال: مالى امرأة، فقال له: لك مقامرة من بين الحجرين إمّا بالخفاف أو بالنّعال. انتهى.

قلت: و أنا مسامح التّلعفرىّ على القمار، لحسن ما قاله من رائق الأشعار:

فمن كان ذا عذر قبلت اعتذاره و من لاله عذر فعندى له عذر

و فيها توفّى الشيخ الإمام المحدّث قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ بن محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد اللّه بن ميمون القيسىّ الشّاطبىّ المحدّث الإمام العلّامة، كان شيخ الكامليّة بالقاهرة المعروف بابن القسطلانىّ التّوزرىّ الأصل المصرى المولد المكّىّ المنشأ الشافعىّ المذهب، مولده سنة أربع عشرة و ستمائة، و مات يوم السبت ثامن عشر المحرّم، و دفن بالقرافة الصغرى، و كان مجموع الفضائل، رحمه اللّه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الإمام النّحوىّ بدر الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين بن مالك فى المحرّم. و الإمام قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ القسطلانىّ بالقاهرة فى المحرّم. و قاضى القضاة برهان الدين الخضر بن الحسن بن علىّ السّنجارىّ بمصر فى صفر. و الحكيم عماد الدين محمد بن عبّاس الرّبغىّ الدّنيسرىّ، و له إحدى و ثمانون سنة. و شرف الدين سليمان ابن بليمان الإربلىّ الشاعر. و المحدث وجيه الدين عبد الرحمن بن حسن السّبتىّ فى جمادى الأولى. و المسند عزّ الدين أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم [بن علىّ] ابن الصّيقل الحرّانىّ فى شهر رجب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۴

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۷]

السنة العاشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة سبع و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى الشيخ المعتقد الصالح برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شدّاد الجعبرىّ الأصل و المولد المصرىّ الدار و الوفاة، الصالح المشهور، نشأ بجعبر ثم انتقل إلى الديار المصريّة و استوطنها و لزم مسجده، و كان يعظ به و يجتمع عنده خلق كثير، و لأصحابه فيه عقيدة حسنة، و له مقالات كثيرة، و كان زاهدا عابدا، سمع الحديث و روى عن السّخاوىّ و غيره، و كان غزير الفضيلة حلو العبارة.

قال الصلاح الصّفدىّ: أخبرنى الشيخ الإمام العلّامة أثير الدين أبو حيّان من لفظه قال: رأيت المذكور بالقاهرة، و حضرت مجلسه أنا و الشيخ نجم الدين بن مكّىّ، و جرت لنا معه حكاية، و كان يجلس للعوامّ يذكّرهم و لهم فيه اعتقاد، و كان يدرى شيئا من الحديث، و له مشاركة فى أشياء من العلوم و فى الطب، و له شعر جيّد.

و أنشد له قصيدة أذكر منها القليل:

عشقوا الجمال مجرّدا بمجرّد الر وح الزكيّة عشق من زكّاها

متجرّدين عن الطّباع و لؤمها متلبّسين عفافها و تقاها

انتهى كلام الصّفدىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۵

و قال القطب اليونينىّ: و أظنّه نيّف على الثمانين من العمر، و لمّا مرض مرض الموت أمر أن يخرج به إلى مكان مدفنه، فلما رآه قال له: «قبير جاك دبير». و مات بعد ذلك بيوم فى يوم السبت رابع عشرين المحرّم بالقاهرة و دفن من يومه بالحسينيّة خارج باب النّصر، و قبره معروف هناك يقصد للزيارة.

قلت: و يعجبنى فى هذا المعنى المقالة السابعة الزّهديّة من مقالات الشيخ العارف الرّبانىّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة اللّه الأصفهانىّ المعروف بشوروة من كتابه «أطباق الذهب» و هى:

طوبى للتّقىّ الخامل، الذى سلم عن إشارة الأنامل؛ و تعسا لمن قعد فى الصوامع، ليعرف بالأصابع؛ خزائن الأمناء مكتومة، و كنوز الأولياء مختومة؛ و الكامل كامن بتضاءل، و الناقص قصير يتطاول؛ و العاقل قبعة، و الجاهل طلعة؛ فاقبع قبوع الحيّات، و اكمن فى الظّلمات، كمون ماء الحياة؛ و صن كنزك فى التّراب، و سيفك فى القراب؛ و عفّ آثارك بالذّيل المسحوب، و استر رواءك بسفعة الشّحوب؛ فالنباهة فتنة، و الوجاهة محنة؛ فكن كنزا مستورا، و لا تكن سيفا مشهورا؛ إنّ الظالم جدير أن يقبر و لا يحشر، و البالى خليق أن يطوى و لا ينشر؛ و لو عرف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۶

الجذل صولة النّجار، و عضّة المنشار؛ لما تطاول شبرا، و لا تخايل كبرا، و سيقول البلبل المعتقل: يا ليتنى كنت غرابا، و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا». انتهى.

و فيها توفّى الشيخ ناصر الدين أبو محمد حسن بن شاور بن طرخان الكنانىّ و يعرف بابن الفقيسىّ و بابن النّقيب الشاعر المشهور، كان من الفضلاء الأدباء، و مات ليلة الأحد منتصف شهر ربيع الأوّل و دفن بسفح المقطّم، و له تسع و سبعون سنة؛ و كان بينه و بين العلّامة شهاب الدين محمود صحبة و مجالسة و مذاكرة فى القريض.

و من شعره:

نهيناه عن فعل القبيح فما انتهى و لا ردّه ردع و عاد و عادى

و قلنا له دن بالصّلاح فقلّما رأينا فتى عانى الفساد فسادا

و له:

و جرّدت مع فقرى و شيخوختى التى تراها فنومى عن جفونى مشرّد

فلا يدّعى غيرى مقامى فإنّنى أنا ذلك الشيخ الفقير المجرّد

و له:

حدّثت عن ثغره المحلّى فمل إلى خدّه المورّد

خدّ و ثغر فجلّ ربّ بمبدع الحسن قد تفرّد

و له:

يا من أدار سلافة من ريقه و حبابها الثّغر الشّنيب الأشنب

تفّاح خدّك بالعذار ممسّك لكنّه بدم القلوب مخضّب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۷

و له:

أنا العذريّ فاعذرنى و سامح و جرّ علىّ بالإحسان ذيلا

و لمّا صرت كالمجنون عشقا كتمت زيارتى و أتيت ليلا

و فيها توفّى الملك الصالح على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، كان والده المنصور قلاوون قد جعله وليّ عهده و سلطنه فى حياته حسب ما تقدم ذكره فى سنة تسع و سبعين و ستمائة، فدام فى ولاية العهد إلى هذه السنة مرض و مات بعد أيّام فى رابع شعبان بقلعة الجبل، و وجد عليه أبوه الملك المنصور قلاوون كثيرا، فإنّه كان نجيبا عاقلا خليقا للملك.

و فيها توفّى الشيخ الطبيب علاء الدين علىّ بن أبى الحرم القرشى الدّمشقىّ المعروف بابن النّفيس الحكيم الفاضل العلّامة فى فنّه، لم يكن فى عصره من يضاهيه فى الطّبّ و العلاج و العلم، اشتغل على المهذّب الدّخوار حتى برع، و انتهت إليه رياسة فنّه فى زمانه، و هو صاحب التصانيف المفيدة، منها: «الشامل فى الطب»، و «المهذّب فى الكحل»، و «الموجز»، و «شرح القانون لابن سينا». و مات فى ذى القعدة بعد أن أوقف داره و أملاكه و جميع ما يتعلّق به على البيمارستان المنصوريّ بالقاهرة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبرىّ بالقاهرة فى المحرّم عن نيّف و ثمانين سنة. و الإمام أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد اللّه [بن أحمد بن محمد بن قدامة] المقدسىّ الفرضىّ. و خطيب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۸

القدس قطب الدين أبو الزّكاء عبد المنعم بن يحيى الزّهرىّ فى رمضان. و الجمال أحمد بن أبى بكر بن سليمان بن الحمويّ. و الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز اللّورى شيخ المالكية فى صفر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع أصابع.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و أربع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۸]

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة ثمان و ثمانين و ستمائة.

فيها فتحت طرابلس و ما أضيف إليها بعد أمور و وقائع حسب ما ذكرناه فى أصل هذه الترجمة مفصّلا.

و فيها توفّى الشيخ علم الدين أحمد ابن الصاحب صفىّ الدين يوسف بن عبد اللّه ابن شكر المعروف بابن الصاحب، كان نادرة زمانه فى المجون و الهزل و إنشاد الأشعار و البلّيقات و كان بقى فى آخر عمره فقيرا مجرّدا، و كان اشتغل فى صباه و حصّل و درس، و كان لديه فضيلة و ذكاء و حسن تصور، إلّا أنه تمفقر فى آخر عمره و أطلق طباعه على التّكدى و صار يجارد الرؤساء، و يركب فى قفص [على رأس] حمّال و يتضارب الحمّالون على حمله، لأنّه كان مهما فتح له من الرؤساء كان للّذى يحمله،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۹

فكان يستمرّ راكبا فى القفص و الحمّال يدور به فى أماكن الفرج و النّزه، و كان يتعمّم بشرطوط طويل جدّا رقيق العرض و يعاشر الحرافيش، و كان له أولاد رؤساء، و يقال: إنّ الصاحب بهاء الدين بن حنّا هو الذى أحوجه إلى أن ظهر بذلك المظهر، و أخمله و جنّنه لكونه كان من بيت وزارة، فكان ابن الصاحب هذا إذا رأى الصاحب بهاء الدين بن حنّا ينشد:

اشرب و كل و تهنّا لابدّ أن تتعنّى

محمد و علىّ من أين لك يا بن حنا

قال الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ: «أخبرنى من لفظه الحافظ نجم الدين أبو محمد الحسن خطيب صفد، قال: رأيته (يعنى ابن الصاحب) أشقر أزرق العينين عليه قميص أزرق، و بيده عكّاز حديد. قال: و أخبرنى من لفظه الحافظ فتح الدين ابن سيّد الناس، قال:

كان ابن الصاحب يعاشر الفارس أقطاى فاتّفق أنّهم كانوا يوما على ظهر النّيل فى شختور، و كان الملك الظاهر بيبرس مع الفارس أقطاى و جرى بينهم أمر، ثم ضرب الدهر ضربانه حتّى تسلطن الملك الظاهر بيبرس و ركب يوما إلى الميدان، و لم يكن عمّر قنطرة السّباع، و كان التوجه إلى الميدان من على باب زويلة على باب الخرق، و كان ابن الصاحب هذا نائما على قفص صيرفىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۰

من تلك الصّيارف برّا باب زويلة، و لم يكن أحد يتعرّض لابن الصاحب، فمرّ به الملك الظاهر فلم يشعر إلا و ابن الصاحب يضرب بمفتاح فى يده على خشب الصيرفى قويّا، فالتفت الظاهر فرآه فقال: هاه! علم الدين؟ فقال: إيش علم الدين أنا جيعان! فقال: أعطوه ثلاثة آلاف درهم. و كان ابن الصاحب أشار بتلك الدّقّة إلى دقّة مثلها يوم المركب». انتهى [كلام الصّفدى].

قلت: و من نوادره اللّطيفة أنّه كان بالقاهرة إنسان [كثيرا ما] يجرّد الناس فسمّوه زحل، فلمّا كان فى بعض الأيام وقف ابن الصاحب على دكّان حلوى يزن دراهم يشترى بها حلوى، و إذا بزحل قد أقبل من بعيد، فقال ابن الصاحب للحلاوى: أعطنى الدراهم، ما بقى لى حاجة بالحلوى، فقال: لم؟ قال: أما ترى زحل قارن المشترى فى الميزان! و له من هذا أشياء كثيرة ذكرنا منها نبذة فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى». و من شعره:

يا نفس ميلى إلى التّصابى فاللّهو منه الفتى يعيش

و لا تملّى من سكر يوم إن أعوز الخمر فالحشيش

و له فى المعنى:

فى خمار الحشيش معنى مرامى يا أهيل العقول و الأفهام

حرّموها من غير عقل و نقل و حرام تحريم غير الحرام

قلت: و أحسن ما قيل فى هذا المعنى قول القائل و لم أدر لمن هو:

و خضراء ما الحمراء تفعل فعلها لها و ثبات فى الحشى و ثبات

تؤجّج نارا فى الحشى و هى جنّة و تروى مرير الطّعم و هى نبات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۱

و فيها توفّى الشيخ الأديب البارع المفتّن شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان ابن على التّلمسانىّ الشاعر المشهور، كان شابّا فاضلا ظريفا، و شعره فى غاية الحسن و الجودة. و ديوان شعره مشهور بأيدى الناس، و من شعره:

ياسا كنّا قلبى المعنّى و ليس فيه سواك ثانى

لأىّ معنى كسرت قلبى و ما التقى فيه ساكنان

و له فى ذمّ الحشيش:

ما للحشيشة فضل عند آكلها لكنه غير مصروف إلى رشده

صفراء فى وجهه خضراء فى فمه حمراء فى عينه سوداء فى كبده

و له أيضا:

لى من هواك بعيده و قريبه و لك الجمال بديعه و غريبه

يا من أعيد جماله بجلاله حذرا عليه من العيون تصيبه

إن لم تكن عينى فإنّك نورها أو لم تكن قلبى فإنت حبيبه

هل رحمة أو حرمة لمتيّم قد قلّ منك نصيره و نصيبه

ألف القصائد فى هواك تغزّلا حتّى كأنّ بك النسيب نسيبه

لم تبق لى سرّا أقول تذيعه عنّى و لا قلب أقول تنيبه

كم ليلة قضّيتها متسهّدا و الدمع يجرح مقلتى مسكوبه

و النجم أقرب من لقاك مناله عندى و أبعد من رضاك مغيبه

و الجوّ قد رقّت علىّ شماله و جفونه و شماله و جنوبه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۲

هى مقّلة سهم الفراق يصيبها و يسحّ وابل دمعها فيصوبه

و جوّى تضرّم جمره لو لا ندى قاضى القضاة قضى علىّ لهيبه

و له:

أخجلت بالثّغر ثنايا الأقاح يا طرّة الليل و وجه الصّباح

و أعجمت أعينك السّحر مذ أعربت منهن صفاحا فصاح

فيالها سودا مراضا غدت تسلّ للعاشق بيضا صحاح

يا للهوى من مسعد مغرما رأى حمام الأيك غنّى فناح

يا بانة مالت بأعطافه علّمتنى كيف تهزّ الرّماح

و أنت يا أسهم ألحاظه أثخنت و اللّه فؤادى جراح

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى كمال الدين أحمد ابن يوسف بن نصر الفاضلىّ. و المفتى فخر الدين عبد الرحمن بن يوسف البعلبكّىّ الحنبلى فى رجب. و رئيس الشهود زين الدين المهذب ابن أبى الغنائم التّنوخىّ.

و العلّامة شمس الدين الأصبهانىّ الأصولى محمد بن محمود بالقاهرة فى رجب. و المقرئ تقىّ الدين يعقوب بن بدران الجرائدىّ بالقاهرة فى شعبان. و المسندة العابدة زينب بنت مكّىّ فى شوّال، و لها أربع و تسعون سنة. و العماد أحمد ابن الشيخ العماد إبراهيم ابن عبد الواحد المقدسىّ. و الإمام شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن الكمال عبد الرحيم ابن عبد الواحد المقدسىّ فى جمادى الأولى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۳

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۹]

السنة الثانية عشرة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة تسع و ثمانين و ستمائة.

فيها كانت وفاة صاحب الترجمة الملك المنصور قلاوون فى ذى القعدة حسب ما تقدّم ذكره، و تسلطن بعده ابنه الملك الأشرف خليل.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو المعالى برهان الدين أحمد بن ناصر بن طاهر الحسينىّ الحنفىّ إمام المقصورة الحنفية الشمالية بجامع دمشق، كان إماما عالما فاضلا زاهدا صالحا متعبّدا مفتّنا مشتغلا بما هو فيه من الاشتغال بالعلم و الأوراد و القراءة إلى أن مات فى يوم السبت ثانى عشرين شوّال، و تولّى بعده الإمامة الشيخ نجم الدين يعقوب البروكارىّ الحنفىّ، و سلك مسلكه.

و فيها توفّى الأمير حسام الدين أبو سعيد طرنطاى بن عبد اللّه المنصورىّ الأمير الكبير، كان أوحد أهل عصره، كان عظيم دولة أستاذه الملك المنصور قلاوون؛ و كان المنصور قد جعله نائبه بسائر الممالك، و كان هو المتصرّف فى مملكته.

فلمّا مات الملك المنصور قلاوون و تسلطن ولده الملك الأشرف خليل استنابه أيّاما إلى أن رتّب أموره و دبّره و دبّر أحواله، و كان

عظيم التنفيذ سديد الرأى، مفرط الذكاء غزير العقل؛ فلمّا رسخت قدم الأشرف فى السلطنة أمسكه، و كان فى نفسه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۴

منه أيّام والده، و بسط عليه العذاب إلى أن مات شهيدا و صبر على العذاب صبرا لم يعهد مثله عصر إلى أن هلك، و لمّا غسّلوه و جدوه قد تهرّأ لحمه و تزايلت أعضاؤه، و أنّ جوفه كان مشقوقا، كلّ ذلك و لم يسمع منه كلمة. و كان بينه و بين الأمير علم الدين سنجر الشّجاعىّ عداوة على الرّتبة، فسلّمه الأشرف إلى الشّجاعىّ و أمره بتعذيبه، فبسط الشجاعىّ عليه العذاب أنواعا إلى أن مات، فحمل إلى زاوية الشيخ عمر السّعودىّ، فغسّلوه و كفّنوه و دفنوه بظاهر الزاوية. و كان له مواقف مع العدوّ، و غزوات مشهورة و فتوحات. و بنى مدرسة حسنة بقرب داره بخط البندقانيّين بالقاهرة، و قبّة برسم الدفن، و له أوقاف على الأسرى و غيرها. و كان فيه محاسن لو لا شحّه و بذاءة لسانه لكان أوحد أهل زمانه، و خلّف أموالا جمّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۵

قال الشيخ قطب الدين اليونينىّ قال الشيخ تاج الدين الفزارى: حدّثنى تاج الدين بن الشّيرازى المحتسب: أنّهم وجدوا فى خزانة طرنطاى من الذهب العين ألفى ألف دينار و أربعمائة ألف دينار و ألفى حياصة ذهب و ألف و سبعمائة كلّوته مزركشة، و من الدراهم ما لا يحصى؛ فاستولى الأشرف خليل على ذلك كلّه، و فرّقه على الأمراء و المماليك فى أيسر مدّة؛ و احتاج أولاد طرنطاى هذا و عياله من بعده إلى الطلب من الناس من الفقر.

و قال غيره: وجد لطرنطاى ألف ألف دينار و ستمائة ألف دينار. ثم ذكر أنواع الأقمشة و الخيول و الجمال و البغال و المتاجر ما يستحى من ذكره كثرة. و مات طرنطاى المذكور و لم يبلغ خمسين سنة من العمر.

و فيها توفّى الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد اللّه الصالحىّ المعروف بالوزيرىّ، كان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة و الإقدام، و كان من المبرّزين و له التقدّم فى الدول و الوجاهة، و لم يزل على ذلك إلى أن مات، رحمه اللّه تعالى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العلّامة رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقى خنق فى المحرّم و قد كمّل التسعين. و الإمام نور الدين على ابن ظهير بن شهاب بن الكفتى المقرئ الزاهد فى شهر ربيع الآخر. و قاضى الحنابلة نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر فى جمادى الأولى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۶

و له ثمان و ثلاثون سنة. و خطيب دمشق جمال الدين عبد الكافى بن عبد الملك ابن عبد الكافى الربعى فى سلخ جمادى الأولى. و الزاهد فخر الدين أبو طاهر إسماعيل عزّ القضاة بن علىّ بن محمد الصوفىّ فى رمضان. و الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن الزّين أحمد بن عبد الملك المقدسى فى ذى القعدة. و السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفىّ الصالحىّ فى ذى القعدة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا، و لم يوفّ فى هذه السنة.

انتهى الجزء السابع من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الثامن، و أوّله: ذكر ولاية الملك الأشرف خليل على مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۷

استدراكات على بعض تعليقات وردت فى الجزءين الرابع و الخامس من هذا الكتاب، لحضرة الأستاذ محمد رمزى بك

قنطرة عبد العزيز بن مروان

بما أن الشرح الخاص بتعيين موقع هذه القنطرة المدرج فى صفحة ۴۴ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير واف فيستبدل به الشرح

الآتى:

لما تكلم المقريزى على ظواهر القاهرة المعزية (ص ۱۰۸ ج ۲) قال: كان أوّل الخليج الكبير عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات و كان ما بين هذا الخط و بين المعاريج بمدينة مصر (مصر القديمة) غامرا بماء النيل.

و لما تكلم على قناطر الخليج الكبير (ص ۱۴۶ ج ۲) قال: ان قنطرة ابن مروان كانت فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى بناها عبد العزيز بن مروان والى مصر فى سنة ۶۹ ه. و موضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير و كان المرور على هذه القنطرة بين الحمراء القصوى و جنان الزهرى.

و لما تكلم على حكر أقبقا (ص ۱۱۶ ج ۲) قال: و فى هذا الحكر تقع قنطرة عبد العزيز بن مروان.

و قد تبيّن لى من البحث: (أوّلا) أن خط السبع سقايات هو الذى عرف فيما بعد بحكر أقبقا أى أن مكانهما واحد، و فقط اختلفت التسمية باختلاف الزمن و المناسبات. (ثانيا) أن حكر أقبقا مكانه اليوم المنطقة التى فيها حارة السيدة زينب و فروعها و جنينة لاظ و شوارعها. (ثالثا) أن النيل كان يجرى وقت فتح العرب لمصر فى الجهة الغربية من جنينة لاظ حيث الطريق المسماة شارع بنى الأزرق و ما فى امتداده جنوبا و شمالا. (رابعا) أن فم الخليج المصرى كان فى ذاك الوقت واقعا حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۸

و مما ذكر يتضح أن قنطرة عبد العزيز بن مروان التى كانت على فم الخليج الكبير مكانها اليوم النقطة الواقعة بشارع الخليج المصرى تجاه مدخل حارة حكر أقبقا بأرض جنينة لاظ التى هى جزء من حكر أقبقا، و هذا الخط هو الجزء الشمالى من الحمراء القصوى و يقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنان الزهرى حيث خط الناصرية الآن و ما فى امتداده إلى شارع غيط العدة.

بستان الخشاب

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذا البستان المدرج فى صفحة ۴۴ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير واف فيستبدل به الشرح الآتى:

تكلم المقريزى على هذا البستان فى جملة مواضع بالجزء الثانى من خططه فذكره عند الكلام على ظواهر القاهرة المعزية (ص ۱۰۸) و على بر الخليج الغربى (ص ۱۱۳) و على الخليج الناصرى (ص ۱۴۵) و على قنطرة السد (ص ۱۴۶) و على قنطرة الفخر (ص ۱۴۸) و على الميدان الناصرى (ص ۲۰۰) و على حكر الست حدق (ص ۱۱۶) و يستفاد مما ذكر فى المواضع المذكورة البيان الآتى:

(أوّلا) أن بستان الخشاب كان واقعا فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشمال بشوارع المبتديان و مضرب النشاب و البرجاس و الجزء الغربى من شارع إسماعيل باشا إلى النيل. و من الغرب نهر النيل. و من الجنوب مستشفى قصر العينى و شارع بستان الفاضل و ما فى امتداده من الجهة الشرقية إلى شارع الخليج المصرى. و من الشرق شارع الخليج المصرى و شارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى.

(ثانيا) أن هذا البستان كان منقسما إلى قسمين الشرقى منهما و هو الواقع بين شارع المنيرة و شارع الخليج المصرى و كان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان و به يتخذون المزر و هو نوع من البوظة يسميه أهل السودان المريسة، و القسم الغربى و هو الواقع بين شارع المنيرة و شاطئ النيل كان يعرف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۹

بالميدان الناصرى، و مكانه اليوم خط القصر العالى المسمى «جاردن ستى» و كان بالجهة الجنوبية من هذا الميدان على شاطئ سيالة جزيرة الروضة عند كوبرى محمد على يوجد مواقع فم الخليج الناصرى و قنطرة الفخر و موردة الجبس و موردة البلاط.

أرض الطبّالة

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذه الأرض المدرج فى صفحة ۱۲ بالجزء الخامس من هذه الطبعة جاء غير واف بالنسبة للحد الغربى للأرض المذكورة فيستبدل به الشرح الآتى:

يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ۱۸۵ ج ۲) أن أرض الطبالة كانت ممتدّة إلى شاطئ النيل القديم تجاه جزيرة الفيل التى كانت وسط النيل. و مكانها اليوم منطقة شبرا بالقاهرة. و من هذا يتضح أن أرض الطبالة كانت واقعة فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى. و من الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى و ما فى امتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة. و من الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبرى الليمون فميدان محطة مصر إلى ميدان باب الحديد حيث كان النيل يجرى قديما. و من الجنوب بشارع الفجالة و سكة الفجالة و يدخل فيها الآن محطة كوبرى الليمون و الفجالة و بركة الرطلى. و باقى الشرح الوارد بالجزء الخامس صحيح.

تنبيه: التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على اختلاف أنواعها، و المدن و القرى القديمة و غيرها مع تعيين و تحديد مواضعها هى من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزى بك المفتش بوزارة المالية سابقا. فنسدى إليه جزيل الشكر و نسأل اللّه جلّت قدرته أن يجزيه خير الجزاء عن خدمته للعلم و أهله.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۹۰

استدراكات على الجزء السادس من النجوم الزاهرة

نبّهنا إليها الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان من علماء دمشق فنسدى إليه جزيل الشكر (۱) ورد فى ص ۳۵ س ۱۵: «تسلّم أصحابه مدينة غزة و بيت جبريل و الماطرون» و ذكرنا فى الحاشية رقم ۳ أن تصويبه الماطرون عن شرح القاموس و معجم البلدان لياقوت. و الصواب أنه النطرون بالنون، لأن الماطرون اسم موضعين بالقرب من دمشق، و فتوحات صلاح الدين كانت فى فلسطين، كما فى سيرة صلاح الدين و الروضتين و تاريخ أبى الفدا و تاريخ ابن الوردى فى حوادث سنة ۵۸۳ ه.

(۲) ورد فى ص ۹۹ س ۱۱ و ۱۲: «و بنت تربة بقاسيون على نهر بردى».

و علقنا عليه فى الحاشية رقم ۵ أن «بردى نهر بدمشق». و صوابه: «و بنت تربة بقاسيون على نهر يزيد»، لأنّ نهر بردى لا يمرّ بقاسيون، و إنما يمرّ به نهر يزيد.

و لا تزال هذه التربة حتى اليوم على حافة نهر يزيد (راجع شذرات الذهب فى حوادث سنة ۵۸۱ ه).

(۳) ورد فى ص ۱۲۱ س ۹: «بمرج عدواء». و علقنا عليها فى الحاشية رقم ۹ نقلا عن ابن الأثير رواية أخرى: «أنه بمرج الريحان». و صوابه:

«بمرج عذراء» و هو مرج مشهور خارج دمشق قرب قرية يقال لها عذراء، كما فى شرح القاموس مادّة «مرج».

(۴) ورد فى ص ۱۵۰ س ۵: «و أما الأفضل فإنه سار إلى مصر فأرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدين إليه بالزبدانى». و علقنا عليه فى الحاشية رقم ۲ بأن الزبدانى: نهر بدمشق. و صوابه: الزبدانى: كورة مشهورة معروفة بين دمشق و بعلبك (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل و معجم البلدان لياقوت).

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۹۱

(۵) ورد فى ص ۲۱۸ س ۱۱: «و دفن بقاسيون». و علقنا عليه فى الحاشية رقم ۳ بأن زوايا الأصلين: «مات بقاسيون» و ما أثبتناه عن شذرات الذهب و عقد الجمان. و تعتبر قاسيون مقبرة دمشق. و الصواب فى ذلك أن قاسيون:

جبل شمالى دمشق يطل عليها. و فى عصر نور الدين الأتابكى هاجرت طائفة من المقادسة هربا من إرهاق الصليبين لهم فسكنوا هذا الجبل و بنوا فيه دورا و مساجد فأصبح إحدى ضواحى دمشق التى لها مقبرة لا أنه مقبرة فقط فعليه تكون عبارة الأصلين صحيحة.

(۶) ورد فى ص ۲۴۰ س ۱۶: «فلما كان الغد أقبلت الأطلاب» و ذكرنا فى الحاشية رقم ۶ أن الأطلاب: العساكر. و نزيد عليه أن الأطلاب لفظة استعملت فى كتب التاريخ من عصر نور الدين الأتابكى إلى آخر أيام دولة المماليك الشراكسة، و يراد بها فرق الجيش و كتائبه، و الظاهر أنه مشتق من طلب الشيء إذا حاول أخذه فهو طالب و جمعه طلب و جمع الطلب أطلاب، و يدلّ على ذلك ما جاء فى ص ۲۹۳ من هذا الجزء: «قطع التتار دجلة فى مائة طلب، كل طلب فى خمسمائة فارس».

(۷) ورد فى ص ۲۶۶ ص ۴: «و دفن بقرب الصليحية». و ذكرنا فى الحاشية رقم ۱ رواية أخرى نقلا عن شذرات الذهب: «بقرب القليجية».

و صوابه ما ورد فى شذرات الذهب. و القليجية: مدرسة بدمشق معروفة، تنسب إلى قليج أرسلان.

(۸) ورد فى ص ۲۶۸ س ۴ فى الكلام على ترجمة الملك المعظم عيسى:

«و دفن مع والدته فى القبة عند الباب» و علقنا على ذلك فى الحاشية رقم ۱ نقلا عن ابن خلكان بأنه: نقل إلى تربته فى مدرسته التى أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير». و علقنا أيضا فى الحاشية رقم ۲ نقلا- عن ابن خلكان و شذرات الذهب أنه: «دفن خارج باب النصر أحد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۹۲

أبواب دمشق فى مدرسة شمس الدولة». و كلا التعليقين خطأ. و صوابه أن الملك المعظم عيسى دفن فى مدرسته التى أنشأها بصالحية دمشق. و بالرجوع إلى تاريخ ابن خلكان وجدناه بعد أن انتهى من ترجمة الملك المعظم عيسى يقول: «و توفى عز الدين أيبك صاحب صرخد، إلى أن قال: و دفن خارج باب النصر فى مدرسة شمس الدولة و حضرت الصلاة عليه و دفنه ثم نقل إلى تربته فى مدرسته التى أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير». و لا يخفى أن هذا الكلام الذى أدمجه ابن خلكان فى ترجمة الملك المعظم عيسى على عز الدين أيبك (راجع ابن خلكان فى ترجمة الملك المعظم عيسى و شذرات الذهب فى حوادث سنة ۶۲۴ ه).

(۹) ورد فى ص ۳۱۷ س ۳ «و إمام الربوة» و علقنا على ذلك فى الحاشية رقم ۳: «يريد ربوة دمشق و هى مغارة لطيفة الخ». و صوابه: «و بالربوة مغارة لطيفة ... الخ» راجع نزهة الأنام فى محاسن الشام، نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ۱۶۴۲ تاريخ).

(۱۰) ورد فى ص ۳۲۹ س ۷: «و دام الحصار إلى أن قدم البادرانى للصلح» و ذكرنا فى الحاشية رقم ۱ أن البادرانى، نسبه إلى بادران: قرية بأصبهان.

و هو عز الدين رسول الخليفة، قدم للصلح بين الملك الصالح نجم الدين و الحلبيين.

و صوابه: «البادرائىّ» بالهمزة. و هو نجم الدين أبو محمد عبد اللّه بن أبى الوفا الشافعى الفرضى الذى قدم من عند المستنصر للصلح. و قال السيوطى فى لب اللباب فى تحرير الأنساب: «البادرائى»: نسبة إلى بادرايا،: قرية من عمل واسط». و راجع شذرات الذهب ج ۵ ص ۲۶۹ فى حوادث سنة ۶۵۵ ه و تنبيه الطالب للعليمىّ.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹